جامعـــة الجـزائـــر

معهـــد الفلسفـــة

الفكــر السياســي عند سارتــر وعلاقتــه بالثورة الجزائريــة

دراســة تحليليــة نقديــة.

بحــث لنيــل شهـــادة الماجستيـــر

إعــداد الطالــب:

بشــاذ طالــب

تحــت إشــراف:

الدكتـــور أبو عمـــران الشيـــخ.

السنـــة الجامعيـــة 90/91.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وجدتني ألتفت الى أن أقدم شكرى وتقديرى الى كل من كان لهم فضل علي ، من أساتذة وأصدقاء ، ولم يبخلوا علي بمساعداتهم طيلة مدة انجاز بحثي هذا الى أن صار كلا متكاملا..

وأخص بالذكر أستاذى الكريم الدكتور أبو عمران الشيخ الذى وجدت فيه المرجع الوافي وقت الاستفسار والمرشد الناصح الى مواقع الخطأ ، فضلا عما وفره لي من لقاءات علمية مريحة ومعاملات أخلاقية طيبة فكان لي بذلك مثالا في العلم والأخلاق والاعانة ، فالله أسأل أن يعوضه عنا خير جزاء .

كل هذا ، دون أن أنسى فضل والدى علي وزوجتي التي كثيرا ماضحت بوقتها من أجل اتمام هذا العمل .

والحمد لله رب العالمين أخيرا .

مناد طالب

مقدمة البحث

ان تاريخ الانسانية تاريخ رسائل و حضارات ، و تاريخ طرق خاصة في الوجود الانساني ، و لا ريب في أنه قد تولد نتيجة الرسائل السماوية و نتيجة الأنظمة الوضعية المنبثقة عن الفكر البشري المستمر .

ففي مجال الأنظمة الوضعية ، و رغم ما حققه الانسان عبر العصور ، و هو يطمح الى تحقيق نظام وضعي اجتماعي و سياسي مثالي ، فان هذه المحاولات المتكررة و المتعاقبة لا تعد أن تكون محاولات مؤقتة و ما تلبث ترتكز على قوائمها حتى تظهر عيوبها و يدب الفشل فيها فتتجاوزه و هكذا ، فان البحث عن نظام اجتماعي سياسي مثالي هو مطلب قديم حديث ، هذا المطلب الذي كثيرا ما انتهى الى نظم سياسية متباينة عبر العصور منها : النظام الأرسطوقراطي حيث الحكم فيه يعود الى طبقة المفكرين الساميين (الفلاسفة) و هذا سواء مع الفيلسوف اليوناني أفلاطون أو تلميذه أرسطو ، أو النظم الديكتاتورية مع فلسفة القرون الوسطى مرورا بابن خلدون و نظام العصبية القبلية[1] فالعقد الاجتماعي (الحكومة الشرعية)، و هو نوع من الديمقراطيات مع جون جاك روسو ، و انتهاء بالنظام الاشتراكي مع المفكر الألماني كارل ماركس ، و الدارس للنظام الوضعية الاجتماعية السياسية عبر التاريخ يلاحظ أن تطورها راجع بالدرجة الأولى الى تطور الفكر الانساني في حد ذاته . فالظروف الاجتماعية التي كان يعيشها انسان الأمس ليست هي نفسها التي يعيشها اليوم . فحياة الأمس ، على سبيل المثال ، هي حياة أكثر بداوة حيث كان يسود فيها المجتمع الزراعي و كان النظام السياسي وقتها اقطاعيا ، و ما كان العامل فيه الا عبد لدى سيده . أما اليوم ، و مع مطلع العصر الحديث و انفجار الثورة الصناعية خاصة ، فحالة الانسان قد تدهورت أكثر لدرجة أن النظام السياسي أصبح يعتبره مجرد أداة أو آلة يستعملها لتحقيق أقصى ربح ممكن .

---

١) نقول بهذا اذا استثنينا الوازع الديني الذي يوليه ابن خلدون دورا كبيرا في تقويم النظام بعد انشائه انطلاقا من العصبية القبلية وقد توصل ابن خلدون الى هذا بعد دراسة وصفية ميدانية لدول المغرب العربي .

القصة والمسرح والنقد ، الى جانب كفاحه المستمر على مستوى الشؤون العمليـة السياسية ، فأضحى اسمه يتردد كثيرا وبمناسبات عديدة الى درجة أن الوجوديـة أصبحت تقترن في أذهان عامة الناس باسمه . وليس هناك شك في أن تكون نفس هذه العوامل الى جانب دور بعض الكتاب والمثقفين العرب الذين هم من أتباع هذا التيار ، والذيـن كثيرا ماقال عنهم سارتر أنهم أشبه ببغوات الغرب ، هي التي جعلت هذا التيـــار يلقى كذلك رواجا والى حد ما في العالم العربي وفي المشرق على وجه الخصوص .

ومن هنا ، ولهذه الأسباب جميعها حاولنا أن نعرف ماهو هذا الفكـــر السياسي الذى جاءت به الوجودية ؟ وفيما يفيد الانسانية ؟ وما موقفه من الحروب التي ما تنفك تهدأ حـتى تشتعل أخرى ؟ ومن كل الحركات التحررية في العالم ، وفي العالم العربي الاسـلامي على وجـه الخصوص ؟

غير أن الفكرة هذه لم تكن لتستقر على هذه الحال خاصة وأننا وجدنا الموضوع ونحن نطرحه بهذه الكيفية عاما وواسعا وغير مضـبوط

ولما كان سارتر عينة تعكس في مجملها مقاصد هذا التيار الفكرى المعاصر وأنه أحد أبناء هذا الاستعمـار الذى كانت اقدامه قد وطأت أرض الجزائر ولمـــدة تقارب القرن وثلث القرن ، وحتى يكون الموضوع دقيقا وذا مقصد ، اهتديت بعـــون من اللـه وبتوجيه من أستاذى الدكتور أبو عمـران الشيـخ [redacted] الى حصر الموضوع وتناوله تحت عنوان الفكر السياسـي عند سارتر وعلاقتـه بالثورة الجزائرية . فلمـاذا فكر سارتر السيـاسي ولماذا ربطه بالثــورة الجزائرية ؟

ان من عموم المعرفة أن ثمـة كثير من مفكرى ومثقفي فرنسا السياسين مـــن كان لهم موقف تجاه الثورة الجزائرية ، غير أن صدى هذه المواقف ومدى مصداقيتهـا يبقى مرهونا بمدى نشاط ومكانة الكاتب نفسه في وسطه الاجتماعي ـ السياسي .

وبناء على هذه النظرة ، وقع اختيارنا على الفيلسوف سارتر خاصة ونحن ندرس فكرة السياسي في علاقته مع الثورة الجزائرية سيكشف لنا عن حقبة هامة مازالت غامضة من تاريخنا السياسي المعاصر علما أن كثيرا ما نسجل تضاربا في الآراء حول موقف سارتر تجاه ثورتنا التحريرية خاصة اذا ما علمنا أن هذا التضارب موجودا على مستوى الخاصة من النــاس •

ولكي نعرف حقيقة هذا الفكر وحقيقة هذا الموقف وأهدافه وأبعاده ، كان لازما علينا أن نولي الموضوع كل اهتماماتنا وأن نتناوله بكل جدية وحذر •

واختيارنا لوضع الفكر السياسي للسارتري وعلاقته بالثورة الجزائرية محل ظنون فليس معناه أننا نهدف ، فقط ، الى ابطال أو تعطيل فكره السياسي أو التشكيك بموقفه تجاه الثورة الجزائرية أو رفضه لأغراض غير موضوعية•• ولا الى نقيض هذا ، بل بالعكس ، فلأنه وفي حركة مستمرة ، حاملا في ثناياه بذور نقده الذاتي ، الفكر السياسي السارتري يفتح أمامنا ، وسط الفكر المعاصر ، طريقا جديدا مليئا بالمغالطات أكثر من أي طريق آخر : التناقض •• والغير المألوف في مفهومه للحرية وفي مواقفه السياسية • فهو متاهات مظلمة من جهة ، وواضحة كل الوضوح من جهة أخرى حيث البحث يبدو جد هام وخطير مما يدفع بالباحث الى الاحتراز من كل خطوة يخطوها ومن كل حكم يدلي به دون حجة أو دليل •

ونحن اذ نتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة فان من جملة التساؤلات التي تواجهنا والتي نريد أن نقف على الاجابة عنها هي :

أولا : ماهي مصادر وأسس الفكر السياسي السارتري ؟ أهو فكر سياسي جديد أم هو مجرد احياء لفكر سابق له ؟ وكيف ينظر الى الفرد والمجتمع والدولة ؟

ثانيا : ماهي الوظيفة الجديدة التي خصها سارتر للأدب في ظل النظام السياسي الذي ابتغاه خاصة في ميدان القصة ، والمسرح ؟

ثالثا : كيف ينظر سارتر الى الأخلاق عموما وفي علاقتها مع السياسة خصوصا ؟

رابعا : لقد ظهر الفكر السياسي السارتري الى الوجود وبلغ أوجه في وقت كان فيه عدد كبير من الدول ينوء تحت وطأة الاستعمار من بينهم الجزائر • فما هو موقف المفكر الفرنسي من الثورات التحررية في العالم عموما ثم من الثورة الجزائرية خصوصا ؟ وماهي بواعث وأهداف هذا الموقف ؟ أهو غاية في حد ذاته أم هو مجرد وسيلة لتحقيق غاية أخرى ؟ وأخيرا ما الأثر الذى تركه هذا المفكر في الرأي العام الفرنسي ؟ هل استطاع أن يؤثر فيهم والى أى مدى كان ذلك ؟

هذا ، ويجدر بنا أن نشير الى أن تناول الموضوع يبدو في غاية الصعوبة نظرا لعدة أسباب نذكر منها على سبيل المثال حداثة الموضوع وقلة المصادر والمراجع في مكتباتنا ، وأكثر من هذا أن فكر سارتر السياسي لم يكن فكرا بينا قائما بذاته بل كان على الباحث أن يجهد نفسه في أن يستجلي مبادئه وينتقيها من مجمل فكره الفلسفي • والى جانب هذا كله فان المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أساسا هي مدونة باللغة الفرنسية مما جعلني أضاعف الجهود في الحرص على اختيار مايعادل النصوص الفرنسية في اللغة العربية سواء من حيث الكلمات أو من حيث المعنى وهذا حتى أكون وفيا لمقاصد النصوص الأصلية •

أما منهجنا المتبع في هذا البحث فهو المنهج التحليلي النقدى لان طبيعة الموضوع تطلبت منا ذلك ولأنه منهج يسمح لنا بعرض نصوص الموضوع ثم فحصها وتحليلها تحليلا نقديا مع اقامة بعض المقارنات كلما دعت الضرورة الى ذلك ومحاولين بقدر الامكان التزام الموضوعية الى أبعد الحدود مع تجنب كل مبالغة أو غموض أو تعميم أو تقديم في الأحكام • والى جانب هذا نشير الى أن الاشكالية المطروحة في هذا البحث هي عرضة لأن تتجدد صياغتها وهذا وفق ماتتطلبه ضروريات البحث ومستجداته العلمية • كل هذا حتى نقدم دراسة موضوعية علمية خالية من كل لبس أو غموض •

وبعد هذه الوقفة المنهجية بقي أن نشير الى أن موضوعنا هذا هو ، حسب معلوماتنا ، بكر لم يتناول بعد بالدراسة وان وجدت هذه الدراسة فهي لا تعدو أن تكون اشارة لبعض نقاطه هنا وهناك .

أما من حيث تقسيم الموضوع ، فقد عمدت الى الخطة التالية : لقد قسمت بحثي الى مقدمة ومدخل عام وبابين رئيسيين كل باب يحوي أربعة فصول وفي النهاية خاتمة . فأما المدخل ، فما كنت لأجد له ضرورة لو لا حاجتي الى تبيان ، ولو بصورة جد وجيزة ، أصول الموضوع قبل الخوض في فروعه . فهو يسمح لنا بصورة عامة معرفة أصل ومصادر الفكر الفلسفي السارتري وتحديد سياقه العام. وعلى ضوء هذا تطرقت الى أبرز ملهمي سارتر نذكر منهم على سبيل المثال الفيلسوف هيجل وهوسرل وهيدجر .

وأما الباب الأول المعنون ب((أسس الفكر السياسي السارتري)) فهو ينقسم الى أربعة فصول في مجملها تتعرض الى القواعد والمبادئ التي يقوم عليها فكر سارتر السياسي وتتمحور حولها الفروع .

وقد خصصت الفصل الأول لتناول موضوع السياسة بين الحرية والالتزام. وفيه أتعرض الى قاعدتين رئيسيتين لا يمكن الاستغناء عنهما بل لا وجود لفكر سارتري من غيرهما . ومن خلالها نريد أن نعرف أيضا الى أي مدى استطاع سارتر أن يقيم نظاما سياسيا يقوم أساسا على مبدأين هما أقربا الى التناقض منه الى التوافق خاصة وأننا نجد سارتر يصرح بأن الحرية هي كل مطلق لا شيء يحدها الا ذاتها .

وخصصت الفصل الثاني لبحث مفهوم " الغير " في الفكر السياسي السارتري، ودور الآخر في المجتمع السياسي الذي يريده سارتر وعلاقته مع " الأنا " السارتري كل هذا دون أن ننسى مبدأي الحرية والالتزام اللذين سبق وأن تطرقنا اليهما بالتفصيل في الفصل السابق وبالتالي معرفة الى أي مدى أيضا كان توفيق أو فشل سارتر في نظرته الى " الغير " بوصفه عنصرا رئيسيا في نجاح أو فشل أي مشروع نظام سياسي كان .

في حين خصصت الفصل الثالث لموضوع الأدب والسياسة عند سارتر خاصة وأن نظرة هذا الأخير للأدب هي نظرة وظيفية ضرورية وهامة جدا لخدمة الالتزام السياسي، ولما كان الأديب حرا ولا يكتب الا للاحرار ، فاننا حاولنا أن نكشف عن حقيقة هذا الأديب السارتري اذ كيف له أن يكون حرا ولا يكتب الا للاحرار من جهة ويكون ملتزما من جهة أخرى خاصة اذا علمنا أن الالتزام ليس التزام في الحرية انما هو التزاما في الاشتراكية وفقط ؟

وفي الفصل الرابع بحثنا السياسة والأخلاق عند سارتر ، وحاولنا أن نعرف كيف أنه سعى الى أن يجعل من السياسة قوة أخلاقية ووفق أي مقياس في الوقت الذي كان قد صرح من قبل أن الأخلاق قيد لا فائدة منها ؟ ومع كل هذا أشير الى أن هذه الدراسة بفصولها الأربعة سنأخذ فيها بعين الاعتبار تطور فكر سارتر من مرحلة " الوجود والعدم " الى غاية " نقد العقل الجدلي " .

وفي الباب الثاني المعنون بـ((سارتر والثورة الجزائرية)) حاولت أن أثير فيه قضية موقف سارتر (من الثورة الجزائرية) في ضوء فكره السياسي مع محاولة التطرق الى جميع أبعاده والوقوف على حقيقته ، وينقسم الى أربعة فصول :
تناولت في الفصل الأول موضوع سارتر والثورات التحررية في العالم ، وهو بمثابة مقدمة توضيحية وكاشف لما سأتناوله في الفصول التي تليها ، وفيه أتعرض الى مجمل الثورات التحررية التي عايشها سارتر والمواقف التي أتخذها تجاه كل واحدة منها مع التعرض أيضا الى أسباب وأبعاد هذه المواقف ونخص منها بالذكر موقفه من الثورة الفلسطينية .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لمؤلفات سارتر حول الثورة الجزائرية وتعرضت فيه لأهم ما جاء في مؤلفاته هذه مع الشرح والتوضيح ومراعاة التعاقب التاريخي لهذه الموضوعات ومع الاشارة الى أهمية ومناسبة كل موضوع .

وخصصت الفصل الثالث لموقف سارتر من الثورة الجزائرية ، وفيه تعرضت الى كل النصوص التي تناول فيها سارتر الثورة الجزائرية من الشرح الوافي لها وتحليلها تحليلا نقديا ومراع في ذلك كل قواعد المنهج من أبعاد كل الأحكام المسبقة والميولات الذاتية • ولم نكتف بتبيان الموقف فحسب بل وأهم من ذلك بحثنا في الدوافع والأهداف التي انبنى عليها • ولم نقدم حكما في هذا الشأن الا ونسبقه بالحجة والبرهان •

في حين تعرضت في الفصل الرابع والأخير الى أثر أو تأثير سارتر في الرأى العام الفرنسي • وقد تتبعت هذا الأثر مع جميع فصائل المجتمع الفرنسي مبرزا في الوقت نفسه عمق وسلبية أو ايجابية الأثر مع كل فصيلة على حدى دون أن نهمل خلفيات تلقي أو دفع هذا الأثر • وخلاصة مانقوليه في هذا الفصل أنه عبارة عن تركيب لما سبقه من فصول •

كل هذا ، كان مختوما بخاتمة استنتاجية حاولت من خلالها استجلاء أهم النتائج المتوصل اليها مع لفت النظر الى أبعاد هذه النتائج ومحاورتها على مستقبل الأمة الجزائرية العربية الاسلامية مع فتح آفاق دراسية جديدة للموضوع•

وفي الأخير نسأل الله أن يوفقنا الى ما فيه خير أمتنا ويرزقنا اتباعه •

- مـــــــدخـــل -

لقد جاء في كتاب " وليم جيمس " عن العالم المتعدد العبارة التالية:
((ضع نفسك في مركز الرؤية الفلسفية لأي انسان وستفهم في الحال كل المسائل المنوعة التي تدفعه الى الكتابة أو الكلام))(١) .

فمن هذا المنظور ، فانه يجدر بك ، اذا ما قدم اليك فيلسوف مثل سارتر وألقى اليك بفكر أسماه فلسفة ، أن تتريث وتحطاط وأن لا تكون فريسة ظروف ما فتحتظن كل ماجاءك به دون تبصر ، بل وجب عليك عندما أن تنظر نظرة فاحص الى كل كلمة أو عبارة ألقى بها اليك ، وأن تتأمل بكل جدية وعمق كل الرصيد الذي تحمله هذه الفلسفة . فبهذه الكيفية ، فانك كلما خطوت خطوة في فحص ووزن هذا الفكر كلما اكتشفت الرصيد الفكري التاريخي الذي يحمله بين طياته والذي تشبع به ومن ثمة اتضحت لك الصورة القديمة الجديدة ، التي جاءك بها ، فتميزه بها عن سواه .

وهنا نقف لحظة تأمل لنتسائل عمن هو سارتر ؟ وما المصدر والينبوع الذي استمد منه عصارة فكره واستقى منه ركائزه ، وأسس على قوائمه آراءه العريضة الفلسفية منها والسياسية ؟ .

لقد لقيت الفلسفة الوجودية رواجا كبيرا لدى أذهان عامة الناس في الوقت الذي كانت تعيش فيه الحضارة الغربية ومع مطلع القرن العشرين ، أزمة انسانية حادة اذجاءت لتعبر عن مرحلة

---

١) استشهاد لعبد الفتاح الديدى ، سارتر في تيار عصره ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٢٥ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ، مارس ١٩٦٧ ، ص ٦٠٦

- قلقة - حيث دخل الانسان المعاصر في حروب رهيبة وقلق متزايد وحيث تربع الفكر المادي، هذا الفكر الذي جعل منه (الانسان) مجرد آلة خالية من كل احساس، واقترن هذا المذهب الوجودي باسم الفيلسوف الفرنسي "جون بول سارتر J.P SARTRE"، ولو بحثنا في علة هذا الرواج وهذا الاقتران لوجدنا أنها تعود أصلا الى النشاط المكثف الذي قام به هذا الفيلسوف سواء على المستوى النظري أو المستوى العلمي والمتمثل خصوصا في مواقفه السياسية .

ويرى الباحثون والنقاد أن نصيب سارتر الحقيقي في تكوين المذهب الوجودي الفلسفي لا يتكافأ أبدا مع الشهرة التي نالها بوصفه أحد ممثلي المذهب الوجودي .

لاشك في أن الدارس لما قدمه لنا سارتر من كتب سيجد أن مذهبه قد تكون نتيجة غربلة لمذاهب شتى اذ أخذ عن كل فيلسوف ضالته ثم نسج على اثرها خيوط فكره الوجودي. فمن هم ملهموه ؟

ان أقل ما يوحي اليه كتابه الأول ، الصادر عام ١٩٣٦ تحت عنوان "التصور" أو "التخيل" "L'imagination" أن أول معلم كان لسارتر هو الفيلسوف الألماني "هوسرل" "Edmund Husserl" لقد حاول سارتر في هذا الكتاب أن يشرح لنا فكرة رئيسية وهي أن ثمة صورة ووعي ، وأن علاقة الارتباط التي تقوم بينهما هي علاقة تقوم أساسا على مايسمى " بالاحالة المتبادلة " بين الوعي من جهة وبين شيء معين خارج الوعي من جهة أخرى ، ولعل جملة هذه الفكرة هي التي يسميها "هوسرل Husserl"

بفكرة " القصدية " " L'intentionalité " : ((ويوحي الى أن "هوسرل" هو أول اكتشاف هام لسارتر وهذا على الأقل مايظهر في كتابه التخيل))(١) .

وان ما يميز الظاهرتية - " La Phénoménologie " هي كونها منهاجا يقوم على العكس من المنهج الكانطي " KANT " الذي يفرق بين ظاهر الشيء " Phénomene " وباطن الشيء " Nomene " . ففي المنهج الظاهراتي لافرق بين خارج الشيء وداخله ، وبعبارة أخرى بين مظهر يبدو عليه ونستطيع ملاحظته وبين طبيعة باطنة تتستر وراء هذا المظهر ، بل وجود الشيء هو ما يظهر عليه ، وعلى هذا الأساس ، فان منهج سارتر لا يعدو أن يكون منهاجا ظاهريا أو ظاهرتيا اذ بالنسبة اليه الوجود لا يختلف عن الظواهر ، ولا يختبيء وراء الظواهر وانما هي الوجود نفسه لذا يستهل سارتر كتابه " الوجود والعدم " - " L'être et le Neant " بقوله : ((ان الظاهر هي الماهية))(٢) .

وبعد اكتشاف سارتر لهذا المنهج القائم أساسا على " القصدية " استغله الى أبعد الحدود في كتابه " الوجود والعدم " . يرى سارتر أن هذا العالم ينقسم الى وجود - في - ذاته ووجود - لذاته . فأما الوجود الأول فهو وجود مليء وهو وجود يتعلق بالمادة ، وأما الوجود الثاني فهو وجودنا نحن ، هو شعورنا ، هو حريتنا . وهذا الوجود الأخير هو وجود يتجه وباستمرار نحو الوجود - في - ذاته : ((هنا في هذه النقطة ، يستلهم سارتر فكرته من تعاليم " هوسرل " وفكرة القصدية))(٣).

ويمكننا أن نذهب في استنتاجنا هذا الى أبعد من هذا الحد وذلك بتعميقنا لمفهوم " القصدية " ، ومدى وكيفية استعمالها عند سارتر .

1) Beaufret(Jean), Introduction aux philosophes de l'existence, Les Editions de minuit , sans date , P.45.

٢) سارتر جون بول ، الوجود والعدم . ترجمة د/عبد الرحمان بدوى ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٥ .

٣) Wahl (Jean), Tableau de la philosophie Française, Ed .Gallimard, Paris 1962 , P I53 .

ان مفهوم القصدية عند هوسرل هو أن " الوعي " يوجد في علاقة مستمرة مع " الشيء " اذ لايمكن الفصل بين الوعي والشيء ، وكل وعي هو وعي بالشيء. فان هذه الفكرة نجدها قد تطورت لتأخذ مفهوما جديدا مع سارتر وهو مفهوم " الالتزام " " Engagement "، ان الوجود لذاته وهو في عملية التوجه المستمرة نحو الوجود - في - ذاته (وهو "العالم" + عموما (Envers le monde) ، انما هو في حقيقة الأمر يقوم بتجسيد ما يسمى " بالالتزام " في هذا العالم L'engagement dans le monde وهو الرأى الذى أكده أحد الدارسين اذ يقول : ((ان سارتر يبقي من فكر هوسرل على وجه الخصوص الطريقة التي تتجه نحو تصميم الحركة الأصيلة والمتمثلة في مفهوم "الالتزام في العالم))(١) .

ومفهوم " الالتزام " هذا هو الذى سيلعب دورا هاما في فكر سارتر السياسي فيما بعد ، وهو الفكرة التي سيتحرك على مستواها الفرد في مجتمعه ومحيطه السياسي ، وبهذا يكون سارتر قد تلقى من هوسرل جميع مفاتيح فلسفته .

واذا كان الأمر قد انتهى من " هوسرل " عند الأخذ بالمنهج الفينومينولوجي عموما ، فان الامر قد تعدى من فلاسفة آخرين الى مجال تبني الأفكار ، ومنه فان المصادر السارترية لم تقف عند حد " هوسرل " فحسب بل تجاوزت الى كل من هيجل F. HEGEL وهيدجر M. HEIDEGGER وكيركجارد KIRKE GAARD والى غيرهم بدرجة أقل. وقد نكون كذلك على خطأ اذا ما حاولنا وفقط شرح كل الفكر السارترى على ضوء فكر كيركجارد لأنه أب الفلسفة الوجودية .

وذهب بعض المفكرين والناقدين إلى أن كيركجارد رغم أنه يعتبر مؤسس الوجودية عموما لايمكن أن نضعه في طليعة ملهمي ومعلمي سارتر وهو الرأى الذى ذهب اليه

+ العالم: يعني هنا المجال المادى و"الغير" ، لأن الغير بالنسبة الي سيصبح موضوعا.

١) Richard (Michel) , La pensée contemporaine - Les grands courants -, chronique sociale de France , Lyon , - Co - diffusion ; Ed de Cerf, Paris , sans date, P 160 .

المفكر "جان فال" - Jean WAHL - في كتابه : عرض للفلسفة الفرنسية :((نقول من أول وهلة أنه من الخطأ عرض كل الفكر السارتري بفكر كيركجارد فان لهوسرل وهيدجر ، دون أن ننسى هيجل ، من الفضل على نشأة ، وتطوير فكر سارتر بقدر ما لكيركجارد. ونستطيع القول بأن سارتر لم يضع كيركجارد في القيمة من تأثر بهم من المفكرين الا في وقت لاحق وهذا في كتابه " نقد العقل الجدلي Critique de la R. dialectique ، وأما قبل ذلك ، فلعل المرجع الرئيسي لسارتر انما يبدو في هيجل ، ولاسيما هيجل الشاب واضع كتاب " ظاهرية الفكر " ولو حاولنا ترتيب ملهميه لقلنا : هيجل وهوسرل أولا ثم هيدجر وأخيرا كيركجارد ، أولئك هم على مايبدو ، مصدر الهام سارتر))(١) .

وهكذا ، فبعد هوسرل ، المعلم الأول لسارتر ، ننتقل الى هيجل HEGEL حيث نجد حسب كثير من الباحثين والنقاد أن جل أطروحات سارتر هي مستمدة من الفكر الهيجلي وان كان من الصعب في أول الأمر أن يتبين الباحث وبكل وضوح مدى اخلاص هذا المفكر الوجودي للفيلسوف " هيجل " . ولم يلبث جل الباحثين بعد ذلك أن اكتشفوا العلاقة المتينة الموجودة بينهما .

ان كل محاولة جادة لفهم الفكر الحديث والممتد من كيركجارد الى ماركس قد يحكم عليها بالفشل اذا ما قامت هذه المحاولة على تناس وابعاد للفكر الهيجلي . لذا فان الفكر الغربي اذ يهتم اليوم بدراسة هيجل انما يهتم به لكونه يؤمن بأنه السراج الوحيد ربما ، الذي على ضوئه يتسنى له فهم جل التيارات الفلسفية الحديثة .

ان أهمية الفلسفة الهيجلية في تاريخ الحركة الفكرية الأوروبية لا يمكن اعتبارها أهمية مبالغ فيها .

---

١) Jean Wahl , Tableau de la philosophie Française , Edition Gallimard , Paris , 1962 . P.149 .

لقد سيطر الفكر الهيجلي ولمدة طويلة على كل من الفلسفة الانجليزية والايطالية والروسية وهذا في الوقت الذي كانت تعيش فيه فرنسا على حافة الهيجلية غير أن الوضع بدأ يتغير مع مطالع الثلاثينات. ففي عام ١٩٢٩ قام " جان فال " Jean Wahl بنشر ((تعاسة الشعور أو الوعي التعس في الفلسفة الهيجلية)) Le malheur de la conscience dans la philo. de H. وهكذا انفتح الفكر الفرنسي على الفكر الهيجلي وأخذ في نشاط متزايد في الوقت الذي أخذت فيه الدول السالفة الذكر تتناساه.

ويقول " جون هيبوليت " Jn. Hypolite بهذا الصدد ، في كتابه "الانسانية والهيجلية : ((ان ما يهمنا في هيجل (...) هي أعمال شبابه ، الفينومينولوجيا ، فلسفة الدولة وفلسفة التاريخ وهذا على غرار ما كان لهذه الأعمال المتنوعة من تأثير على التيارات الفلسفية الحديثة منها الوجودية على سبيل المثال (يستند جان بول سارتر في جل الأحيان الى فينومينولوجية هيجل ، فهو يستعيد لحسابه . في كتابه " الوجود والعدم " جدلية الشعور التعس الشهيرة)))(١) .

لقد سيطر مفهوم الوجود - في - ذاته والوجود - لذاته Etre en soi et Etre pour soi في " الوجود والعدم " اذ يرى الكثير من الباحثين و النقاد أن سارتر وهو يحلل هذين المفهومين انما هو يرجع ، في الأصل ، مباشرة الى كتاب "فينومينولوجية الفكر " لهيجل وهو يحاول تطبيق وتعريف " الوجود - لذاته " ودراسة العلاقات المتبادلة بين الذوات . فمفهوم " العدم " هو ما يقابل مفهوم السلبية عند هيجل ، هذا العدم الذي يفصلنا عن الوجود وعن ذواتنا والذي يسمح ويؤهل الذات الانسانية لأن توجد . وقد انتهت الدراسات النقدية لكل من " جون هيبوليت " Jean Hypolite وكوجيف Kojeve الى القول بأن رواج وضجة الوجودية انما يعودان في أصلهما الى العبارة الشهيرة التي

---

١) Hypolite(Jean) , "Humanisme et Hegelianisme" , Figures de la pensée philosophique , Presse Universitaires de France , Paris,I97I, PI46.

استقتها الوجودية من أعمال هيجل والقائلة بأن : ((الانسان وحده له تاريخ ، أما المادة فليست لها تاريخ))(L'homme seul a une histoire , la nature n'a pas d'histoire .)(١) .

وسارتر ان يستمد من هيجل التمييز الموجود بين " الماهو - في - ذاته " " والماهو - لاجل ذاته " انما استمده كقاعدة ومنطلق ليفترقا فيما بعد اذ يصبح هذا التمييز في حد ذاته (بين الموجودين) السمة الفارقة بين السارترية والهيجلية خصوصا وأن بين هذين الطرفين من الصراع ما يجعل الخلاصة التي كان يحلم بها هيجل والمتمثلة في أن اتحادهما يحصل في المطلق ضربا من المحال عند سارتر . وبهذا يكون سارتر قد استمد مفهوم الجدل من صميم فلسفة هيجل دون أن يحتضنه برمته .

فاذا كان سارتر يختلف مع هيجل في خلاصة الصراع القائم بين هذين الموجودين فان الاثنين يجمعان على القول بأن الفكر حركة مستمرة دائبة لا قرار لها ((اني غير ما أنا ، وما لست اياه أنا هو)) (Je suis ce que je ne suis pas et je ne suis pas ce que je suis .)(٢)

لقد جعل هيجل من الصراع القائم بين الوجود - لذاته والوجود - في - ذاته والمتمثل في اغتراب الذات بين الأشياء مسارا لتحقيق المعرفة المطلقة واكتشافا للمطلق وتحقيقا للوحدة (الله) فهو بهذا يحيلنا الى اكتشاف لما هو نظري Spéculatif ومن ثم الى تفكر حول الوجود - Pensée de l'etre - انه الاكتشاف المطلق الذى يتحقق من خلال الانسان والتاريخ . فهو اذن ليس معرفة لاهوتية فقط " Théologie " ولا هي فقط انطروبولوجية كما لاحظ ذلك "كوجاف" KOJEVE . وهنا يجدر بنا أن نذكر ما

---

١) Hypolite Jean , "La phénoménologie de l'esprit et la pensée contemporaine" Figures de la pensée philosophique , Presses Universitaires de la France Paris, I97I. P. 239 .

٢) جان فال ، الفلسفة الفرنسية ، من ديكارد الى سارتر ، تر:الأب مارون خورى ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٠ .

ل " كوجاف " أحد شراح هيجل البارزين ، من بالغ الأثر على سارتر ، لقد عاب هذا الأخير على هيجل أنه لم يجنح الى الثنائية الانطولوجية رغم اكتشافه لها . وهكذا يبدو وكأن سارتر قد سمع الى نداء " كوجاف " الذي لم يتحقق من هيجل الوجودي وحققه هو (سارتر) كلية في " الوجود والعدم " وأكد بهذا الحلم " الذي طالما ناشده وتطلع اليه " كوجاف "(١) .

ان سارتر ، شأنه شأن كل مفكر وجودي ، يجعل من الوجود الانساني وجودا قلقا ثم ينطلق من هذا المفهوم معللا ومعتقدا أن الحقيقة الانسانية ، رغم مشروعها الرئيسي المنجه نحو الألوهية لاتعرف كيف تحقق هذا التعالي المستحيل ، هنا ، في هذا الموقف السلبي يستمد سارتر مفهومه من التحاليل الهيجلية الفينومينولوجية في قراءات وتحاليل جديدة لها : ((ان الحقيقة الانسانية هي حقيقة تعسة أو متألمة Souffrante في وجودها " Son Etre " لأنها تظهر للوجود " l'Etre " وباستمرار مطارده من طرف شمولية تمثلها دون أن تستطيع تحقيقها ولأنها لا تستطيع الالتحاق بالوجود - في - ذاته دون أن تضيع وتتموضع كوجود - لذاتها . فهي اذن من طبيعتها شعور تعس أو متألم ، دون تجاوز ممكن لحالة التعاسة))(٢) .

وقد تتزايد درجة تأثر سارتر بهيجل الى حد أنه حاول أن يجعل من مفكرا وجوديا في كتابه " الماركسية والوجودية " أو كما سمي أحيانا ب ((مسألة منهج)) من تعديل أو اضافة تخدم غايته . لقد لاحظ هيجل بأن اغتراب الذات في عالم الأشياء انما هو مسارها نحو اكتشاف

---

١) Hypolite(Jean),"La phénoménologie de l'ésprit et le pensée contemporaine" Figures de la pensée philosophique, P24I.

٢) Hypolite(Jean), "Du pergsonisme à l'éxistentialisme", Figures de la pensée contemporaine, P452.

المعرفة المطلقة دون أن تستطيع تجاوز تعاستها لكونها شعورا تعسا بطبعه(١) . وعلى ضوء ما نسب اليه " هيجل " نجد " سارتر" يقول : ((ان الانسان يتسبب في اغتراب نفسه مفقدا نفسه في الأشياء . ولكن فان كل تموضع أو اغتراب تتجاوزه المعرفة المطلقة للفيلسوف ، ومن ثم فانفصاماتنا والمتناقضات التي تسبب تعاستنا هي لحظات تتموضع يمكن أن نتجاوزها ، فلسنا فقط عارفين))(٢).

وقد يتضح لنا هذا أكثر عندما نعرض ، وبصورة وجيزة ، جدلية " هيجل " الشهيرة القائمة بين العبد والسيد وكيف العبد وهو يواجه الموت ينتابه رعب وخوف غير أن ذلك الخوف الذى يحس به يصبح موضوعا بسيطا للمعرفة ويصبح بعدها لحظة تحول يمكن هي نفسها تجاوزها . ٤٧١٦٨٥

يفرق هيجل بين الحياة الحيوانية والحياة الانسانية ويلاحظ بأن الحياة الحيوانية ليست هي الوجود " l'Existence " لكونها ليست وعيا بالموت ، أما الحياة الانسانية ففيها يكمن الوجود اذ الوجود الانساني يظهر في الصراع بين الذوات . فكل ذات تسعى لموت الذات الأخرى ، وهذا الصراع حتى الموت هو شرط تاريخي . والانسان عندما يعرض نفسه للخطر انما هو في حقيقة الأمر يحرص على حريته ويحتفظ بها ومن ثمة يحقق وجوده المحض : ((يحرص الانسان على حريته فقط عندما يجازف بحياته ، ويبرهن بأن ماهية الوعي الذاتي ليست هي الوجود " Etre " ولا المظهر المباشر (Immediat = التجربة الخاصة) الذى يأخذه الوعي الذاتي بادئ ذى بدء (أى قبل أن يصبح " اللامباشر "

---

١) لانها لايمكن لها الالتحاق بالوجود في ـ ذاته دون أن تفقد ذاتها كوجود ـ لذاتها .

٢) Sartre , J.P , Question de métode, Gallimard, Paris, 1960, P15.

= هو التجربة في محيطها) ولا حتى انغماسه في مجرى الحياة [...] يثبت بأنه هو فقط " وجود - لذاته محض"(١) .

واذا كان الانسان ، وهو يواجه الغير ، يدخل في صراع حتى الموت حيث يجد نفسه في مأزق ، في مواجهة من الموت ، ثم يفضل اللجوء الى الانعزال ، وهو " الوجود - لذاته المحض " ، فانما هو بهذه الكيفية يجد نفسه على وشك السقوط في الحياة الحيوانية . من هنا تجده يسعى الى منفذ يحقق به وجوده الحقيقي ، وهو الوجود الانساني ، وهذا ما نستشفه من الصراع الجدلي القائم بين العبد والسيد .

لقد بين " هيجل " كيف أن العبد قد فضل الحياة العملية على الحرية (لأن الحرية تعني مواجهة الموت) وبذلك ضمن بقاءه ، غير أنه وجد طريقة أخرى ليظهر بها كوعي ذاتي ، فصار سيد السيد " Le maitre du maitre " وذلك بالتعرف على الخوف الناتج عن الموت وبالقيام بالعمل المعد له وبالتكون في العمل . ففي العمل على وجه الخصوص يعرف العبد " للكائن الآخر " l'Etre - Autre ، وللعالم الموضوعي - Au monde objectif - ، شكل الوعي الذاتي ويضع بهذا عالما انسانيا ، وهو عالمه ، وبالمقابل فهو يعطي " لوجوده - من أجل ذاته " الذي هو دائم السلبية ، الرزانة والمقاومة واستقرارية الوجود - في - ذاته . وهكذا ، فالتقابل الذي كثيرا ما نسمعه بين الوجود - في - ذاته والوجود - لذاته يكون قد تم حله بواسطة هذه الفردية (العبد) التي حملت على عاتقها وجودها - للغير واعادة تكوينه حسب شكل الوجود - لذاته ومن ثم فالحياة الانسانية الخاصة عندنا تصبح وعيا بذاتها فهي تصبح سلبية واعية(٢) .

---

١) Hegél, Phénoménologie , op.cit ,I, PI59. Citée par Hypolite(Jean) , Figures de la pensée Philosophique, P99-I00.

٢) فكرة مبلورة مأخوذة من المصدر السابق ، ص (١٠٠ - ١٠١) .

والملاحظ هو أن هذا الصراع الأولي حيث نجد أن كل ماهو لذاته يسعى الى تحطيم " ما هو لذات - الآخر " والقضاء عليه ، هذا الصراع القائم بين هذين الموجودين هو الذي ينقله سارتر ويترجمه الى مقولته المعروفة باسم ((الغير هو الجحيم)) : ((ان "ماهو - لذات الآخر" واقع أولي شأنه شأن ماهو - لذاته وهنا أيضا نجد امكان الصراع. وبحسب كلمة هيجل : " ان كل شعور يسعى لموت الآخر " ، وهذا هو مغزى الأبواب الموصدة))(١).

وخلاصة القول تكمن في أن هذا المنهج الجدلي وهذا الصراع المستمد من فينومينولوجية هيجل هو السمة التي ستصطبغ بها مواقف سارتر الفلسفية منها والسياسية ، والتي ستكون كذلك بمثابة السمة التي يفترق بها عن الماركسية في مرحلة لاحقة .

واذا كان هذا هو ماأخذه سارتر على وجه الخصوص عن هيجل فانه قد أخذ عن الفيلسوف هيدجر بعض المعاني الأساسية منها أن الشرط أو المصير الانساني هو وجوده - في - العالم . وهذا الوجود لم يكن أمرا متوقفا على ارادته . لقد رمي بالانسان في هذا العالم فسقط فيه فلا يملك فيه التصرف. غير أن هذا السقوط هو في حد ذاته سقوط ايجابي وهو الذي يحدد الانسان ليجعله يأخذ معنا آخر وهو ((خروجه عن ...)) " Ex- Sistere " ، هذا ((الخروج عن ...)) هو الذي فيه يحقق امكانيات وجوده ... وهذا مايقوله سارتر في كتابه " الوجود - والعدم " وكذلك في روايته " الغثيان " . يرى سارتر أنه ليس مسؤولا عن وجوده في هذا العالم غير أن ماهيته مرهونة بسبق وجوده ، فهو يوجد أولا ثم يحقق ماهيته : ((اذا كان مفهوم " القصدية " ، بالنسبة الى

---

١) ادوار موروسير ، الفكر الفرنسي المعاصر ، تر: د/عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط ١١ ، أفريل ١٩٧٨ ، ص٠ ٤٤

هوسرل ، تحديدا قبليا للوعي ، فبالنسبة الى هيدجر " الموجود - في- العالم " هو التحديد القبلي للشرط أو المصير الانساني ، وهنا يعترف سارتر بفضل هيدجر ويقتدى به))(١). وبالرغم من ذلك فاننا نلاحظ فرقا بينهما في تحديد ماهية الوجود ، فبينما يراها هيدجر كامنة في ذاته أى أن ماهية الموجود - هنا Etre-Là تكمن في وجوده أو بعبارة أخرى فان الموجود - في - العالم Etre dans le monde هو نفسه الموجود خارج الذات Ex - Sistère (ويقابله في الفرنسية Etre hors de) ، فان سارتر يأخذ هذا المفهوم في صورته العادية لكن بنظرة مقلوبة ، فالماهية عنده تبقى ملحقة بالوجود - لذاته وليست بالوجود - في - ذاته غير أن هذا الأخير سابق في وجوده عن الموجود - لذاته أو بعبارة مبسطة الوجود سابق عن الماهية(٢) .

ويمكن لنا أن نتبين أكثر تأثير هيدجر على سارتر اذ ما عدنا الى ماكتبه هذا الأخير أبان الثورة العالمية الثانية، وبتاريخ ١ فيفرى ١٩٤٠ اذ يصرح بأن هيدجر كان مخلصه من المأزق الذى آل اليه فكره : ((هذا التأثير (تأثير هيدجر) قد ظهر لي أحيانا ، في هذه المدة الأخيرة ، مخلصا " Providentiélle " ، لأنه جاء يعلمني ماهو حقيقي أو ماهو أصيل l'Authenticité وما هو تاريخي أو ما يسمى بالتاريخية l'Historieité في الوقت الذى أوشكت فيه الثورة أن تجعل هذه المفاهيم ضرورية . لو حاولت تبيين ماذاكنت فاعلا بتفكيرى" Ma pensée " بدون هذه الأدوات لقلت : كنت وقعت في خوف الأمس من جديد " Peur retrospective "(٣).

---

١) Beaufret(Jean), Introduction aux philosophes de l'éxistence, les Eds de minuit, Sans date, P62.

٢) Idée prise de: Wahl(Jean), Les philosophes de l'éxistence, Ed Gallimard, Paris, I954, P2I.

٣) Citée par Anna Boschetti,"Sartre et les temps modernes", Les Eds de minuit Paris, I985, P 77-78.

ان ما نجده في فكر هيدجر - الذي هو في صورته الثقافة انطولوجية سياسية كما بين ذلك بورديو P. Bourdieu في كتابه " انطولوجية مارتن هيدجر السياسية " انما هو تعبير عن واقع تطوري " مأساوي " شامل . في هذا التعبير السياسي الذي بررته مواقفه وجد سارتر ضالته اذ وجد فيه مثالا رائعا ودقيقا لتبرير وصقل تجربته التي عاشها خلال الحرب : ((المفاهيم واللغة والمواضيع أصبحت جد معروفة : الانسان حر ولكنه " مقذوف في وضع " ، الانسان "مسؤول" ويجب عليه فعليا ، تحمل ظرفه التاريخي الخاص به ، ((أن يعيش ويفكر في فجر الثورة)) ، في مرحلة حيث هي تستمد كل معناها من ((الوجود - من - أجل الحرب))(١) .

أما عن المفكر الدانماركي سوران كيركجارد KIERKE GAARD ، فان سارتر مثله مثل باقي الوجوديين قد أخذ عنه بعض المفاهيم والمواقف الفلسفية اذ اكتشف معه بعدا جديدا للفكر ولمفهوم الذاتية . ويظهر هذا جليا عند سارتر وبالضبط عندما صرح في كتابه ((الماركسية والوجودية)) كيف أن هيجل في بحثه عن الحقيقة انتهى الى المتبين الحقيقي (الوساطة أو اللا مباشر) ورأى أن كل حزن قابل للتجاوز وهذا على عكس كيركجارد الذي توقف في آخر المطاف عند ذاتية فارغة : ((ومع ذلك كان كيركجارد على حق : ان الحزن ، والحاجة والحماس وألم الناس ، كلها وقائع قاسية لا يمكن للمعرفة أن تتجاوزها أو تغيرها))(٢) .

ونحن اذ لم نشر حتى الآن الى علاقة سارتر بالماركسية فالسبب في ذلك يعود أصلا الى سارتر نفسه الذي لم يعتن بكتب ماركس الا في مرحلة لاحقة من حياته . وهو الأمر الذي سيدفع حتى النقاد و الباحثين ، فيما بعد ، الى الوقوع في صعوبة تحديد فكره والحكم عليه .

١) Anna Boschetti, Sartre et "les temps modernes" , Les Eds de minuit , Paris , 1985 , P.78.

٢) جان بول سارتر ، الماركسية والوجودية ، تر:د/عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي ، مصر، ط٢ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

لقد أثار انتقال سارتر من كتابه " الوجود والعدم " مرورا بكتبه الأدبية ومقالاته المتنوعة الى كتابه " نقد العقل الجدلي " عددا كبيرا من ردود فعل لدى أوساط الملاحظين والمتتبعين لفكره • فمنهم من ركز على الانقطاع الجذرى بين أفكاره السابقة وأفكاره اللاحقة وهذا مع ظهور كتابه" نقد العقل الجدلي " في الوقت الذى نجد عند البعض الآخر منهجا معاكسا تماما اذ أكد على الاستمرارية والاتصال بين الكتابين(١) .

ان ما يهمنا في هذا هو أن سارتر وهو يكتب كتابه الأخير " نقد العقل الجدلي " يكون قد اعتنى بالماركسية بصفة خاصة وأدخل في اعتباره مفهوم " الخير " والتاريخ ، ومن ثم أمسى يؤمن بأن للتاريخ معنى واتجاها ، وأن ثمة ، حسب اعتقاده ، نظرية واحدة صحيحة بين نظريات التطور الاجتماعي والتركيبات الاجتماعية جميعا ، وهذه النظرية هي الماركسية • والواقع يبدو أن سارتر قد تشبع بأفكار " ماركس" لدرجة أنه ذهب الى حد التصريح : ((اعتبر الماركسية الفلسفة الوحيدة في زماننا التي لا يمكن أن تتجاوزها ، ولأنني اعتبر ايديولوجية الوجود ومنهجها الشمولي مجرد بقعة من داخل الماركسية تتولد وتنفر منها تباعا وفي نفس الوقت))(٢). فهل يمكن لنا أن نستخلص ومنذ الوهلة الأولى بأن الوجودية السارترية ماركيية المذهب؟

فلا شك أيضا أن هذا المذهب السارترى الجديد هو الذى حرك ريمون آرون ليدلي برأيه وليقول : ((حاولا كل من " مارلو بونتي" - Merleau Ponty "وسارتر" اعتناق الماركسية انطلاقا من الوجودية

---

١) Philippe Hodard, Sartre, Eds Universitaires, Jean piere Delarge , Paris 1979, P.I9.

٢) سارتر جون بول، الماركسية والوجودية ، تر:د/عبد المنعم الحفني،الناشر مكتبة مدبولي مصر ، ط H ، ١٩٧٧ ، ص٥ •

أو ربما يستحسن القول بأنهما حاولا تأسيس الماركسية على قاعدة وجودية))(١) .

وما يمكن ملاحظته على العموم هو أن سارتر بعد أن كان تفكيره منصبا على الفرد المنطوى على ذاته ، فهما هي الحرب العالمية II ، على حد تعبيره ، تشعره بضرورة " الآخر " مما اضطر الى ادخال مفهوم " الآخر " و " التاريخ " في اعتباره الفكرى وهو الشيء الذى جعله يلتقي بالماركسية . فماذا كانت نتيجة لقاء الوجودية بالماركسية عند سارتر ؟ هل وجد سارتر في الماركسية كل مايغنيه عن فكره الوجودي أم أنه بقي وفيا لما جاء في كتابه " الوجود والعدم " أم التمس طريقا ثالثا خاصة وأن سارتر يقول من جهة وبالاضافة الى ما أشرت اليه آنفا : ((إننا نكشف في عمق الحركة الفكرية الماركسية عن فجوة لاغير ، وهذا بناء على أن الماركسية ، رغما عنها ، تهدف الى حذف السائل - Le Questionneur - عن بحثه والجعل من المسؤول موضوع العلم المطلق))(٢) . ومن جهة أخرى يقول: ((محكوم علينا أن نكون أحرارا))(٣) ، علما بأن الماركسية منهب يقوم أصلا على مبدأ الحتمية ؟ هذا ما سيتضح لنا أكثر ونحن نعرض ، في الفصول القادمة فكره السياسي بالتحليل والنقد الموضوعي ، ومتى تمكنا من ذلك ، ومع الأخذ بعين الاعتبار وبكل جدية مصادر فكره السالفة الذكر ، تمكنا في نهاية المطاف من الفصل في تصنيف الفكر السياسي السارترى ومن ثمة تحديد وبكل وضوح موقفه من ثورة التحرير الجزائرية ، وتحديد بواعث ودوافع هذا الموقف .

---

١) Raymond Aron , Marxismes imaginaires, Ed Gallimard , Paris, 1970, P.14

٢) Sartre (J.P), Critique de la raison dialectique, (Précédé de: question de méthode), Gallimard , Paris, 1960, P107.

٣) Sartre (J.P), l'Etre et le Neant , Essai d'onthologie phénoménologique , Gallimard , Paris, 1979, P.565.

الباب الأول:

أسس الفكر السياسي السارتري

الفصل الأول: السياسة بين الحرية والإلتزام.

الفصل الثاني: الغير في الفكر السياسي السارتري.

الفصل الثالث: الأدب والسياسة عند سارتر.

الفصل الرابع: السياسة والأخلاق عند سارتر.

تقـول سيمـون دي بوفـوار " S .de Beauvoir " : ((لقد قـال لي سارتر ، ابان الحرب الغريبة La drôle de Guerre _ وهو الشيء الذي بعث به كذلك في رسالة له الى بريس باران Brice Parain _ بأنه بعد انتهاء الحرب واسترجاع السلام ، سيشتغل بالسياسـة))(١) .

واذا كان سارتر يسعى الى خوض غمار السياسة بعد الحرب العالمية الثانية فمن دون شك يكون قد فكر في الأمر طويلا وفي الأسباب التي دفعت به لأن لا يعيش مستقبلا على هامش العمل السياسي : ((كان سارتر يفكر كثيرا فيما بعد الحرب ، اذ كان عازما كل العزم على أن لا يعيش منعزلا عن عالم السياسة ، (...) وكان مقتنعا بأن له واجبات تجاه الشباب ، فهو لم يكن يريد أن يعيش بعد الحرب نفس الاحساس الذى عاشه المحاربون بعد الحرب العالمية الأولى اذ تراءى لهم بأنهم ((جيل ضائع))(٢) .

لاشك في أن سارتر وهو يفكر في العمل السياسي يكون قد وضع لمشروعه هذا المحاور والمبادئ الأساسية التي سيتحرك على مستواها . ومن ثم فبوصفه الانسان الذى سيخرج فكره من حيز التأمل الى حيز التطبيق يكون قد تساءل عن جوهر ومكونات هذا الانسان الوجودى . وللاجابة على تساؤله هذا ، قدم لنا أول كتاب فلسفي ضخم تحت عنوان " الوجود والعدم " و ذلك عام ١٩٤٣ ، هذا الكتاب الذى كان سبق لسارتر أن حدد مفهومه العام ونتائجه في شتاء ١٩٣٩ _ ١٩٤٠ (٣).

وقبل أن نتابع فكر سارتر الفلسفي عموما والسياسي خصوصا ، فانه يجدر بنا أن نذكر بأن ما يلاحظ على فكره أنه قد مر بمراحل وتطورات مختلفة جعلت منه فكرا يراجع نفسه في العديد من المرات اذ كثيرا ما أعاد النظر في أمور ومواقف فلسفية كان قد اعتنقها من قبل وأقرها فكان من نتائج ذلك أن جاءت كتبه تعبيرا عن تلك الحقبة التي كتبت فيها والسبب في ذلك يعود الى تطور فكره من جهة والى مجموعة من الأسباب من جهة أخرى بعضها يعود الى عوامل موضوعية والبعض الآخر يعود الى عوامل ذاتيـة(٤) .

---

١) Beauvoir(S.de), la force des choses I,Gallimard, Paris, I963, PI6.

٢) Parôle de S.de Beauvoir, (Février I940), reprises par: Jeanson(Francis) Sartre dans sa vie, Ed du Seuil , Paris, I974, P34.

٣) Burnier(Michel-Antoine), les existentialismes et la Politique,Gallimard, Paris, I966, P22.

٤) Colombel(Jeannette), J.P.Sartre, : Un homme en situation,T.I,Librairie Generale Française, Paris, I985, P28.

ومن هنا يمكن أن نقول أن كتاب " الوجود والعدم " هو كتاب قد جاء ليعبر عن احدى مراحله الفكرية الأولى ، هذا " الوجود والعدم " الذى هو : ((يعيد رسم تجربة داخلية لا تستبطلة البتة الى التجربة الخارجية - التي أصبحت ، في مرحلة معينة ، مأساوية تاريخيا - للمثقف البورجوازي المفير الذى كنته . ذلك أنني كتبت " الوجود والعدم " - لايغيبن عن ذلك - بعد هزيمة فرنسا))(١) .

ومن جملة المبادئ الفلسفية والرئيسية التي يضعها سارتر في " الوجود والعدم " هو أن " الوجود الانساني سابق عن ماهيته " ، وأن هذه الماهية تقوم أساسا على مبدأي الحرية والالتزام . فما مفهوم الحرية أولا ؟

ان " الوجود والعدم " هو عبارة عن دراسة انطولوجية " للوعي - في - العالم " La conscience dans le monde . - وكل من شطري هذه العبارة يمثل نوعا من الوجود . فالشطر الثاني وهو " العالم " يمثل الوجود - في ذاته Etre-en-soi ، ذلك الوجود الذى يتحدد على النقيض من الوجود - لذاته ، اذ لا يحتوى على أى فكر ولا حركة وهو بهذا وجود ملئ ... انه وجود الأشياء ووجود العالم : ((ان الوجود - في - ذاته غير مخلوق وليس له علة وجود ، (...) ، انه فاعلية لا يمكن أن تفعل ، لأنه تعجن بذاته (...) . انه لم يكن ينطوي على أي سلب ، انه ايجاب ملئ))(٢) .

وأما الشطر الأول من العبارة والمتمثل في " الوعي " فهو ذلك الوجود الذي يسميه سارتر بادئ ذي بدء الوجود - لذاته Etre- Pour- Soi ويعرّفه بأنه وعي بذاته وبوجوده وانعدام للوجود - في ذاته . فهو : ((الوجود الذى يحدد نفسه على أن يوجد على أساس يجعله لا يتصادم مع ذاته))(٣) . كما أنه ((يتحدد دائما بأن لا يكون ماهو - في - ذاته وضد ماهو - في - ذاته))(٤) .

---

١) سارتر (جون بول) ، دفاع عن المثقفين ، تر: جورج طرابيشي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧٤ .

٢) سارتر (جون بول) ، الوجود والعدم ، تر : د/عبدالرحمان بدوى ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٦ - ص ٤٣ و ٤٥

٣) المصدر نفسه - ص ١٢١

٤) المصدر نفسه - ص ١٧٠

والجانب الإيجابي في هذا هو ذلك " العدم " الناتج عن الوجود - لذاته تجاه الوجود - في - ذاته والذى يأخذ صورة الحرية التي هي سبب وجود القيم والمعاني : ((والوجود بالنسبة الى ماهو - لذاته ، هو اعدام ماهو - في - ذاته الذى هو • وفي هذه الأحوال الحرية لا يمكن أن تكون شيئا آخر غير هذا الاعدام))(١).

ولهذا نجد سارتر يوافق على الفكرة التي جاء بها الفيلسوف هيجل والتي يرى من خلالها أن مصدر السلب هو الروح l'Esprit اذ يقول : ((فهيجل هو المحق بالنسبة الى هيدجر عندما صرح بأن الروح هو ذاته السلب))(٢) .

وهكذا نكون قد لاحظنا في فلسفة سارتر أن الوجود - لذاته أو الوعي أو السلب أو العدم كلها مرادفات لمفهوم الحرية ومن ثمة فالحرية ليست الا الوجود الانساني بل الانسان هو الحرية نفسها : ((هكذا فالحرية ليست بوجود، بل هي وجود الانسان ذاته أى هي اعدامه الوجود))(٣) .

فالحرية اذن هي جوهر الانسان ، وهذا ماكان - على وجه الشبه - قد نسب اليه هيجل تقريبا عندما قال : ((فكما أن ماهية المادة هي الثقل (الجاذبية Gravity) ، فاننا من ناحية أخرى يمكن أن نؤكد أن جوهر أو ماهية الروح هي الحرية))(٤) .

أما الشيء الذى نريد أن نلفت الانتباه اليه هنا هو ما نوع العلاقة الموجودة بين الماهو - في - ذاته والماهو - لذاته مع العلم أن سارتر يصرح بأن الوجود - في - ذاته هو وجود زائد ؟(٥)

---

١) المصدر نفسه ص ٧٠٢

٢) Sartre(J.P), l'Etre et le Neant, Essai d'onthologie Phénomenologique, Gallimard, Paris, 1943, P54.

٣) Idem - P565.

٤) هيجل(فريد بريك)، محاضرات في فلسفة التاريخ ، العقل في التاريخ، تر:د/ امام عبد الفتاح امام ، ط ٩ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٨١، ص ٨١

٥) " ان الوجود - في - ذاته غير مخلوق ، وليس علة وجود ، وليست له علاقة بموجود آخر ولهذا هو زيادة بالنسبة الى السرمدية " (الوجود والعدم - ص ٤٣).

انطلاقا من " الوجود والعدم " فان كل كائن انساني ، وتبعا لعبارة هيدجر هو " كائن - في - العالم " ونحن في العالم بجسمنا أيضا ومنه فالجسم ليس مجرد غير ضروري بالنسبة الى الذات بل بالعكس فهو البنية والشرط الدائم لكياني ولامكانية وعيي كوعي في العالم ، فالجسم أساسي في الوعي (١) .

(غير أننا نلاحظ) واذا تابعنا البحث في العلاقة الموجودة بينهما للاحظنا أنه يوجد بين الوجود - لذاته والوجود في ذاته ضروبا من التعارض والاتصال في آن واحد . والسؤال من مجموعة الأسئلة الأساسية هو أن نعرف أيهما يأتي أولا ، الوجود - في - ذاته ، أم الوجود - لذاته . فاذا كان السابق هو الوجود - لذاته نكون قد اعتنقنا المذهب المثالي ، واذا كان السابق هو الوجود - في - ذاته نكون بازاء المذهب الواقعي ، بل ، ان لم يكن هناك ازدواج في الدلالة ، يبدو أن ثمة اجابتين ممكنتين . فالوجود - لذاته يظهر كثقب داخل الوجود - في - ذاته (٢) وعلى هذا يمكن أن نفكر في أن الوجود - في - ذاته هو السابق ويكون لدينا هنا الوجه الواقعي من المذهب . ولكن ليس هناك وجود - في - ذاته الا ويكون من أجل الوجود - لذاته ، وفي هذا تأكيد أولوية الوعي ، وهو شيء معتاد وتقليدي في فرنسا (٣).

ويذهب سارتر من جهة أخرى الى الجمع بين الحرية ومفهوم الاختيار اذ يقول أن الحرية تبقى مقرونة دوما بالاختيار بل هي الاختيار ذاته :((وهكذا فان الحرية هي حرية الاختيار ، وليست عدم الاختيار ، بل عدم الاختيار يعني اختيار عدم الاختيار))(٤).

واذا كان الانسان يختار لنفسه فهو بهذا يختار مستقبله ، يختار مايريد أن يكون ، ولأنه محكوم عليه بالحرية فهو على الدوام ليس الا مشروعا ، الشيء الذى يحيلنا الى أنه مسؤول عما يكون عليه ، أن مسؤوليته الكاملة هذه تمتد وتتعدى

---

١) Idée developpée par **Foulqui(P)**, l'Existentialisme, Presse Universitaire de France, Paris, 6eme Ed , 1972, P 76.

٢) " الوجود - لذاته (...) محاط من كل الجوانب بالوجود - في ذاته (...) " (الوجود والعدم " ص ٤٢٩)

٣) **Wahl(Jean)** Tableau de la philosophie française, Gallimard, Paris, 1962, P150.

٤) Sartre(J.P), l'Etre et le Neant, P 561 .

الى الناس جميعا . فالانسان بوصفه فردا فهو عندما يختار انما يختار لسائر الناس لذا يقول سارتر : ((فالانسان كونه محكوما عليه بالحرية ، فهو يحمل على كتفيه ثقل العالم كله : انه مسؤول عن العالم وعن نفسه كوجود))(١) .

فما هو المحتوى المنطقي لمفهوم المسؤولية؟ وماهي المطالب التي ينطوي عليها ؟

أن يكون الانسان مسؤولا معناه أن يشعر بالحتمية التي تنشأ عن وصفه فردا يعيش داخل الجماعة ، حتمية تبرير وتفسير أفعاله .

ان مدلول المسؤولية هي أن يكون الانسان مسؤولا عن فعله وهذا يعني أيضا أن يعترف بأنه الفاعل ومن ثم يتحمل النتائج المترتبة عن فعله أي الجزاء(٢) والفعل من طبيعته يحتاج الى " فاعل " وهو مايسمى الجانب الذاتي في المسؤولية الشيء الذى يجيب عن سؤالنا : من المسؤول ؟ ويوجد بالمقابل " شرعية " تتابع الفاعل وتجازيه وهي ماتسمى الجانب الموضوعي في المسؤولية الشيء الذي يجيب عن سؤالنا : أمام من الانسان مسؤول ؟

ومن هنا فالمذهب اللامسؤول هو ذلك المذهب الذى يحطم الجانب الموضوعي في المسؤولية ويرفض بهذا قيمة "السلطة" " La valeur d'autorité " التي تفرض على المجتمع الانساني نوعا من القوانين المنظمة له وفي نفس الوقت تأخذ بالجانب الذاتي فقط الذى - دون شك - يأخذ نموا غير عاد في هذا الجانب المنظم له ، ويكون هو نفسه الفاعل والحاكم والمحكوم . أو قد يكون مذهبا يضع محل شكوك حقيقة " الفاعل " وهذا باذابة الجانب الذاتي مع ابقاء فقط الجانب المنظومي فيكون بهذا فاعلا لا مسؤولا .

---

١) Sartre(J.P), l'Etre et le Neant, P 639 .

٢) Didier JULIA , Dictionnaire de la philosophie, Librairie Larousse, Paris 1964, P 268 .

أما سارتر فهو يعرف لنا المسؤولية بأنها (ذلك الشعور) شعور الانسان الذي يخوله أن يكون بطال أفعاله وبالضبط : ((شعور الانسان بأنه ، وبدون منافس الفاعل لأي حادث أو لأي موضوع))(١). ولكن الظاهر هنا أن التعريف الذي قدمه لنا سارتر يبدو ناقصا ، وذا طرف واحد وغير متكامل(٢) ، ومن هنا نتساءل كيف سيعيش الانسان السارتري بهذا المفهوم ضمن مجتمع سياسي حيث مفهوم المسؤولية يأخذ ، دون شك ، مفهوما مغايرا تماما لهذا المفهوم .

وقد يقول سارتر أن كون الفرد لا يعيش وحيدا في هذا العالم فهو بهذا يكون مسئولا من جهة ويشارك الآخر الذي يلعب دور الحاكم ، من جهة أخرى. فالفرد لايستطيع أن يكون خيرا أو شريرا الا من خلال " نظرة " الآخر ، هذا الآخر الذي يحوّله بنظرته هذه وحكمه الى " موضوع " وهو بهذا يحوّله الى وجود - في - ذاته .

ولكن لكي يتقبل الفرد أو الفاعل هذا الحكم ينبغي عليه أن يسترد حريته أولا ثم يقبل بذلك الوضع أو الحكم الذي أراده الآخرون قصد غايات أخرى ، ومن ثم فالمسؤولية لا تفهم الا في اطار الصراع القائم بين الحريات . فالمسؤولية بهذا الشكل هي ناتج منطقي لحرية الفرد اذا كانت أفعاله كلها أفعالا ضد حرية الآخر . ولكي يتضح هذا أكثر نطل ، وباختصار ، موقف سارتر من " جان جونيه " Jean Genet عندما يكتشف هذا الأخير بأنه سارق بحكم نظرة " الآخر "(٣) .

ان فعل " جان جونيه " قد تحول فجأة تحت نظرة الآخر الى الشيء الذي جعله يكتشف نفسه كموضوع بالنسبة الى الآخرين ، فالآخرون قد أسموه " السارق " فبالآخرين وأمامهم يكون " جان جونيه " مسؤولا عن فعله . هذا الفعل الذي يحمله على عاتقه طوال حياته مع تحمل كل ما يترتب عن ذلك مستقبلا . فلنتأمل الموقف جيدا :

---

١) Sartre(J.P), l'Etre et le Neant, P.639.

٢) Idée prise et développée à partir de: Philippe Hodard, Sartre, Ed universitaires, Jean piére Delarge, Paris, 1979. P.23...25.

٣) Sartre(J.P), Saint Genet, Comedienet Martyr, Gallimard, Paris, 1970.P26.

اذا كان جان جونيه قد تحمل مسؤولية فعله[١] فلأنه أخذ هذا الأمر على أساس أنه وجود كان عليه أن يعيش بوجوده الماضي في اطار وجوده الحاضر بمع عدم وجود أية امكانية تسمح له بأن لا يكون كذلك ، وهو الشيء الذى لا يعني ، على العكس من ذلك ، أنه لا يستطيع أن يتخذ موقفا ازاء ماكان عليه في الماضي أو بعبارة أخرى ، ازاء التموضع الذى تسببت فيه نظرة الآخرين ساعة قيامه بفعل السرقة ، مع التذكير أن سارتر يعرف الوجود ـ لذاته على أنه وجود يسعى باستمرار الى أن يفر من ذاته وهذا لأنها وجود تعكس وجوده الماضي: ((الماضي يعطى كوجود ـ لذاته وقد أصبح وجودا ـ في ـ ذاته))[٢] ولأنه (الوجود ـ لذاته) يحدد على أساس : ((أنا أختار ذاتي باستمرار ولا يمكن أن يكون اختيارى قائما على الماضي لأن ذلك يحيلني الى السقوط بما يسمى الوجود ـ في ذاته))[٣] . من هنا يمكن لنا أن نقول أن قولنا أن " جونيه " محكوم عليه أن يحمل فعله على عاتقه هذا يعني ، لا أكثر ولا أقل ، أن عليه أن يعيشه وهذا ما يجعل في استطاعته الاعتراف بأنه قام بهذا الفعل ولكن في وسعه أيضا أن يأخذ موقف تجاه فعله أو عمله وذلك امابقبوله أو فعله .

من هنا نلاحظ أن الفرضية التي انطلقنا منها ليست هي التي انتهينا اليها " فالغير "من خلال " الوجود ـ العدم " لا يمثل الجانب الموضوعي للمسؤولية أو السلطة التي أمامها يكون الفرد واقعيا وأخلاقيا مسؤولا. فاذا كان " جونيه" قد تقبل كل ما ألحق به ، فانه كان أيضا بامكانه أن يرفض ما لحق به . ومن هنا فاذا كان الفرد السارترى مسؤولا انما يكون وفقط مسؤولا أمام نفسه الشي الذى يعني أنه مسؤول أمام " اللاشيء " وهو التعريف الذى يؤكده أحد أبطال سارتر فيما بعد فيقول : ((من واجبنا أن نفعل ما نريد ، وأن نفكر في كل مايبدو لك صحيحا أو سليما وأن نكون مسؤولين فقط أمام ذواتنا وأن نضع باستمرار محط تساؤل كل

---

١) Idée développée par Philippe Hodard, Sartre, Edit Universitaire, Jean . pière Delarge, Paris. 1979, P.P 27-28.

٢) Sartre(J.P), l'Etre et le Neant, P.163.

٣) Idem - P.560 .

الذي نفكر فيه (Tout ce quón pense) وكل العالم))(١). وخلاصة القول تكمن في اذا ماكان سارتر قد غيّر من نهجه هذا في كتبه اللاحقة خاصة في كتابه "نقد العقلي الجدلي" أم أنه بقي وفيا له وهو الشيء الذي سنعرفه عند أوانه .

وبعد أن بيّن لنا سارتر كيف أن الانسان الوجودي هو حرية كاملة وأن عليه أيضا تحمل مسؤولية كاملة ، يضيف مفهوما جديدا اذ يرى أن : (("الوجود - لذاته" حرّ ولكن في ظرف" Condition " ، وهذه العلاقة الموجودة بين " الظرف" والحرية هي التي نسعى الى ضبطها تحت اسم " الموقف"))(٢) .

فمفهوم " الموقف" بالنسبة الى سارتر هو أن يوجد الانسان بين الأشياء في هذا العالم الذي " ترك" فيه Délaissé كما يقول هيدجر ، وبعبارة أخرى فهو المجال الذي يتم فيه الجانب التجريبي والتطبيقي للحرية . فقد يولد الانسان فقيرا أو غنيا وقد يولد أسود كما يولد أبيض البشرة ، ... وهو ليس حرًا في هذا ولا مسؤولا عليه . لكنه ، وهو يوجد بهذه الكيفية ، انما يدخل في صراعات متعددة ويواجه عراقيل متنوعة ، وانطلاقا من هذه العراقيل وفي وسطها يشعر الانسان بأنه حر : ((لا توجد حرية الا في اطار " الموقف" ولا " موقفا " الا بالحرية ، فالحقيقة الانسانية تواجه في كل الأماكن مقاومات وعراقيل والتي لم تكن سببا في ايجادها ، ولكن هذه المقاومات و العراقيل لا تأخذ معناها الا في اطار الاختيار وبالاختيار الحر ، هذا الاختيار الذي هو علّة وجود الحقيقة الانسانية))(٣).

وهكذا نجد أنفسنا أمام " حرية " لاتقوم الآ على أساس " اللاحرية " وبهذه الصورة يصبح مفهوم " اللاحرية " أو " الموقف" هو الشرط القبلي لمفهوم الحرية السارترية والذي على ضوئه تتحدد وهو الشيء الذي يبدو مناقضا للتعريف الذي ذهب اليه سارتر في بادئ الأمر عندما أكد أن الحرية لا تساوي الا ذاتها ولا شيء يحدها غير ذاتها :((الوجود - لذاته حر وحريته وحدها هي التي تحد ذاتها)) ،

---

١) Sartre(JP), L'age de raison, Gallimard, Paris, I972, PI74.
٢) Sartre(JP), L'Etre et le Neant, P602.
٣) Idem, P569.

((كمــا أن التفكير La pensée ، حسب الفيلســوف سبينــوزا Spinoza ، لايمكن أن يكــون محدودا الا بالتفكــير))(١) .

وذهب " جان فال " الى القــول بأن سارتر عندما قال بأن الانسان حر ، فذلــك لأنــه يريد أن يؤكد بأننا جميعا أحرار بقدر متساو . فالسجــين حر بنفس المقــدار الذى نجده عند الطليق ، فلاوجــود لدرجات في الحرية وأن الحرية تبقى كاملة في جميــع الأحــوال ، فان مذهبه هذا ، ان لم يكن مناقضا للمــألوف ، قد جاء واضحــا الى حــد مــا لو لم يقحمــه بمــفهوم " المــوقف " وهو أن الانســان يوجد دائمــا في مــوقــف ، وهذا يجعلنا أمام تصريح سارترى مزدوج : من جهة أن الحرية مساوية لذاتها ومن جهة أخرى أنها في علاقة مع " الموقف " وهذا التصريح المزدوج يوجد فقط على مستـــــوى " الوجــود والعدم "(٢) .

وهكذا ، فمــن خلال مــفهوم " الموقف " نجد سارتر قد خرج من المجال المطلق الى المجال النسبي ، من مفهوم الحرية اللامــــشروط الى مــفهوم أننا : ((لا نــظهــــر أولا ثــم نــقذف في مــواقف ، بل وجودنا في مــوقف هو فـــوري))(٣) .

ومادام الانســان حــرا وموجــودا في مــوقف فان وجــوده هذا هو وجــــود يجــعله مــســؤولا عن أفعاله واختياراته ومن ثمــة فهو بهذا وجــود" **ملتزم** " Engagée فالانســان لا يوجــد في هذا العالــم الا في صورة الالتزام ولا يمكن لـه أن يشعر بوجــــوده الا على هذا النحــو :((فلا يمكن أن يكون هناك وجود ـ لذاته حر الا اذا كان ملتزمــا وفي عالم مــقاوم Résistant . وخارج هذا الالتزام فان مــفاهيم الحرية و**الحتمية** والضرورة تفقد من خــصوصيتها الى حــد فقدان معــانيها))(٤) . ولقد لاحــظ سارتر ، ابان الاحتلال الألمــاني لفرنسا بأن الشعب الفرنسي قد فقد كل حــقوقه وفي مــقدمتها حـــــق الكلام . وكانت النازية تطارده حيثمــا كان ، ومع ذلك لم يكن في مقدوره الا السكــوت وبالرغم من ذلك : ((لم نكن في وقت من الأوقات أكــثر حرية مما كنا عليه تحت الاحتلال

---

١) Ibid , P608.

٢) Jean Wahl, Tableau de la philosophie Française, Edi.Gallimard, ParisI962PI5I

٣) Sartre(JP), L'Etre et le Neant, P76.

٤) Idem , P563..

الألمـاني .(...) . وبما أن السـم النازى كان يتسلل الى أفكارها فان كل فكـرة صحيحـة كانت انتصـارا ، وبما أن شرطة غاية في القـوة كانت تحاول اجبارنــا على السكوت ، فان كل كلمـة أصبحت غالية كاعلان عن مبدأ . وبما أننا كنا مطارديــن فان كل حركة مـن حركتنا كان لها وزن الالتـزام))(١) .

ان انتقال سارتر من مفهوم الحرية الخالص الى مـفهوم الموقف فالالتزام ومن دون شك أول مـنعرج في تفكيره وذلك بالمقارنة مع ماجاء في رواية الغثيان حيث يتجـلى الانسـان الفـرد منعزلا ومنطويا على ذاته وكأنه تنبأ بأن الانســا ن السارترى لا يمكن له أن يكون سياسيا الا اذا خـرج من الانطـواء على الذات الـــى مـــفهوم الالتـزام .

ولعل الجانب الأكـثر سلبا وتشاؤما في فلسفة سارتر - وكثيرا ماوصفـت بالتشاؤم - يكمن في النتائج المتـوصل اليها والتي لا أراها الا عبارة عن تحصيـــل حـــاصل .

فبعد المعطيـات المـنطلق مـنها والمتمثلة في أن الوجود - لذاته وجـود بلا سبب ولا تــفكير ، وهو مـسؤول عن كل شيء الا عن وجوده - في - هذا العالم انتهى في كتابه " الوجـــود والعدم " الى القـــول أن : ((الانسان حماسة لا فائدة فيها))(٢) وأن ((كل شيء يحدث وكأن العالم والانســان في العالم لم يتمكنا الا من تحقيق الهـــا غائبـــا " Dieu manquant "(٣) وأقل ما يمكن أن يلاحظ هو أن علـــى قدر صحـة المـقدمـات تأتي صحة النتائج .

لقد لاحـظ كـثير من النقاد أن محاولة سارتر هذه تنكر الاتصال بـــين الموجـودات وظنوا أن سارتر قد احتفظ بحالة الاتصال الحقيقي لذلك المجلد الثانـــي الذى لم يظـهر أبدا الشيء الذى دفع بهم الى الحكم بأن " الوجود والعدم " انما هـو

---

١) جان فال ، الفلسفة الفرنسية بين ديكارت الى سارتر، تر: فؤاد كامل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٦٤ - ١٦٨

٢) Sartre(JP), L4Etre et le Neant, P708.

٣) Idem , P713.

محاولة ناقصة أو فاشلة ، واذا كان الناقد يريد أن يهاجم سارتر فأحرى به أن يهاجم أسس المذهب ، أعني أساطير الـ مرجود - في - ذاته والوجود - لذاته والعدم والوجود . والملاحظ على العموم أن سارتر هو في حد ذاته لم يكن في اعتقادنا راضيا على محاولته الأولى هذه ، وذلك لأنه لم يأتنا بالمجلد الثاني الذى يبدو ضروريا لاكمال ما جاء في المجلد الأول . ان محاولة سارتر الأولى هي أشبه ماتكون بمحاولة هيدجر المتمثلة في كتابه " الوجود والزمان" . فكل واحد من هذين الكاتبين لم يحرص على مواصلة الكتاب الذى بدأه ، وكل منهما قد انعطف في طريق يؤدى به الى اتجاه مختلف : الأول نحو نظرية في الوجود ، والثاني نحو نظرية في المجتمع (١) .

وما يمكن أن نستخلصه نحن ، وبناء على ماتقدم ، هو أن مفهوم الانسان السارترى المعرّف والمحدّد في " الوجود والعدم " هو مفهوم يبدو باطلا من أساسه ولعل مايدعم قولنا هذا هو مايتجلى في كتب ومواقف سارتر السياسية اللاحقة اذ كثيرها ينافي مبادئ محاولته الأولى بدءا من فكرة اخفاق الاتصال بين الموجودات الى أن " الانسان حماسة لا فائدة فيها " : ((ان الحرب هي التي نسفت أطر فكرنا الهرمة))(٢) .

ترى سيمون دى بوفوار(٣) ، وهو الشيء الذى أشار اليه كذلك فرانسيس جنسون (٤) ، أنه في أواخر مارس ١٩٤١ عاد سارتر الى باريس ، لكن عودته هذه لم تكن ليتمتع بحريته ولكن من أجل " التحرك " Agir (...) وأخبرها بأن عليهم أن يتحدوا وذلك ليقوموا بتنظيم المقاومة ، وعلى اثر هذا ، أقام سارتر أول تجمع سياسي حضره كل من : سيمون دى بوفوار ، جاك لوران بوست Jacques-Laurent Bost ، جون بويون - Jean Pouillon الى جانب هؤلاء مارلوبونتي M. Ponty وبعض المثقفين ، ونظرا لكون اتجاهات الأفراد كانت متباينة

---

١) جونسون فرانسيس ، سارتر بقلمه ، تر: خليل صابات ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٢ .

٢) Sartre(JP), Critique de la raison dialectique, P 24.

٣) Beauvoir(S.de), La force de l'âge I, P.P 459-460.

٤) Jeanson(F), Sartre dans sa vie, P I29.

الشيء الذى أثار رجال اليمين ضده ورموه بالضعف لسبب أنه تجاوز خصومته مع اليسار . لكن موقف اليسار هذا (كان في غاية) - كما رأت ذلك سيمون دويوفوار - كان في غاية الحمق ، وهذا لا لشيء الا لأن الجماهير ، وقتها ، جميعها كانت تسير وراء الحزب الشيوعي وأن الاشتراكية لايكتب لها النجاح الا بواسطته . ومن جهة أخرى ، عرف سارتر ، عندئذ ، أن علاقته مع البروليتاريا ستضعه محل شكوك واتهامات(...) كما أنه اكتشف ضرورة انتمائه الى الآخرين مع اكتشافه لمفهوم التاريخية الذى علمته اياه الحرب(...) . لقد كانت تلك هي بداية التفكير ليما نشره أخيرا في ((الشيوعية والسلم))(١) .

ويوضح سارتر فيما بعد الأمر الذى غير في أفكاره ومواقفه فيقول : ((ولم تغيرني قراءتي هذه لكارل ماركس ، ولكن ، وبالمقابل فالشيء الذى بدأ يغيرني هو واقع Realité الماركسية ، هو الحضور الثقيل Lourde Présence ، على أفقي à mon horison لجماهير العمال ، حشد هائل ومظلم Sombre كان يعيش الماركسية ويمارسها ، وكان يفرى على البعد وبشكل لا يقاوم البورجوازيين الصغار (...) لكننا عندما كنا نتصور تلك الفلسفة (الماركسية) باعتبارها تصميما واقعيا للبروليتاريا وكمعنى كامن وعميق لكل حركاتها - لذاتها وفي - ذاتها - وقتها كانت الماركسية تأخذ بأيدينا دون مقاومة منا ودون أن نعرف ذلك وكانت تغير كل ما حملناه من ثقافة))(٣)(٢) .

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P I8.

٢) Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique, Précédé de: Question de Méthode, P 23.

٣) " ففي سنة ١٩٢٥،(...)، لم يكن هناك كرسي للماركسية في الجامعة،(...) . وفي تلك الفترة بالتقريب قرأت كتاب " رأس المال " وكتاب " المثالية الألمانية "(لكارل ماركس) : وبدا كل شيء في غاية الوضوح - لكنني في الواقع لم أفهم أى شيء ، لأن الفهم يعني أن تغير من نفسك " . (من نقد العقل الجدلي مسبوق ب: مسألة منهج ، ص ٢٢ و ٢٣) .

وهكذا نلاحظ على أن من أقوى التأثيرات على فكر سارتر كان الجانب الواقعي للماركسية ، وخوفا من أن يوضع على الهامش من طرف البروليتاريا أبى الا أن يكون في صفهم (الشيء الذى)، فكان من نتاج هذا التطور أن تبلور له اتجاه فكرى جديد وهو الاتجاه الذى اطلق عليه بعض الباحثين اسم "النهج الثالث" ولم تكن أسباب التأثير لتقف عند هذا الحد ، فمن المعطيات التي لعبت كذلك دورا هاما وكان لها أثر كبير في نفوس المثقفين الفرنسيين ومن بينهم الفيلسوف سارتر نجد على رأسها تصاعد الحرب الباردة التي كانت تدور رحاها على مستوى كتلتين رئيسيتين متصارعتين الشيء الذى تسبب في تضاعف حدة الصراع التقليدى المتواجد بين التيار الشيوعي والرأسمالي ، وذلك سواء أكان على مستوى الفكر الفلسفي أو السياسي . هذا التصاعد دفع سارتر الى أن يأخذ موقفا تجاه النقيضين ، وتجاه الأحزاب المتعددة التي ظهرت في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية نذكر منها " تجمع الشعب الفرنسي "(R . P . F) و" تجمع اليساريين الجمهوريين"(R . G . R)، والتي كان كل واحد منها يدعي الثورة من أجل تحرير فرنسا من أوضاعها المريضة : ((وفي عهد كعهدنا الحالي في فرنسا ، حيث تتناصر هدة أحزاب يدعي كل منها أنه يريد الثورة ، في عهد كهذا لايعني الانطواء(١) أو الاندماج أن ننظم الى أحد هذه الأحزاب ونعمل له ، ولكنه يعني أن نوضح المفاهيم لكي نظهر حقيقة موقف كل منها فنستطيع أن نؤثر على هذه الأحزاب الثورية))(٢) .

وقبل الانخراط في أى حزب ، في شهر جوان ١٩٤٦ وبعد أن غادر ريمون آرون R. ARON مجلة " الأزمنة الحديثة " اذ فضل وقتها الوقوف في صف الولايات المتحدة الأمريكية ، كان سارتر رفقة مارلوبونتي M.Ponty وأمام تصاعد الحرب الباردة قد صرحا أنه في حالة تصادم بين الجبهتين سيقفان في صف الاتحاد السوفياتي(٣) وهو الشيء الذى مهد لقبول سارتر طلب الانظمام الى لجنة " التجمع الديمقراطي الثورى ". الذى أسس في بداية عام ١٩٤٨ من طرف صحافيين وثوريين من اليسار المتطرف اللاشيوعي :

---

١) راجع محاورات في السياسة تجد أن الانطواء عنده يعني الاندماج في حزب ان دعت الحاجة الى ذلك .

٢) سارتر (جون بول) ، الوجودية مذهب انساني ، تر: د/كمال الحاج ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٩٥

٣) Burnier(Michel-Antoine), Les Existentialistes et la politique, P38.

جورج ألتمان G. Altman ، جون رو Jean Rous ، جيرار روز نطال G. Rosenthal وخاصة دفيد روسي D. Rousset وهو عضو قديم في الحزب الشيوعي العالمي (P.C.I) ، وكان سارتر رئيسا له ، ومن جملة أهدافه : ((استرجاع الديمقراطية التقليدية الكبرى للاشتراكية الثورية)) لأن ((" التجمع الديمقراطي الثورى" لا يستطيع أن يكون اذا لم يعد أولا الى الطبقة العاملة))(١) ، وكان يعتقد أصحاب هذا " التجمع " أن الطبقة المتوسطة وطبقة البروليتاريا هما طبقتان متجاذبتا الأطراف بين النزعة الانسانية من جهة والنزعة التطبيقية الشيوعية من جهة أخرى وهذا التمزيق لا يمكن له أن يحل الا في اطار حركة تريد أن تكون وسطا بين الحزب الاشتراكي الفرنسي العالمي للعمال S.F.I.O. والحزب الفرنسي الاشتراكي و الديمقراطية الرأسمالية وعلى اثر هذا كان أول نداء للجنة التأسيسية لهذا الحزب ومن أهم ما جاء فيه : ((بين تعفن(Pourrissement) الديمقراطية الرأسمالية ، (...)، وضعف وسلبيات أو عيوب (Les Tares) بعض المجتمعات الديمقراطية وحصر الشيوعية في صورتها الستالينية ، فاننا نظن أن تجمع بعض الرجال الأحرار من أجل الديمقراطية الثورية لقادر على الاتيان بحياة جديدة لمبادئ الحرية وللكرامة الانسانية وذلك بربطهما بالكفاح من أجل الثورة الاجتماعية))(٢) كما نشر هذا التجمع بأنه يسعى جاهدا من أجل((تحضير(...) العمال لأن يسيّروا وبطريقة مباشرة مصانعهم))(٣) .

وبناء على هذا النداء فاننا نستنتج أن سارتر قد أكّد مرة أخرى على اكتشاف عيوب انسان " الوجود والعدم " ، هذا الانسان المنطوى على ذاته الذى لم يتمكن من أن يجد مكانا بين الآخرين ، بين الجحيم(٤)، فوجد نفسه في آخر المطاف مضطرا غير باغ أن يعوّض مفهوم " الوجود" بواقع الماركسية ويبقى

---

١) Sartre(J.P), Rousset(David), Rosenthal(Gérard),Entretiens sur la politique Gallimard, 1949, P 65.
٢) Citée par: M.A.Burnier, Existentialistes et Politique, P 64.
٣) Citée par: M.A.Burnier, Existentilistes et Politique, P 69.

٤) لأن سارتر كان يرى أن الآخرين هم الجحيم، أنظر الأبواب الموصدة .

مفهوم " العدم " الذى هو الحرية الانسانية مما سمح له بأن يأخذ طريقا ثالثا وذلك بالجمع بين البرجوازية والشيوعية ويكون بهذا قد طعم عبارة ماركس الشهيرة فاصبحت في مفهومه الجديد : ((ياعمال ويا أحرار العالم اتحدوا))(١) .

ولقد تلقى هذا " التجمع " السياسي هجومات عديدة سواء من طرف الحزب الاشتراكي الفرنسي العالمي للعمال الذى هدّد بالفصل كل من حاول أن ينتمي الى هذا التجمع أو من طرف الحزب الاشتراكي الذى خاف أن ترفض مساعداته لو حاول تقديمها لهذا التجمع خاصة بعدما علم أن رئيسه هو سارتر الرافض لكل منظومة(Système) وخاصة المنظومة الستالينية ، ومن طرف الحزب الديغولي الذى كان يعتبره سارتر حزبا تجسدت فيه الديكتاتورية لدرجة أنه وصلت به الخصومة الى حد تشبيه شارب الجينرال ديغول " De Gaulle " بشارب أدولف هتلر A . Hitler (٢)، أما الديغوليون فقد رموه بترك الخصومة مع الحزب الشيوعي واعتبروا هجومه على ديغول عودة الى حالة سيكولوجية اذ دغول ماهو الا رمز للأب السارترى الناقم عليه .

وبعبارة موجزة فلأن هذا " التجمع " أراد لنفسه أن يكون : ((ملتقى لكل يسارى يرفض القياصر والمنقذين الساميين))(٣) .

ولو بحثنا أكثر في الأسباب المباشرة التي دفعت سارتر الى الانخراط في " التجمع الديمقراطي الثورى " لوجدنا البعض منها يعود كذلك الى ما بعد الحرب التحريرية حيث اشتدت الخصومة بين سارتر من جهة والشيوعيين وحماة جهاز الحكم من جهة أخرى ، وحاول سارتر وقتها من جهته أن يحدد مجال الخصومة فأرسل مقالا الى مجلة " العمل " " Action " بعنوان " توضيح حول الوجودية Aproposde l'existentialisme, mise au point. "(٤) بيّن فيه بكل وضوح نقاط الاختلاف ونقاط التفاهم وهذا من أجل وضع حد للخصومات الشخصية والشتم ، لكن

---

١) Burnier(Michel-Antoine) , Les Existentialistes et la politique, P65.

٢) Idem , P 43.

٣) Altman(G), " Ce vieux mot usurpé par les politiciens ", éditorial du N°I de la gauche, Organe du R.D.R, I5 au 30 mai I948.

٤) Sartre(J.P), A propos de l'existentialisme, mise au point, action N°I7, I9 décembre I944.

وقت الخصومات ما فتيء يهدأ حتى اشتعل من جديد مع هنري لوفافر" [١] عندما كتب يصفه - متحايلا أن لايحيد نعته بتلميذ هيدجر النازي - بأنه مثالي و ذاتي و مانع وسائل الحرب ضد الماركسية ، و منذ ذلك التاريخ لم تتوقف الخصومة • و لقد اتهم الشيوعيون سارتر ، على سبيل المثال ، بأنه كفيلسوف قد جعل الانسان يمشي على أربع ، و كسياسي قد جعل منه ممثل دور الرجعية ، و ككاتب جعله ذليلا و حفارا للقبور ، وكفرد شيئا قذرا و نتنا [٢] ، وكأن بهذه المناسبة قد أصدر سارتر أول كتاب سياسي له (يصدر لسارتر) هو ((المادية و الثورة)) و ذلك عام ١٩٤٦ • و هذا الكتاب كان بمثابة رفض للماركسية التي تقول بفكرة " المنظومة الشاملة " و من ثم فهو يرفض النزعة المادية التي كان يراها على أساس أنها : ((نزعة ميتافيزيقية مختبئة وراء النزعة الوضعية)) [٣]• أنه كان يرفض جدل الطبيعة بحجة أنه أمر عبثي ، و ان وجد اعتراف للمادية الجدلية انما يتمثل فقط في أنها ورثت المثالية البورجوازية •وكان يرى سارتر أن الماركسية السليمة من النزعة المادية تمثل وسيلة هامة و معتبرة بين أيدي الثوريين ، و العيب الذي يكمن فيها انما يوجد على المستوى الأنطولوجي الشيء الذي جعل سارتر يرفض على اثره النظرة التحليلية للبنية الفوقية التي هي انعكاس للبنية التحتية لا غير • و المدرسة الماركسية خاصة منها الستالينية هي مغالطة في تعريفها الانسان و الحقيقة • فالمادية ليست الا نزعة تمييئية •

فبالنسبة الى الحزب الشيوعي لا يمكن منع التاريخ انما التاريخ يقرأ و يتبع فقط ، و أخيرا يتمنى سارتر أن يختار الشيوعيون ، و لصالح مشروعهم الثوري ، ايديولوجية جديدة : ((لأنه لا يمكن لنا أن نكون ، دون عقوبة ؟ أجيالا و ذلك بتعليمهم أخطاء و مغالطات ناجحة ماذا يحدث لو المادية في يوم ما شددت الخناق على المشروع الثوري ؟)) [٤] •

---

١) Lefevre(H), Existentialisme et marxisme, reponseà une mise au point, in action N° 40, 8 Juin 1945.

٢) Burnier (Michel-Antoine), Les existentialiste et la politique,P 53.

٣) Sartre(J.P), Matérialisme et révolution, in Situation III, Gallimard , Paris, 1949, P 140.

٤) Idem , P 225.

لكن سارتر ، رغم كل هذا ، فهو لم يضع حدا لتعاطفه مع الماركسيين ولا مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، غير أن تعاطفه هذا كان دائما مصحوبا بالانتقادات . ووقوفه في صف البروليتاريا كان لغرض تحريرها لأنه اكتشف أن تحرير الانسان مرهون بتحرير البروليتاريا : ((أنا أعرف أنه ليس ثمة خلاص للانسان غير تحرير الطبقة العاملة))(١) .

لقد تلقى سارتر صدمته الواقعية السياسية الأولى عام ١٩٤١ مع حزب " الاشتراكية والحرية " . وفي عام ١٩٤٩ كانت له الصدمة الثانية ، وهي أشد من سابقتها ، مع " التجمع الديمقراطي الثوري " ، حيث توقف هذا التجمع على العمل ، وكان فشله يعود بالدرجة الأولى الى أن جل عناصره كانت تتجه في سياستها نحو اليمين . فدافيد روسي D. Rousset كان قد صرح من قبل بأن الحزب الشيوعي يمثل ، منذ انقشاع النازية ، الحركة الاجتماعية الأكبر وحية في الوجود ويصرح بعدها(٢) ((بأن الحلف الأطلسي لم يكن مقياسا للحرب))(٣) ، وانتهى الأمر الى مشادات عنيفة بين أطراف " التجمع " . وفي أكتوبر يصرح فرانسيس جونسون F. Jeanson بأن سارتر ((مع كل أسف ، يعلن عن استقالته من " التجمع الديمقراطي الثوري "))(٤) ، أما جريدة " العالم" Le monde فكتبت أنه ((بعد الانطلاقة الجيدة ، التجمع الديمقراطي الثوري يسقط في نوم عميق))(٥).

وبعد انحلال " التجمع الديمقراطي الشعبي " لم يعد سارتر يفكر في الانخراط او الالتزام في أي حركة سياسية بل وجه اهتماماته الى مجالات أخرى . وان كان هناك تدعيم سياسي لبعض الحركات فهي لم تكن الا من خارجها : ((لقد تخل سارتر ميدانيا عن كل نشاط سياسي وانشغل بعدها بالتاريخ والاقتصاد وباعادة قراءة

---

١) Sartre(J.P), "Materialisme et révolution",Situation III, P I72.

٢) في ملتقى حول " اليوم العالمي للمقاومة ضد الديكتاتورية والحرب، ٣٠ أفريل ١٩٤٩

٣) Rousset(D), "Le Pacte est surmnné" The nation, New york,9 avril I949, Cité par M.A.Burnier, Existentialistes et politique , P 73.

٤) "Samedi Soir" du I3 octobre I949, L'article intitulé"Prise de nausée politique politique" Sartre quitte le R.D.R, citée par M.A.Burnier,Existentialistes et politique, P 74 .

٥) Le monde du 27octobre I949, Cité par M.A.Burnier,Existentialistes et politique, P 74.

ماركس من جديد))(١). وعلى المستوى الدولي ، فلقد أثارت وحدة اليسار الايطالي اهتمامات سارتر فنقل حلمه السياسي من الحزب الشيوعي الفرنسي الى الحزب الشيوعي الايطالي الذى اعجب به ولقد رأى في ذلك الحزب المتفتح على كل نقاش وعلى كل تفاهم ممكن . انه الحزب الذى : ((منذ عام ١٩٤٦ لم تتصدع فيه الوحدة اليسارية) وهو الشيء الذى حاول سارتر تحقيقه))(٢) .

أما موقفه من الحزب الشيوعي الفرنسي فقد رأى فيه العجز كل العجز أمام أحداث العصر وأمام تحديات " اليمين " ولم تكن علاقاته معه الا لتنحصر في أن : ((الامتياز الوحيد الذى مازال يحتفظ به الحزب الشيوعي الفرنسي عندنا هو حقه الكامل في الحصول على المعاملة القاسية والنقد اللاذع له))(٣).

والملاحظ هنا أن سارتر أبى الا أن يحافظ ويحرص على دوام علاقته مع الحزب الشيوعي وذلك مهما اختلفت هذه العلاقة التي كثيرا ماتراوحت بين الهدوء تارة والاضطراب طورا آخر ولعل السر في ذلك يعود: ((الى اشعار لاحق ، فان الحزب يمثل ، بالنسبة لي ، البروليتاريا ولا أعرف كيف أن الموقف سيتغير قبل وقت لاحق لذا فانه من المستحيل أن نأخذ الآن موقفا معاديا للشيوعيين دون أن نكون معاديين للبروليتاريا))(٤).

وبعد هذا وعلى مدى مايقرب من سنتين تعاقبت أحداث سياسية في فرنسا نذكر منها قضية الجندى البحرى الشيوعي الذى سجن بعد أن تمرد على الجيش الفرنسي مساندا بذلك الثورة الفتنامية وقام بنشر مناشير ضد الحرب . وكذلك قيام الحزب الفرنسي الشيوعي باحتجاج ضد زيارة الجينيرال الأمريكي " ريدقواى " Ridgway اذ خرج الى الشارع مايقرب عن ثلاثين ألف رجل للتنديد بأخطاء الحزب الفرنسي المتكررة ، وتدخلت الشرطة الفرنسية وقتها

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses, Gallimard, Paris, 1963, P 217.

٢) Idem, P 143.

٣) Sartre(J.P), "Muleau ponty vivant", Les temps modernes, N° 184-185, numéro Spéciale, 1961, P 334.

٤) Entretien avec Sartre(J.P), Publié par Paris-Presse, L'intransigeant, 7 juin 1951, citée par Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, EdP 180.

لقمع هذه التظاهرة برئاسة المحافظ بايلو Baylot الذى كان قد صرح منذ سنة بأن ((أى شيوعي فهو جندى روسي))(١) في هذا الوقت كان سارتر في روما وتلقى الخبر عن طريق : ((الصحف الايطالية نقلت لي خبر القبض على جاك دوكلو Jacque Duclos (كاتب الحزب الشيوعي الفرنسي بالنيابة وذلك في غياب الكاتب موريس توريز Maurice Thorez الذى تأخر بموسكو) ، وسرقوا منه دفاتره والحمام الزاجل الذى كان معه(٢)، فان الروابط الأخيرة التي كانت تربطني بالبرجوازية تقطعت ونظرتي تحولت نحوها : فأى معاد للشيوعية فهو كلب ، ولا أخرج من هذا الموقف ولن أخرج منه مستقبلا(...) فباسم المبادئ التي ألصقتها بي وباسم انسانيتها ، وباسم الحرية والمساواة والأخوة فاني أكن للبرجوازية كراهة لاتنتهي الا بانتهائي . فعندما أعود الى باريس ، ينبغي علي أن أختار بين الكتابة أو الاختناق . ولم أتوقف عن الكتابة (عند عودتي) طوال الليل والنهار حتى أنهيت القسم الأول من " الشيوعيون والسلم "))(٣) .

ووصفت سيمون دى بوفوار رد فعل سارتر يومئذ فقالت : ((لقد غمر الغضب سارتر))(٤) .

وهكذا ، ففي جويلية من عام ١٩٥٢ ظهر في مجلة " الأزمنة الحديثة " أول انتاجه الحاقد على طبقته البرجوازية وهو القسم الأول من " الشيوعيون والسلم " .

ان سلسلة الأحداث السالفة الذكر والمثيرة للغضب استطاعت أن تمحو ، وفي لحظات ، سبع سنوات من الخصومة والشتم مع الشيوعيين . فرفع سارتر القلم ليكتب وبتهكم : ((عندما هوجم عمال المناجم ، نشرت صحيفة اليمين أنباء الانتصار هذا الموقف جعلني أعتقد أن صحيفة " الفيقارو " Le Figaro لاتحب العمال غير أنني أخطأت . لذا فأنا أقدم اعتذاراتي الى الجميع والى السيد روبيني Robinet ، مدير الجريدة ، على وجه الخصوص ، لأن هذا الأخير يكنّ للعمال درجة عالية من المحبة .

---

١) Annie Cohen-Solal, Sartre 1905-1980, Gallimard, Paris, 1985, P 429.

٢) لأنهم اعتقدوا أن هذا النوع من الحمام يستعمله للاتصال بالمناضلين الشيوعيين .

٣) Sartre(J.P), Situation IV, Gallimard, Paris, 1964, PP 248-249.

٤) Beauvoir(S.de), La force des choses II, Gallimard, Paris, 1963, P 281.

و أعتقد بأن تجببه لهذا التصريح يعود الى أنه كان يخفى تجريحهم))[١]. ثم هاجم جورج أولتمان G. Altman مدير صحيفة " فرانس تيرور" Franc_Tereur الذي كان زميله في الكفاح داخل التجمع الديمقراطي الثوري و ذلك منذ أربعة سنين فكتب يقول له و لزملائه : ((بنتيجة لحرصكم الشديد على اكتشاف " قمل " الحزب الشيوعي و " الفئران اللزجة " فلقد أصبح نظركم قصيرا))[٢]. و هكذا نجد أن سارتر مع الجزء الأول من " الشيوعيون و السلم " قد نصب نفسه مدافعا عن الحزب الشيوعي و مساندا له . و النتيجة هي أن سارتر قد أصبح حقا رجل مراحل متباينة و مواقف مضطربة لا رجل مبادئ و استقرار، مبرهنا مرة أخرى على فشل السياسة القائمة على أساس مبدأي الحرية المطلقة اللامشروطة و الالتزام المشروط ، هذا ما دفع بزميله الفيلسوف" مارلوبونتي " M. Ponty الى أن يقف منه موقف الناقد المعارض و ذلك في ربيع ١٩٥٥:((لا نستطيع أن نكون في آن واحد كتابا أحرارا و شيوعيين معارضين اننا لا نستطيع تعويض الجدلية الماركسية التي تجمع بين هذه المتناقضات بواسطة ذهاب و اياب منهك بين هذه المتناقضات ، اننا لا نجمع بينهما بالقوة . لذا ينبغي التراجع عن الموقف ثم مهاجمة ، و بطريقة غير مباشرة ، ما لم نستطع أن نغيره بطريقة المواجهة و من ثم لا بد من البحث عن حركة أخرى غير الحركة الشيوعية))[٣].وبالفعل فبعدها بـ ١٨ شهرا و بعد تدخل السوفيات في المجر ، غير سارتر نهجه و راح يبحث عن حركة أخرى غير الحركة الشيوعية .

فبالنسبة الى " مارلوبونتي " فان نظرة سارتر الى العمل السياسي يقوم أساسا على نظرته الى الحرية بصفتها ابداعا محضا و متجددا باستمرار و حاضرة:((في جميع الحركات أو الأفعال و ليس في واحد من الحركات أو الأفعال ، انها الحرية التي لم تتعرض للأخطار و التي لم تعرف الضياع " Perdue " قط و الخلاص ، و هي دائما

---

١) Sartre(J.P), Les communistes et la paix , in Situations VI , Gallimard, Paris ,1964 , P 80.

٢) Idem , P 86.

٣) Merleau Ponty M. , "Dans signe"l'"ultrabolchevisme" , Citée par Cohen_Solal A. , Sartre 1905_1980, Gallimard,Paris,1985,P445.

مساوية لذاتها))[١] . ((فهي نجدها بمثابة حركة كاشفة))[٢] كما في "ما الأدب"؟ أو كحركة تدخل في الميدان السياسي كما جاء في " الشيوعيون والسلم " ، ومن ثمة فالالتزام بالنسبة الى سارتر ليس الا حركة ظاهرية ، وفي آخر التحليلات غير مبالية indiférente وهي تبقى محافظة على ذاتها حتى عندما تنتقل الى " الآخر " ، حرة في أن تصرح بأن ((الاتحاد السوفياتي وحده يمثل أمل البروليتاريا))[٣] وهذا مباشرة بعد أن ندد بالمعتقلات السوفياتية . ومن هنا يرى " مارلوبونتي " أنه : ((بالرغم من الظواهر ، فان الفيلسوف الشيوعي السارتري يبقى عبارة عن طريقة تستعمل من أجل تثبيت الآخر وشله neutraliser عوض أن يقبله في صفه ، من أجل اعلان ذاته وابرازها عوض أن يعمل من أجل تغيير المجتمع وهي طريقة محكوم عليها انطولوجيا بالاستحالة))[٤] . وبعد كل هذا يصرح سارتر معترفا بأن " الشيوعيون والسلم " يحتوي على ثغرات على المستوى النظرى : ((في المرحلة التي لا يوجد فيها غير ما يمنع الجماعة من أن تتعاقب Se Serialiser ، فان الحزب لم يكن يمثل الا نفسه . وهو ما يطرح المشكل التالي : هل من الممكن أن نتصور نزعة ديمقراطية داخل الحزب وذلك في أوقات ، بعيدا عن أوقات الثورة ؟ فالحزب خلال أوقات السلم هو حزب يتصف بحزب الانتظار P.d'Attente . فهو يعمل وفي نفس الوقت على التجنيد وعدمه (...) وبهذه الكيفية فحزب الانتظار لا يمكن لنا أن نحكم عليه الا من خلال أفعاله أو حركاته : فهو ليس بشرعي الا اذا تحرك كما ينبغي . ولهذا أيضا فاننا لانستطيع أن نتصور ممثلين حقيقيين للبروليتاريا في أوقات الانتظار أو في ظل ديكتاتورية من النوع الستاليني . فهذه النظرة التأملية حول مفهوم الشرعية هي التي تنقص " الشيوعيون والسلم " (...) . ففي فرنسا ، وفي الوقت الحاضر ، فان الحزب هو في حد ذاته أصبح تعاقبيا Seriel))[٥] .

١،٢،٣،٤) Merleau Ponty M. , Aventure Dialectique, Gallimard, Paris, 1955 P 282.

٥) Au cours d'un entretien avec Sartre(J.P), en 1955, Citée par Michel Antonie Burnier, Existentialistes et politique, Gallimard, Paris, 1966, P 96.

وعموما فان التزام سارتر مع الحزب الشيوعي الفرنسي كان التزاما تكتيكيا خاصة خلال سنتي ١٩٥٢ - ١٩٥٤ اذ العلاقة التي كانت جد منسجمة بينه وبين الحزب الايطالي أصبحت هي نفسها ممكنة مع الحزب الفرنسي. واتخذ وقتها قرار الحظر اعادة تمثيل مسرحية " الأيدي القذرة " بفيينا " Vienne ": لأن هذه المسرحية تعتبر احياء لأمس سيء خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار نوعية الاخراج الألماني لها اذ كان فيه العداء للشيوعيين ظاهرا وفي غاية الوضوح.

وفي رده على " لوفور " Lefort المؤيد لمفهوم " التلقائية " بيّن سارتر بأن ((الجماهير اليوم هي في حاجة الى الحزب))(١) وأن الحزب الشيوعي هو ((وساطة بين الناس))(٢) . وانتقد سارتر " تلقائية " " لوفور " وبيّن بأن هذه التلقائية لامعنى لها خاصة عندما رأت أن التنظيم الحزبي يعني نشر البيروقراطية في أوساط البروليتاريا مشيرا الى أن الحزب والبروليتاريا شيء واحد : ((ان الحزب لا ينفصل عن الجماهير الا عندما يكون يمثل وحدتهم . وبهذه الوحدة ذاتها تتواجد العلاقات الداخلية بين الجماهير ، ومن خلال هذه العلاقات يتوصل الحزب الى تبيان موقف الطبقة العاملة في المجتمع ووضعها الحالي في الصراع القديم المتجدد الذى تخوضه (...) والحزب هو الرسم المبدئي لمشروع مستقبل الطبقة ونظام حركاتها . فهو العلاقة المستمرة التي تصارع ضد تجميدها وهو بهذا أيضا الأمل الذى من خلاله تستطيع البروليتاريا أن تغير من وضعها داخل المجتمع ومن ثمة تقوم بتحويل الذين جعلوا منها موضوعا الى موضوع))(٣) أي عملية تحويل السيّد الى عبد والعبد الى سيّد كما جاء في جدلية هيجل الشهيرة .

ويبدو أن العلاقات قد تدعمت أكثر بين سارتر والشيوعيين وهذا بعد عودته من زيارة قام بها الى الاتحاد السوفياتي ويتبيّن هذا من مجموعة المقالات التي قدّمها الى مجلة التحرير Liberation (٤) ، ومن أهم ماجاء في مقاله الأول: ((التقيت

---

١) Sartre(J.P),Reponse à lefort,in Les Temps modernes,", avril 1953,P 1573.

٢) Idem, P 1572.

٣) Ibid, P 1607.

٤) Les impressions de J.P.Sartre sur son voyage en U.R.S.S, Proposrecueilis par Jean Bedel, Libération du 14 au 20 juillet 1954.

هناك برجال من نوع جديد ، (...) ومهما كان الطريق الذى ستسلكه فرنسا فلا ينبغي له أن يكون معاكسا لطريق الاتحاد السوفياتي))• وجاء في المقال الذى نشر تحت عنوان "حرية النقد في الاتحاد السوفياتي مطلقة ، والاتصال واسع ومفتوح بين الأفراد وسهل بقدر ماهو ممكن" : ((أن الاتحاد السوفياتي وضع ثقته في الانسان منذ البداية)) والانسان في هذا البلد : ((كان يحس بتقدم ثابت ومنسجم في حياته الفردية والجماعية ، وكانت المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية تمثل بالنسبة اليه شيئا واحدا)) •

واذا كان سارتر يصرح في الجزء الثاني من " الشيوعيون والسلم "أن الحزب هو الوحيد الذى يعبّر عن الطبقة العاملة وأنه لايمكن فصلهما وأن مهاجمة الأول تعني مهاجمة الثاني : ((الحزب هو الحركة التي توحّد العمال وتقودهم نحو الاستيلاء على الحكم))(١) ، فانه يندد وبشدة في الجزء الثالث من " الشيوعيون والسلم " بما وصل اليه النظام الحاكم ليقول بأن من رفض سياسة الحزب يكون بالمقابل قد قبل سياسة هذه الحكومة : ((ولما كان الارتباط بين المالتوزيانية* Malthusianisme والبؤس وارتفاع الاسعار واعادة التسليح المارشالي* Marshalisation كلية فهذا يعني أن رفض سياسة الحزب الشيوعي هو تطبيق لسياسة الحكومة))(٢) ولذا يرى سارتر عموما أنه ينفي ممارسة سياسة الحزب لأن مستقبل الديمقراطية يمر عن طريق الطبقة العاملة وأن الحزب الشيوعي هو حزب الطبقة العاملة • والتحليل هنا يحيلنا الى القول بأن سارتر قد وصل في هذه المرحلة ، وبتصريحه هذا ، الى قمة التطابق بينه وبين الحزب الشيوعي ، ان لم نقل الى درجة التبني الكلي وهو كذلك من جملة المواقف التي تسببت المقاطعة بينه وبين ألبار كامو A. Camus (٣) .

---

* المالتوزيانية : نسبة الى مالتوس الاقتصادى

* المارشالية : مخطط أمريكي قدمه مارشال لمساعدة أوروبا اقتصاديا •

(1)Sartre(JP),Les communistes et la paix,II,in Les Temps modernes,oct.nov.I952,P76I

(2)Sartre(JP),Les communistes et la paix,III,in Les Temps modernes,oct.nov.I954,PI8I8

٣) بدأ الخلاف يظهر عندما ساند "سارتر" "بونتي" فيما كتبه تحت عنوان: ((اليوغا ني والبرولميتاري" وعارضه في ذلك كامو ثم وصل الخلاف قمته مع صدور "الانسان المتمرد" اذ كلف جونسون فرانسيس بالرد على كامو فكتب بعدها كامو رسالة الى سارتر يلومه فيها ورد عليه سارتر برسالة عنيفة أعلن فيها بينهما وذلك في مجلة الأزمنة الحديثة تحت عنوان "رد على كامو"

ونتيجة لهذا الموقف الجديد أصبح الاتحاد السوفياتي يمثل في نظر سارتر المجتمع السياسي المثالي اذ : ((يملك المواطن السوفياتي حرية كاملة في النقد غير أن هذا النقد ليس موجها الى الرجال بل الى المقاييس المستعملة (...) • فالعامل الفرنسي يقول : "رئيسي خبيث! "أما السوفياتي فهو لا يقول:" مدير مصنعي خبيث ! " بل يقول : " ذلك المقياس عابث ")) (١) • ان سارتر بهذا لم يعد الا ذلك الفيلسوف المجنّد لخدمة الايديولوجية الماركسية لكن هذا الموقف يبقى قائما على ضوء النظرة الهيجلية للواقع المعاش : ((بالنسبة الينا فالماركسية ليست فقط فلسفة : انها مناخ أفكارنا ، والوسط الذى تتغذى منه وهي تعكس الحركة الحقيقية لما أسماه هيجل الروح الموضوعي))(٢) .

أما الجزء الرابع المنتظر من كتاب "الشيوعيون والسلم "والذى لم يصدر ، فهو بكيفية ماصدر ولكن تحت عنوان : " شبح اسطالين " وهو الموضوع الذى نشره سارتر بعد التدخل العسكرى للاتحاد السوفياتي في المجر عام ١٩٥٦ وهو الأمر الذى أبطل كل المواقف السارترية المتخذة تجاه هذا البلد مابين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ • وهكذا فمن " حمام ديكلو ـ Duclos " الى دبابات " بيداباست ـ Budapest " ومن المساندة الى المعارضة ليقول : ((انني أدين جملة واحدة وبدون تحفظ العدوان السوفياتي على المجر))(٣) • ثم يواصل سارتر تحليله ليبيّن بأن تدخل السوفيات في المجر هو جريمة في حق هذا الشعب وهو نتيجة لأكاذيب طالما حبت الاستبداد الستاليني ومن ثمة لكل الاحزاب الشيوعية وعلى رأسهم الحزب الشيوعي الفرنسي الذى لم يحرك ساكنا وهو يشاهد تدخل السوفيات في المجر بالقوة •

وهنا أيضا يقف سارتر ليعبّر عن فشل التزام مفهومي الحرية والالتزام في عالم السياسة وأنه صاحب فكر متذبذب يتماشى وتذبذب المواقف التاريخية وهو ماأكده فيما بعد وهو ينشر كتاب" الكلمات". ففي عام ١٩٥٦ كان قد بلغ السن ٥١

---

١) Liberation, I5 juillet I954,P 3,Citée par Solal(A.C),SartreI905-I980, Gallimard, Paris, I985, P 453.

٢) Sartre(J.P),"Le réformisme et les fétiches",Les temps modernes,N°I22,PII58 in Fevrier I956.

٣) L'éxpress,9Novembre I956,et"Le fontôme de Staline",Les temps modernes, Nov . Dec.I956, JanvierI957,N°I29-I30-I3I, P.P 577-696.

من عمره فكان وقتها ((الرجل الذى استيقظ من سباته وشفي من مرارة طويلة وجنون(...) وكان لايستطيع أن يتذكر ، دون أن يثير في نفسه الضحك ضلاله في الماضي وكيف كان لا يعرف حتى كيف يتصرف في حياته))(١) .

وهكذا أصبح في عام ١٩٥٧ الانفصال بينه وبين الحزب الفرنسي الشيوعي كلية ، هذا ما يجعلنا نخلص الى السؤال التالي : ماهو الاتجاه الذى سينهجه سارتر بعد هذه المقاطعة ؟ وعلى أى أساس ايديولوجي سيواصل بناء مواقفه ؟ : ((فمهما تكن ضجة الانفصال هذا ، فان الوجودية السارترية ، بالرغم من كل ذلك ، ترى أن أدنى مايمكن التمسك به هو أنه لايمكن انقاذ فرص الانسان الا بواسطة حركة تتم داخل الحركة الشيوعية ذاتها))(٢) . ولهذا السبب راح دائما يعارض النظام اليميني القائم ودليل ذلك محاولاته لجلب المواطن الفرنسي الى التصويت " بلا " في الانتخابات التي جرت بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ ، لأنه كما قال سارتر : ((" نعم " يعني الحلم ، "لا" يعني الاستفاضة . فلقد حان الوقت لمعرفة اذا ماكنا نريد النهوض أم النوم))(٣) .

والحقيقة أن سارتر بالرغم من محاولاته المتكررة فانه لم يستطع أن يستغني عن الحزب الشيوعي الفرنسي أو الماركسية عموما أو تجاوزهما ، خصوصا بعد تحسين الوضع في المجر من جهة وتزايد خطورة السياسة الاستعمارية في الجزائر والخطر الفاشي من جهة أخرى . ففي جويلية من عام ١٩٥٩ صرح سارتر بأن الاتحاد السوفياتي ، رغم : ((كل التناقضات فبالامكان اعتباره موطنا للاشتراكية))(٤) أما من جانب الحزب الشيوعي الفرنسي فاننا نسجل سعيه الى اثارة الحوار مع الفيلسوف سارتر: ((انه يحز في قلبنا أن نشاهد مثقفين ثوريين أمثال سارتر لاينتمون الى المعسكر كلية علما بأن الماركسية قاسم مشترك بيننا نخدمها معا))(٥) .

---

١) Sartre(J.P), Les mots, Gallimard,Paris,I963,P 2I2.

٢) Burnier(Michel-Antoine), Existentialistes et politique,Gallimard,Paris I968,P.I24

٣) L'éxpress du 25 Septembre I958,Citée par M.A.Burnier,Existentialistes et politique, PI24.

٤) Interview de Sartre(J.P) à"vérité pour",N°9,juillet I959,Citée par Michel Antonie Burnier,Les Existentialistes et la politique,Gallimard,Paris,PI48.

٥) Gisselbrecht(A), "Les Sequestrés d'Altona",La nouvelle critique, revue du maroisme militant, décembre I959, N° II5.

ان كتب سارتر المتمثلة في " الوجودية مذهب انساني " و " المادية والثورة " ثم " ما الأدب؟ " الى جانب التطورات الأخيرة السالفة الذكر في مجملها كانت عبارة عن تمهيد للنهج السارتري الجديد والذي ترجمه في كتابه " نقد العقل الجدلي" الصادر بتاريخ ١٩٦٠ .

لقد انتهى سارتر في آخر الأمر الى أن في فلسفته الجارية نقصا وأنه لا يمكن التفكير في الحرية الانسانية دون أن نفكر في المقابل المتمثل في"الضرورة". فقد أصبح يرى أنه من المؤكد أن الانسان حر ولكنه في غالب الأحيان يجد نفسه في قيود ، ولاحظ أن الماركسية ، منذ هذا الطور ، أخذت تكشف عن ضعفها وعجزها : ((فجأة ، الماركسية تركتنا في الميدان اذ لم تعد تلبي رغبتنا في الفهم. ففي الميدان على وجه الخصوص ، حيث كنا موجودين فلم يعد لها شيء تعلمنا اياه لأنها توقفت))(١) . وهنا نشير الى أنه اذا كان سارتر يعتبر الماركسية فلسفة لايمكن تجاوزها ، واذا كان يصرح بنقصها فهذا لأن الماركسية في نظره لا تملك لاانطولوجية ولا نظرية حول الوعي أو الشعور . لاشك في أن ماركس قد تكلم عن الوعي أو الشعور بالوعي ولكن عند هذا المفكر فان الوعي ليس الا وعيا بالمعرفة ولا يتأتى من أي انطولوجية حقة ، لهذا فاننا مع " نقد العقل الجدلي " نجد قراءة جديدة لماركس وأن جهد سارتر كان أساسا منصبا على تطعيم الماركسية بالبعد الأنطولوجي اذ يرى أن منبع الجدل يعود أصلا الى الحرية الفردية .

واذا كان من المعتقد أن الماركسية هي الوحيدة التي أخذت تشرح التطورات التاريخية ، فان هذه الحركة ذاتها هي التي وصلت الى استعمال الطرق العميقة ضد الحركة الانسانية مثل ذلك الاحتلال العسكري للمجر . ولهذا الغرض نجد سارتر في هذا المجلد يهاجم الماركسية محاولا تحطيم المادية الجدلية متجاوزا اياها باستعماله المادية التاريخية . فالمادية الجدلية ترى أن المحرك الرئيسي للبشرية

---

١) Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique (Précédé de: Question de methode), Gallimard, Paris, I960, P 25.

هي المـادة بينمـا الجدلية التاريخية تقول بالجهد الكلي آخذة بذلك في اعتبارها دور الانسان في مجموعها الاجتماعي : ((في هذا العالم الحسي ، يحتل الانسان، بالنسبة الينا ، مكانة مفضلة لأنه مبدئيا في وسعه أن يكون تاريخيا ، بمعنى أنه يحدد ذاته وباستمرار))(١) .

ومن هنا فسارتر لم ينف الجدل ولكنه يقول بأن الجدل يقوم أساسا مابين المادة من جهة والممارسة الانسانية من جهة أخرى • واذا كان الانسان مادة من جهة جسمه ، فهذا الجسم لايمثل شيئا سوى تعبيرا على وجود الوعي الانساني • واذا كان التاريخ عند الماركسية ينشأ نتيجة تفاعل قوى مجهولة بين " مادة " الانسان و " مادة" الأشياء فان الأمر عند سارتر يختلف اذ الحركة الأساسية أو الأصلية ، تأتي من الانسان ومن الانسان الفرد اذ الأفراد هم الذين يصنعون تاريخهم وليس العكس : ((فالجدلية التاريخية برمتها تقوم أساسا على الممارسة الفردية بوصف هذه الأخيرة جدلا مسبقا))(٢). وسارتر يركز على هذا لأن دور الفلسفة عنده لا يتوقف على تبيان الحقيقة الانسانية فحسب بل تبيان أن هذا الدور يتم في اطار آفاق وآمال انسانية وانسانية بحتة :((لأن المعرفة ، كيفما كانت ، هي نوع من العلاقة الانسانية مع العالم الذي يحيط بها : فاذا زال الانسان زالت معه هذه العلاقة))(٣) .

ونستنتج من هذا أن التغيير الكبير الذي طرأ على فكر سارتر مع كتابة "نقد العقل الجدلي" يكمن في الاتيان بنظرية حول الوجود الاجتماعي للانسان • فالفرد بوصفه انسانا فهو يؤثر على المادة وبالمقابل المادة تؤثر عليه : ((الآلة تصنع انسانية الفرد انطلاقا من أن الانسان يصنع الآلة (•••) هذا يعني أنها تجعل من خلال تطور مؤقت وغائي صانعها كآلة تسيّر الآلات (•••) فهي تجعل منه وجودا اجتماعيا اذ يكون آلة اعتبارا أن هذه الأخيرة انسانية الصنع ، وانسانا اعتبارا أن هذه الآلة تبقى رغم كل شيء أداة توجّه))(٤) .

---

١) Idem , P 103.
٢) Ibid , P 165.
٣) Ibid , P 124.
٤) Ibid , P 269.

ونتيجة لهذا التفاعل المتبادل بين الانسان والمادة ينتج شيء يسميه سارتر " بالضرورة " وهي : ((الدلالة التي تربط الفعل الانساني أو الحركة الانسانية بالشيء المادي))(١) .

ومن التحولات السارترية نسجل انتقاله من مفهوم " الانسان في موقف " الى " الانسان الممارسة " اذ أصبح مفهوم الممارسة يعادل مفهوم الانسان : ((فالممارسة (...) بوصفها ممارسة ناجحة عن كائن يعيد انتاج حياته باعادة تنظيم محيطه ، هي الانسان))(٢) .

وعلى العموم فان محاولة سارتر هذه متمثلة في "نقد العقل الجدلي" تهدف الى جعل الانسان يستعيد سيادته وسلطته على الأشياء ومن ثم يكون سيد المواقف وصانع تاريخه ، قال سارتر مجيبا " مادلان شابسال " - M. chapsal " الذى سأله أثناء كتابته " نقد العقل الجدلي " : ((منذ اثني عشر عاما وأنا أبحث عن شيء ... ان الأمر يتعلق ، اذا شئت ، باعطاء قاعدة سياسية للانترولبولوجيا))(٣) . وهي القاعدة التي تفتقر اليها الماركسية : ((وابتداء من اليوم الذى يأخذ فيه البحث الماركسي البعد الانساني (أى المشروع الوجودى) كأساس للمعرفة الانتروبولوجية فان الوجودية ، وقتها ، لن يعود لوجودها مبرّرا))(٤) . وبهذا فموقف سارتر يبدو أنه ليس ذلك الموقف الرافض للمذهب الماركسي من أساسه بل موقفه يتجلى من خلال قراءته الجديدة للماركسية وبنظرة هيجلية : ((ليس الأمر بالنسبة الينا (...) أن نرفض الماركسية باسم طريق ثالث أو مذهب انساني مثالي ، بل أن نستعيد الانسان داخل الماركسية))(٥) .

ومهما تكن محاولة سارتر فهي لاتعدو أن تكون محاولة للجمع بين نقيضين : فالأول يقوم على مبدأ الحتمية القائم على المادية الجدلية والذى

---

١) Ibid , P 375.
٢) Ibid , P 367.
٣) Chapsal Madeleine, Les écrivains en personne, Julliard, 1960,P 206.

٤) Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique, P III.
٥) Idem , P 59.

يعتبر في نظر ماركسية المفسر الوحيد للتاريخ ، بينما الثاني يقوم على مبدأ الحرية التي ترفض كل حتمية والتي هي في نظر الوجودية السارترية المحرك والصانع الأول للتاريخ. يقول " آدم شاف " : ((اذا كان هدف سارتر من هذا كله هو محاولة التكملة الماركسية بما وصلت اليه الوجودية فهذا خطأ لأن اللهيب لايمكن له أن يكمل الماء ، أما اذا كان المراد فيه هو تطرق الماركسية وبواسطة منهجها ذاته الى المسائل الانسانية التي تخلت عنها فان هذه الفكرة تكون فكرة جيدة))(١) .

أما روجي غارودي فقد تساءل فيما اذا كان " نقد العقل الجدلي " محاولة لتعميق الماركسية وتطعيمها أم معارضا لها ؟ ويرد على هذا بأنه يفهم من جانب أي ماركسي بأنه يهدف الى تحطيم عمل ماركس ومن ثمة فهو معارض له ، وهذا لأن سارتر: ((يعود بفكره هذا الى النزعة الميثالية التي كانت قبل ماركس ويعيد وضع الجدل على رأسه))(٢) لكن غارودي يكتب فيما بعد ليقول : ((من خلال كل هذه الانتقادات فاننا ننسى المهم ، فمهما كان الخلاف بيننا ، فان مايجمعنا هو أعمق مما يفرقنا))(٣) .

أما " ريمون آرون " فهو يرى أن : ((سارتر بقي أمينا لنفسه ، واننا نبحث عبثا في نقد العقل الجدلي عن سبب ما من نوع اقتصادي كان أو اجتماعي أو سياسي يجعله يفضل نظاما سفياتيا على نظام غربي))(٤) (...) ((ان الوجودية لايمكن لها أبدا أن تذهب الى حد الماركسية ، الا اذا توقفت على أن تكون وجودية ، وبعبارة أخرى فاذا بقينا وجوديين فاننا لا نصبح أبدا ماركسيين))(٥) .

وبالرغم من هذا كله ، ورغم التمييز الموجود بين الوجودية السارترية والماركسية فان سارتر بقي متيقنا من أنه : ((اذا لم نعمل مع الشيوعيين فاننا نسقط من جديد

---

١) Shaff Adam, "Sur le marxisme et l'existentialisme", in Les Temps modernes, N°I73-I74, Août-Sept I960, P 407.

٢) Garaudi(R), Question à J.P.Sartre, Précédé d'une lettre ouverte, Collection clarté, Paris, I960, P 3.

٣) Idem , P II.

٤) Aron Raymond, Marxismes imaginaires, Gallimard, Paris, I970, P I7.

٥) Idem , P 45.

في هذا اليسار المخالط الذى لا يؤدى الى شيء . واذا لم نعمل مع الحزب الشيوعي فاننا سنتجه يمينا))(١) .

ويأتي كتاب " الكلمات " ليعطي لونا آخر من مراحل سارتر الفكرية اذ نسجل من خلال عرضه فترة الستينات رجوعا الى " الوجود والعدم " ، الى الذاتية ويتضح هذا من قوله : ((لقد اعتبرت من زمن طويل القلم سيفا : أما الآن فأنا أعرف ضعفنا . (...) فالثقافة لاتنقذ شيئا ، ولا أحد ، ولا تقدم تعليلات ، ولكن هي ماينتجه الانسان . فيها يظهر وبها يعرف ، فهذه المرآة الناقدة ، وحدها ، هي التي تعطيه صورته))(٢) . ومن هذا نستنتج أن التدخل السياسي هو الآخر لايقدم تعليلات وهو يبقى ، وقتها أساسيا : انه الاعلان على أن وجود الانسان به يكون ممكنا .

ومما يشد انتباهنا كذلك ويؤكد رجوع سارتر الى نقطة الذاتية هو موقفه الرافض " لجائزة نوبل " والذى جاء على اثر صدور " الكلمات ". ان جميع انتقادات اليمين الموجهة الى سارتر قد تحولت وأصبحت ترحب وتصفق لسارتر ـ الكلمات ، ولعل محاولة اليمين هذه لاتعدو أن تكون محاولة لكسب سارتر واسترجاعه الى صفّه . لكن الأمور قد انقلبت رأسا على عقب مع رفض سارتر هذه الجائزة وتحول مدح اليمين الى غضب ، ونذكر على سبيل المثال الفيلسوف " غبريال مارسال G. Marcel الذى اغتنم الموقف ليتكلم عن " الاحتقار الوقح للحقيقة " ، وعن " خوف المثقفين المموه " Camouflé " وعن " خيانة " هذا الفيلسوف (سارتر) الذى لقبه بـ " حفار قبر الغرب " (٣) . ولم يتفهم موقف سارتر سوى اليساريين الذين تظاهروا بنوع من التعاطف .

أما سارتر فقد علّل موقفه بقوله : ((رفضتها لأنني أرى أنه قد بات لها منذ بعض الوقت ، لون سياسي ، فلو كنت قبلت بجائزة نوبل لكنت تركتهم يشدونني

---

١) Entretion avec J.P.Sartre, La voix communisto, N° 29, 1963, Voir aussi : Burnier Michol-Antoine, Les Existentialiste ot la politique, Gallimard, Paris, P152

٢) Sartre(J.P), Les mots, Gallimard, Paris, 1964, P 211.

٣) Marcel Gabriel, "Prise de position" in Les nouvelles littéraires, 29 oct 1964 Voir aussi: Burnier (M.A), Existentialistes et politique, Gallimard, Paris 1966, P.P 180-182.

الى جانبهم • أما لو كنت عضوا في الحزب الشيوعي مثلا ، لاختلف الموقف • ففي هذه الحال كانت الجائزة ستقلد لحزبي ، ولو بصورة غير مباشرة وعلى كل حال ما كانت لتخدم سواه))(١) .

وفي اعتقادى ، بالاضافة الى ماصرّح به سارتر ، أن هذا الموقف ليس الاتعبيرا عن الصراع القائم بين الوجود لذاته والوجود - في - ذاته اذ رفضه لجائزة نوبل ليس الا ترجمة لتعالي الذاتية على العالم المادى ومن ثم اقرار واقعي لمفهوم الحرية الفردية • ولعل هذا هو الذى يفسر في آخر المطاف جميع المواقف السارترية المتعاقبة والمتباينة خاصة مع الحزب الشيوعي وهو كذلك ، الشيء الذى جعل جل النقاد والباحثين يصرخون في وجه الجمع بين الحرية والالتزام والقول بفشلها ميدانيا •

وفي ماى ١٩٦٨ سجلت فرنسا حدثا سياسيا هاما اذ تمثل في الانتفاضة الطلابية واعقابها باضراب لعمال المصانع • واغتنم سارتر هذه الفرصة ليقف في صف الطلبة والمضربين وليجعل من الحرية والعفوية شيئين متلازمين •

فمن أهم ماجاء في الحوار الذى أجرته معه ادارة " المانيفاستو" برزما مايلي : ((حاولت أن أبيّن أن من مجمل ماجاء في " نقد العقل الجدلي " هو أن الحزب بالنسبة الى الجماهير واقع ضروري لأن الجماهير وحدها لا تملك العفوية))(٢) .

وبيّن فيما بعد أن الحزب يوجد من أجل تخليص الطبقة العاملة من " التعاقب " Sérialisation لكنه في نفس الوقت فهو يعكس مفهوم " التعاقب " وتجميد الجماهير الذين يمثلون القاعدة التي تتحرك عليها ، ومنا ينتج التناقض العميق عند الحزب اذ جاء يسعى الى تخليص الجماهير من " التعاقب " ليصبح هو ذاته مؤسسة مغلقة ، وعندما ، بعد أن كان يحرر الآخرين من كل جمود ، أصبح يواجه كل فكر جديد عليه وهذا ما حدث بالضبط في ماى ١٩٦٨ •

---

١) سارتر جون بول ، دفاع عن المثقفين ، ترجمة جورج طرابيش ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٣ ص١٣٥

٢) Conversation enregistrée entre Sartre(J.P) et le "Manifesto" 27 août 1969, in Les Temps modernes, Janv 1970, P 1045.

والخلاصة أن سارتر يريد القول بحزب يعترف من جهة بالصبقة العاملة ، ويكون ممثلها من جهة أخرى شريطة أن يؤسس على مبدأ الحرية (ويكون ممثلها من جهة أخرى شريطة أن يؤسس على مبدأ الحرية) ويكون قابلا لأى تغيير ويكون بهذا أداة صراع لا مؤسسة جامدة لأن هذه الحالة الأخيرة هي قضاء عليه .

ويوضح سارتر أكثر عودته الى مفهوم الذاتية والحرية ومايترتب عنهما من مسؤولية وتحقيق للمشاريع عندما يقول : ((ان الفكرة التي كنت أطورها باستمرار هي ، في آخر الأمر ، أن كل فرد هو دائما مسؤول عن ما فعلناه به حتى اذا لم يستطع أن يعمل أكثر من حمل هذه المسؤولية . فأنا أظن أن الانسان يستطيع دائما أن يفعل شيئا انطلاقا مما فعلناه به (...) . فالحرية ليست انتصارا))(١) .

ومادام سارتر يؤكد دائما على الحرية فهو كذلك يحرص على أن يعيشها وبطريقته الخاصة . يقول أيام الانتخابات التشريعية في فرنسا والتي جرت في أفريل١٩٧٣: ((أنا لا انتخب(...) فالفرد المنعزل يهجر صوته دون مراقبة ولا مقابل : هذه هي سيادتي ، فافعلوا ما أنتم فاعلون (...) فأنا لا أتصور الديمقراطية الا بالعمل المباشر ، مجالس تصوت برفع الأيدى وتفوض لأحد أعضائها حكما جد محدود . (...) فلا ينبغي الدخول في النظام أو الجهاز (Systeme) ، لذا فالانتخاب مهما كانت ورقته فهو انتخاب من أجل الانتخاب وقبول مسبق للمؤسسات Les instalations فكيف يتسنى للحركة الشرعية ـ حركة الحزب الشيوعي على سبيل المثال ـ قلب القانون؟ فينبغي أن تهدم ذاتها بذاتها في عملية التوائية En une contortion جد عابثة لدرجة أنها تصبح غير احتمالية . انه أحد الأسباب التي من أجلها جلبني" الماويون" Les Maos اليهم. انني أؤمن بعدم المساواة))(٢). وهنا نسجل كذلك انجذاب سارتر نحو التيار اليسارى الماوى، والسبب في ذلك يكمن في أن هذا الحزب قد انطوى على مفهوم الثورة الذى هو ليس الا مظهرا من مظاهر الحرية .

---

١) Interwiew réalisée par trois rédacteurs de la " New left review" et reproduite dans le nouvel observateur, N° 272, 26 janv 1970, Citée par Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, Edit du Seuil, Paris 1974, P 264.

٢) Cité par Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, Edit du Seuil, Paris,1974, P.P 257-258.

ويكشف سارتر عن أوراقه وموقفه من الاتحاد السوفياتي ونظامه الستاليني وذلك بعد عشرين سنة من زيارته هذا البلد اذ يقول : ((بعد زيارتي الأولى للاتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٤، كذبت(...) لقد كتبت مقالا(...) أين قلت أشياء محببة عن الاتحاد السوفياتي لم أكن أقرها أو أفكر فيها(...) ولأنني من جهة أخرى لم أكن أعرف جيدا أين وصلت بالنظر الى الاتحاد السوفياتي وبالنظر الى أفكاري الشخصية))(١) .

وأخيرا ، فاذا كان اعتقاد الماركسية هو السعي ، وباسم نظرة مثالية ، الى تغيير العالم وبناء مدينة انسانية حيث تذوب فيها جميع الطبقات وينتقل الحكم الى طبقة البروليتاريا لتصبح فيما بعد ، وفي نهاية المطاف ، الحياة مشاعة ، فان هدف سارتر هو تمكين ملكية الحرية من الانتصار ومن ثم بناء مدنية انسانية تحكمها الحرية المطلقة ، وهذه الحرية لا تتجسد الا بانتصار البروليتاريا وهنا تلتقي كل من الماركسية والوجودية في نظر سارتر .

واذا كان الجانب النظري قد سجل العديد من الفجوات والمتناقضات داخل كل من النظرية الماركسية والسارترية على حد سواء ، فان الواقع التاريخي هو الآخر اذا كان قد كشف لنا عن تراجع النظرية الماركسية أمام الواقع المعيش فانه قد أثبت لنا كذلك أن السارترية ما هي الا " موضة " وامتداد لحالة اجتماعية أوروبية ما فتئت أن تنحت بتنحي هذه الحالة الاجتماعية ذاتها .

---

١) Sartre(J.P), Situation X , Gallimard, Paris, 1976, P 220.

لقد لاحظ " أميل بريبي - E. Brehier " أن موضوع الفلسفة لم يعد ذلك الموضوع المتعلق بالطبيعة ولا بالعقل ، بل بالانسان الواقعي المتحقق . وبهذا فان النظرة الفلسفية اليوم لم تعد تلك النظرة القائمة على التطور الديكارتي للانسان بل هي نظرة قامت أساسا على الرؤية الباسكالية .

ان مفهوم الانسان الناتج عن التأملات الديكارتية هو مفهوم تكون ، منهجيا ، نتيجة جمع بين أطراف الفكر أولا ثم الروح " Ame " ثانيا ملحق بالجسم والأهواء وهو مايسمى عادة " بالكوجيتو " . ومن ثم فهو انسان مبتور عن تاريخه وعن علاقاته بالآخرين وبالموجود العالمي -- E. Universel - وهو ما أدى بالفلسفة عموما الى الاهتمام بمحاولة تغيير الانسان لا بمحاولة معرفته .

أما مفهوم الانسان عند " باسكال " - Pascal " فهو انسان المصير l'Homme de la destinée . ذلك الإنسان المقذوف به في زاوية ضائعة من العالم بكبريائه وتعاسته وهو بهذا ليس الا مشكلة تواجه الانسان نفسه وتقف في طريقه .

بهذا المفهوم الجديد القائم على عكس المفهوم السالف الذكر ، نجد فيلسوف اليوم لا ينظر الى الانسان الا على ضوء علاقاته المتنوعة وهو بهذا يستطيع أن يتبنى كلمة الكاتب الفرنسي " مونتاني " Michel Equen De Montaigne " : ((الآخرون هم الذين يكونون الانسان : انها عبارة أحفظها))(١)

والتيار الوجودي ليس الا ثمرة من هذه النظرات الحديثة وعلى ضوء هذا كله نتساءل نحن عن مفهوم الانسان عند سارتر عموما و" الآخر " أو " الغير " خصوصا ؟

لاشك في أن أول ما يتبادر الى الذهن المثير لمفهوم " الغير " عند سارتر هي مقولته المشهورة " الجحيم هو الآخر " . من هنا نبادر نحن كذلك بطرح الاسئلة التالية :

---

١) Citée par: **Brehier Emile** , Les Thèmes actuels de la philosophie, Edition, P.U.F , Paris, 1954, P 28-29.

هل حقا " الغير " أو " الآخــرون " هم الجحيم ؟ ولماذا ؟ وهل بقيت هذه النظرة عنــد سارتر سارية المفعول أم أنها تطورت وكيف ؟ وان تطور مفهومها ، فما هو سبب تطوره ؟ .

في الواقع لم يكن الانسان الاوروبي ملوعا قلقا كما هو عليه اليوم حيال وجوده وجاء التيار الوجودي ليجعل هذا الانسان الفرد يستنطق ذاته ، ومنه بات موضوع بحثـه هو الوجود الفردي وما ينطوي عليه من تناقضات . ومن هنا جاءت الوجودية التي هي ليســت الا استدادا لحالة اجتماعية لتنصب نفسها مدافعا عن هذا الوجود الانساني .

وكون الوجودية ترفض كل شكل من أشكالها الديكتاتورية فهي بهذا ترفض افناء الشخص في سبيل الدولة ومنه كانت الحرية الفردية من أهم اهتماماتهـا .

لقد كتب سارتر في عام ١٩٣٨ قصة " الغثيان " حيث جعلها مرآة عاكسة لفرد منطو ومنغلق على ذاته ، يعيش في معزل عن الآخرين ، انه مثال الانسان البرجــوازى الرافض للآخرين ، ثم تطور هذا المفهوم أكثر مع صدور كتابه الوجود والعـدم .

واذا كانت الوجودية تهتم بالوجود الفردي فماذا يمثل وجود الآخر بالنسبـة " للانـــا " ؟ .

ان الانســان ، في نظر الوجودية الملحدة ، يوجد أولا ثم يحقق ذاته كما يشـاء وهو بعد هذه الوثبة نحو الوجود فهو لا بد حر ، بل هو الحرية نفسها . والحرية في حقيقة أمرها هي عملية تعالي الوجود — لذاته على الوجود — في — ذاته ومن ثم فهي اعدام للوجـود — في — ذاته . لكن الانسان مع اكتشافه للآخر فانه يكتشـف أن له جسما خارجا عنه ، وعن طريق هذا الجسم المشترك ينفذ اليه الغير وبذلك يصير جسمه شيئا معزولا عنه في ذاتية أخـرى غير ذاتيته هي ذاتية " الغير " . من هنا يبدأ الصراع بين "الأنـا " الفـرد و " الآخر " . والصراع هذا سببه " الآخر " اذ يلاحظ سارتر أننا لسنا سيئين من تلقـاء أنفسنـا ، وأننـا لا نخجل الا أمام الآخـر .

كثيرا مايجد الانسان نفسه يتكلم لوحده وبصوت مرتفع ولسبب ما ، وفجأة ينتبه الى أن هناك انسانا آخر قد سمعه ، الشيء الذي يدفعه الى أن يخفض صوته ويتكون لديه احساس وهو أن الشخص الآخر قد كون لديه صورة عنه تحمل الصواب والخطأ وهي الصورة التي يرفضها هذا الانسان ، لكنه دون جدوى ، لأنه أيضا لا يمكن ردها الى مصدرها . ومن هنا نستنتج أن " الوجود - لذاته " هو وجود - " للآخر " وبهذا يتحول الانسان الى موضوع تحت نظره الآخر ويكتشف الآخر كبعد ما للانسان ذاته ومن هنا نصل الى نتيجة هي أن الانسان له أيضا وجود فعلي هو وجوده كموضوع : ((اذا كان هناك آخر... فأنا لي خارج ، لي طبيعة))(١) وهنا يتبنى سارتر فكرة " هيجل " ويعترف بفضله فيقول: ((وهكذا فان فضل الجدر العبقري الهيجلي في هذا المجال هو أن يجعلني مرهونا وتابعا للآخر في وجودي . يقول " هيجل " ، أنا وجود - لذاته ولا يكون الوجود لذاته الا عن طريق الآخر))(٢) .

اذن وجود الآخر يصبح بهذا المعنى شرطا للوجود - لذاته . لكن السؤال الذي بقي الجواب عنه غامضا الى حد الآن هو: كيف أن الآخرين هم الجحيم ولماذا ؟

ان الوجود - لذاته بوصفه حرية خالصة فهو تعال بالنسبة للوجود - في ذاته ومن ثم فالوجود - لذاته هو الفاعل وأما الوجود - في - ذاته فهو الموضوع الذي ينصب عليه نظري . لكن الانسان الفرد عندما يكتشف الآخر فهو يكون قد اكتشف حريته المستلبة وتبعا لهذا فان حريته التي كانت من قبل فاعلا تنقلب أمام هذه الحرية المستلبة المتواجدة في الآخر الى موضوع وهو الشيء الذي يسقطه في دائرة الوجود - في - ذاته ومنذ فكل ما هو عليه يتحجر تحت نظرة " الغير " ، وهذا الموقف هو الذي لا يتقبله الانسان الفرد وينبذه بشدة ومن هنا قال سارتر في مسرحية الأبواب المقفلة ((الجحيم هو الآخر))(٣) .

---

١) سارتر جون بول ، الوجود والعدم ، تر: بدوي عبد الرحمان ، دار الآداب بيروت ، ١٩٦٦ ص ٣٢١

٢) المصدر نفسه بالفرنسية ، ص ٢٩٣

٣) سارتر جون بول ، الأبواب المقفلة ، تر: هاشم الحسيني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ ، ص ٩٧

وخلاصة القول ، وانطلاقا مما سبق ، فان العلاقة بين الانسان الفرد والآخر أو بين الذوات فهي علاقة مآلها الفشل لا لشيء الا لأنها علاقة غير ممكنة أو على الأقل تبدو غير ممكنة . فالصراع بين الذوات قائم ولا يمكن تجنبه ولا تجنب واحد من الاثنين من أن يتحول الى الموضوعية تحت نظرة الآخر وقد يتحول الاثنان الى موضوعية تحت نظرة فاعل ثالث ، اذن فعلى الدوام يكون الانسان الفرد اما موضوعا أمام فاعل واما فاعلا تجاه موضوع .

وقد لاحظ " جان فال " - Jean Wahl "(١) في هذا المجال أنه اذا كان كل وجود لذاته يسعى الى تغيير الآخر الى وجود - في ذاته ، فهو يسعى الى أن يجعل من الفاعل موضوعا ، فاننا نجد هنا أن كل التعاليل هي ملحقة بما يسمى " بسوء الايمان" - M.Foi - وفي نفس الوقت ندرك أن الوجود لذاته ، وبكيفية ما أن كل وجود - لذاته - وعن طريق يتحول الى وجود - في ذاته ، كذا يحجر الانسان ذاته عن طريق الذكريات وعن طريق مشاريعه المستقبلية .

واذا كان الانسان الفرد حرا فهو مرهون " بالموقف " اذ في الموقف تتجلى حريته : ((ولا يمكن له أن يكون حرا في موقف ما الا اذا أحل أو أقام حرية الآخرين وهذا اذا كان فعله يهدف الى القضاء على حالة التشيؤ ، واقامة ما ينبغي أن يكون))(٢) . أي أن الانسان لا يمكن له أن يكون حرا الا اذا عمم الحرية وأقامها في العالم ومن ثمة فالحرية هي ذلك الفعل الذي لا يتأتى الا عن طريق الآخر*

لكن ما ينبغي أن نقوله هنا هو كيف يمكننا أن ننتهي الى توافق في عالم الحريات حيث تسعى كل حرية الى التعالي وتحجر وتشيىء مثيلاتها ؟

لقد لاحظ بعض الباحثين(٣) أن نظره سارتر هذه لم تتم الا من زاوية السلبية

---

* الآخر هو الذي يحيلني الى الموقف والحرية لا تظهر الا في الموقف .

(١) Wahl Jean, Tableau de la philosophie Française, Edition Gallimard, Paris, 1962, P 155.

(٢) Interviw donnée à comoédia par Sartre (J.P), le 24 Avril 1943, Citée par: Jeanson Francois, Sartre dans sa vie, Edition du Seuil, Paris, 1974, P 142.

(٣) Burnier(Michel-Antoine), Les Existentialistes et la politique, Gallimard, Paris, 1966, P 23.

وهي نظرة ان لم تكن محاولة التأسيس نظرة تحليلية للذاتات والتي تناولتها فيما بعد الماركسية فهي على الأقل محاولة كانت قد أثارت هذه النظرة التحليلية : ((ان ماهية العلاقات بين الذوات ليست هي الوجود - مع - الآخرين وانما هي النزاع Conflit))(١)

والملاحظ هنا هو سواء أكانت نظرة هذا الباحث صائبة أو خاطئة فان موقف سارتر من الغير قد تغير أو تطور مع تغيير وتطور الظروف التاريخية خاصة خلال وبعد **الحرب** العالمية II .

كان لا بد لانسان ما قبل الحرب والذي كان عبارة عن فردية تتصف بالأنانية أن يدخل ورغم أنفه التاريخ لكنه مع ذلك احتفظ بحرية القبول أو الرفض ولتكون له فيما بعد قدرة على مواجهة مشاكل ما بعد الحرب ، مثله كمثل الانسان الذي هو مشروطا كليـة بوجوده الاجتماعي لأنه في نفس الوقت قادر على القرار ليتسنى له تحمل هذا الشـرط وتحمل مسئوليته بكاملها • وبعبارة أخرى فان مرحلة ما بعد الحرب هي مرحلة التجربة الحقيقية للانسان السارتري • انها تجربة الخروج من " الذاتية " والدخول في " الغيرية " في المجتمع • ونستنتج من هذا أن المرحلة السارترية الأولى هي مرحلة اتسمت بالتمقوقع على الذات ، فهي لا تعدو أن تكون مرحلة ذات صبغة ميثالية بينما المرحلة الثانية والتي تحددت بتفتح هذه الذاتية على الآخرين فهي أقرب وبكثير من سالفتها الى الواقعية • فاذا كانت المرحلة الأولى عنوانا لحرية مغلقة منطوية على ذاتها فان الثانية هي عنوان لحرية الممارسة ، لحرية لا تظهر الا في اطار الفعل والعمل - Praxis - وهنا نخلص الى أن ما تغير عند سارتر ليس هو مفهوم الحرية وانما هو النظرة الى " الامكان العرضي " Contingence (٢) .

ومن جهة أخرى فان سارتر أصبح يعتقد بأن للانسان تاريخا وأن للتاريخ معنى وهو الأمر الذي جعله يرى في نهاية مطاف المرحلة الأولى من فكره بأنه يوجد من بين جميع نظريات التطور الاجتماعي والبنيات الاجتماعية نظرية واحدة يعتبرها صحيحة وهي الماركسيـة :

---

١) Sartre(J.P), L'Etre et le Néant, Essai d'onthologie phénoménologique, Gallimard, Paris, 1943, P 502.

٢) بالنسبة الى الوجود_لذاته " فالامكان العرضي " هو الواقعية Facticité ، أعني مجرد الوجود كـ"هذا في العالم" • من الوجود والعدم تر : عبد الرحمان بدوي •

((وهذا البعد الجديد هو الذي يبرر عدم ظهور الجزء الثاني في الوجود والعدم))(١).
اذن هل يمكن القول ،منذ الوهلة الأولى بأن سارتر أصبح ماركسي النظرة أو أن نظرته الى الغير هي نظرة مشتركة خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار ماقالته " سيمون دي بوفوار:
((منذ ١٩٤٠ ، كان سارتر يعمل من أجل ازاحة النظرة المثالية والاقلاع عن فردانيته الأصيلة ومن أجل أن يعيش التاريخ . هذا العمل جعله يقترب من الماركسية ومن ثم راح يأمل في تحالف مع الشيوعيين))(٢) .

ونظرا للرغبة التي تكونت لدى سارتر والتي تسعى من أجل أن تجعل من فلسفته فلسفة " جون بول ماركس" فاننا نلاحظ بعد الحرب العالمية الثانية وبعد اكتشافه لتاريخيته Son Historicité أن جل تحاليل مفاهيم فلسفته أصبحت تقترب من واقع الماركسية .

فبعد أن عرفنا مع سارتر كيف أن العلاقة بين الذوات هي علاقة جد مستحيلة وهذا انطلاقا ، وحسب اعتقاده ، من أن الوجود - لذاته هو تعال مستمر على الوجود - في - ذاته **وان اتحادهما ضرب** من الخيال وأن " الآخر " يتحجر ويتحول تحت نظر "الانا" الى وجود - في - ذاته فانه يأخذ في التراجع شيئا فشيئا ليجعل من الآخر شرطا أساسيا لوجود الانسان الفرد ، **وأن** " الآخر " وفقط تتحقق حرية " الأنا " فيقول : ((وجود الآخر شرط لوجودي و شرط لمعرفتي لنفسي وعلى ذلك يصبح اكتشافي لدواخلي اكتشافا للآخر كحرية تعمل اما الى جانبي أو ضدي . وهكذا نوجد عالما آخر . عالم مافوق الذاتية فيه يقرر الانسان ماهيته وماهية الآخرين))(٣) .

والحقيقة أن التغيير الذي طرأ لم يكن تغييرا في المفهوم بل هو في الزاوية التي نظر منها الى هذا المفهوم . فبعد أن كان تسليط ضوئه موجها الا الى الجوانب السلبية نجده بعدها وخاصة بعد الانتقادات المكثفة التي وجهت اليه من طرف الماركسيين

---

١) Wahl Jean, Tableau de la philosophie Française, Gallimard, Paris, 1962, P 156.
٢) Cité par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, Edit. du Seuil, Paris,1966, P 187.
٣) سارتر جون بول، الوجودية مذهب انساني ، ترجمة د/ كمال الحاج ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٧٢

يعدل عن موقفه ليعطي أو ليلبس مفاهيمه نظرة تفاؤلية . ويمكننا أن نوضح هذا أكثر عندما نأخذ كمثال موقفه من مسرحيته " الأبواب المقفلة " أو " الجلسة السرية " كما يسميها البعض (Huis clos) . فبعدما كتب سارتر هذه المسرحية في عام ١٩٤٤ كان قد قدم في الواقع مفتاحا لأحد فصوله الرئيسية في كتابه " الوجود والعدم " والمتعلق بمفهوم " الغير " عنده ، اذ كانت نظرته وقتها قد بلغت قمة التشاؤم ، لكنه ما فتىء أن دخل في علاقات حقيقية مع الآخرين ومن ثم راح يبرر نظرته الى " الآخر " على أساس أن الآخرين هم الذين أساؤوا فهم ما أراد أن يقوله : ((ان عبارة " الآخرون هم الجحيم " هي عبارة كان دائما يساء فهمها . لقد اعتقد الجميع بأنني قصدت بهذه العبارة أن العلاقات مع الآخرين هي علاقات دائما وأبدا مضجرة ومسممة بل ومحرمة . بيد أن مرادي كان يختلف تماما عن هذا ، كنت أريد أن أقول انه اذا كانت العلاقات مع الآخرين هي علاقات متعددة Tordues وفاسدة ومتحايلة فان " الآخرين " بالنسبة الى " الأنا " لا يمكن أن يكونوا غير " الجحيم " ... الآخرون هم في الحقيقة يمثلون ما هو أكثر أهمية وموجود في ذواتنا وكشرط لمعرفة ذواتنا))(١) ولعل هذا ما يطابق قوله الذي جاء في كتابه " الوجود والعدم " اذا ما نظرناه من نفس الزاوية : ((انني في حاجة الى الآخر من أجل الاستيلاء كلية على جميع البنيات التي يتكون منها كياني أو وجودي . فالوجود - لذاته يرجع الى الوجود - للآخر))(٢) وبناء على هذه الرؤية الجديدة فاننا نلاحظ أن " السيادة " الفردية قد أخذت تتنازل على بعض " حقوقها " لتفتح المجال الى السيادة " الجماعية " ، وأن " الآخر " ما هو في حقيقة الأمر الا " أنا " ، فسواء ساد " الآخر " أم " الأنا " فالسيادة تبقى واحدة وفي جميع الحالات نفسها . ونظرا لحرص سارتر الجديد على ابقاء الانسان الفرد حرا فهو يذهب عكس ما ذهب اليه ماركس في تكوين " الغير " أو الطبقات الاجتماعية ، اذ يرى أن شروط الحياة ليست هي التي تنتج الوعي الطبقي وانما هي " نظرة الآخر " الموضعة Objectivant : فنظرة الرأسمالي

---

(١) Preface parlée pour un enregistrement de huis clos(Deutsche grammophon gesell schaft) reproduite dans le Figaro littéraire, janvier 1965 et citée Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P.P 113-114.

(٢) Sartre (J.P), L'Etre et le Néant, P.P 275-307.

بالنسبة الى البروليتاريا أو العامل عندما يستغله ونظرة العامل عندما يثور بالنسبة الى الرأسمالي . ويبين سارتر أيضا أن المتسبب في الحركة الثورية ليس هو الاستغلال وانما هو الشعور الشردي من طرف المستغلين بامكانية الثورة : ((ليس فقط صعوبة العمل ، ولا انحطاط مستوى المعيشة أو الآلام القاسية هي التي تكون الجماعة المضطهدة في الطبقة الاجتماعية :(...) ان أول شيء هو أن عضو الجماعة المضطهدة (...) يدرك وضعه ووضع باقي أعضاء هذه الجماعة كجماعة منظور اليها ومدروسة من طرف ذوات تفلت من قبضته وخارجة عنه . السيد والاقطاعي والبرجوازي أو الرأسمالي فهم يظهرون ليس فقط كالأقوياء الذين يحكمون انما وقبل كل شيء فهم يظهرون " كشخص ثالث " tiers " يعني الذين هم خارج الجماعة المضطهدة وكأشخاص وجدت من أجلهم هذه الجماعة . اذن فمن أجلهم وفي اطار حريتهم يمكن لحقيقة الطبقة المضطهدة أن توجد . انهم يوجدونها بنظرتهم))(١) .

واذا كان سارتر قد أقر الاعتراف بالآخر وبضرورة وجوده فانه بقي محافظا كل الحفاظ على مفهوم الحرية والتي هي تمثل كل شيء في الانسان الفرد . ونظرا لهذا الموقف المتجدد فاننا نجد سارتر يرفض كل الرفض مفهوم الشمولية Totalité لا لشيء الا لأن الشمولية اذا ما أقرها (سارتر) فهو يكون قد أبطل مفهوم الحرية الفردية ومن ثم ابطال الفكر السارتري برمته . لذا نجده يعرض لنا " أبطاله " في صورة ذلك الانسان الذي يسير وسط ظلام حالك ولا يملك في يده سوى مصباحا وقوده حريته لا غير : ((مائة مليون من الأحرار حيث كل واحد يرى أمامه جدرانا ، وكل واحد وهو يدخن سجارته بين ذويه يبني مصيره وتحت مسؤوليته الخاصة (...) . الحرب : كل فرد هو حر ومع ذلك فاللعبة قد تمت ، فهي هنا ، وفي كل مكان ، فهي تمثل شمولية كل أفكاري وكل كلمات " هتلر " - " Hitler " وكل أفعال " قوماز - " Gomez " : ولكن لا أحد حاضر هنا من أجل تحقيق الشمولية))(٢) .

---

١) Idem , P.P 492_ 494.

٢) Sartre(J.P),Les chemins de la liberté , T.II, Le Sursis, Gallimard, Paris, 1945, P 1024.

وقد أدرك سارتر أخيرا أن تعريفه لمفهوم الحرية كان تعريفا لحرية فردية غير أن التحركات السياسية لا يمكن لها أن تتم الا وسط محيط اجتماعي أو جماعيا مع الآخرين ((من الآن وعوض أن يقابل بين الفردانية والجماعية فان سارتر لم يعد يتصورهما الا على أساس تكامل بينهما . فهو يحقق حريته ليس بتحمل الوضع المعطى وبطريقة ذاتية ولكن بتغييره وبطريقة موضوعية وذلك عن طريق بناء مستقبل مطابق لطموحاته . هذا المستقبل الذي هو باسم المبادئ الديمقراطية ذاتها والتي كان متعلقا بها من قبل وكان يتمثل في الاشتراكية . ولعل الشيء الذي كان قد أبعده عنها من قبل هو خوفه من أن يضيع وسطها (الاشتراكية) : أما الآن فهو يرى فيها وفي نفس الوقت الفرصة الوحيدة للانسانية والشرط الوحيد لانجازها))(١) . وعند هذا الحد نتساءل : هل بداية جنوح سارتر الى الماركسية وتعاطفه من الشيوعيين وتعديل نظرته تجاه "الغير" هي عملية جاءت نتيجة لتطوره الفكري البحت أم أنها كانت خاضعة لضغوط اجتماعية وسياسية خارجية ؟

ان المتتبع لفكر سارتر ومتطوراته يجده فكرا كثيرا ماهو متناقض ولعل هذا ناتج عن موقف سارتر المتردد بين الليبيرالية والنظرة الشيوعية . فاذا نظرنا الى سارتر من الجهة النظرية وجدناه برجوازي المبدأ أما اذا ما نظرنا اليه من الناحية التطبيقية وجدناه قريبا من النظرة الشيوعية . يقول سارتر من جهة : ((أنا أعرف بأنه لا يوجد خلاص آخر للانسان سوى تحرير الطبقة العاملة)) . ثم يواصل الكلام ليقول من جهة أخرى: ((هل وقعت في هذا الحرج أو المأزق غير المقبول : خداع البروليتاريا من أجل خدمة الحقيقة أم خداع الحقيقة باسم البروليتاريا ؟))(٢) واذا اعتمدنا على الوضع الاجتماعي للطبقة الفرنسية العاملة وقتها وعلاقتها بالحزب الشيوعي لقلنا أن سارتر كان مجبورا على أن يغير من نظرته تجاه " الغير " أو طبقة البروليتاريا خاصة اذا علمنا أن : ((الجماهير كانت تسير وراء الحزب الشيوعي . ومن جهة أخرى كان سارتر يعرف يومها أن علاقته مع البروليتاريا كانت تضعه موضع مذاته ومن الأساس محط تساؤل))(٣)

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses I, Gallimard, Paris, 1963, P 17.
٢) Sartre(J.P), Materialisme et Révolution, in Situations III, Gallimard, Paris, 1949, P.P 172-173.
3) Beauvoir(S.de), La force des choses, I, P 18.

وخلاصة القول هنا أننا لاحظنا أنه ليس للمثقف البرجوازي من جهة أن يتخلى وبدون معاناة وتردد عن مبادئه التي شب وترعرع عليها كما أنه ليس من السهل عليه من جهة أخرى أن يدخل ويرتمي وبكل ثقله داخل حركة شيوعية بقي على الدوام يعتقد بأنها تسلبه حريته اذا لم تطعم ويدخل عليها تعديلا .

ونظرا لهذا الموقف الجديد نجده أيضا في مواطن أخرى يحاول تبرير مفهوم الذاتية عنده وذلك في اعتقاده أن الانسان الفرد عندما يختار انما هو يختار للبشرية جمعاء . ومن ثم فحرية الفرد هي حرية تتوقف على حرية الآخرين : ((واني بانفرادي هذا أجعل الانسانية كلها تنطوي معي))[١] . ((ان الانسان الذي ينضم الى نقابة شيوعية أو ثورية فهو انما يسعى خلف أهداف ملموسة ، وهذه الأهداف تستلزم من المجموع المجرد بحثا عن الحرية . ان سعينا خلف الحرية لا يجب أن يتخذ أي شكل آخر . انما نبحث عن الحرية لذاتها . واننا في سعينا هذا يجب أن يكون واضحا في أنماننا أن حريتنا متصلة بحرية الآخرين ، وحرية الآخرين مرتبطة بحريتنا))[٢] . ومن هذا القول نكتشف أن الحتمية السياسية تجعل من الانسان السارتري أنه ليس في وسعه أن يحصل على حريته كغاية بدون الحصول وفي نفس الوقت على حرية الاخرين كغاية . غير أن هذه النظرة اذا ما قورنت بالنظرة التي جاءت في كتابه " الوجود والعدم " لوجدناها معارضة لها ومتناقضة معها .

فبعد أن صرح في " الوجود والعدم " بأن الناس لا يستطيعون أن يحترموا حرية الآخرين نجده في كتابه " الوجودية مذهب انساني " يوصي بأنه يجب أن نحترم حرية الآخرين ، وهذا الأمر يحيلنا بدوره الى تناقض بين مذهب سارتر في الحرية الانسانية ونظريته في العلاقات الانسانية .

ومع ذلك ينبغي أن نسجل بأن الوجودية خلال الأعوام التي تلت الحرب العالمية الثانية اذا هي لم تعترف لمفهوم الطبقة بأنه مفهوم ذو عمل أساسي ، فهي لم

---

١) سارتر جون بول ، الوجودية مذهب انساني ، ص ٧٦
٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦

تعتبره أبدا مفهوما غير قابل للتحقيق أو تجاوزته الأحداث بل بالعكس فلقد سبق وأن تكلم فيه " موريس مارلوبونتي " عام ١٩٤٥ ، كما استعمل سارتر في الأعداد الأولى من مجلة " الأزمنة الحديثة " مفاهيم " الطبقة البرجوازية " و " الطبقة العاملة " . ثم نجد سارتر يعترف شيئا فشيئا بالمحيط الاجتماعي وبالطبقة الاجتماعية وضرورة الغير خاصة مع اضافته لمفهوم " الوضع " و " الالتزام " وتطويرهما . فبعد انسان الحرية المطلقة والأنانية المفرطة ها هو ينادي بانسان الموقف والانسان "الغيري" : ((الانسان ان هو الا وضع (...) مشروط كلية بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها . بأجرته ونوعية عمله ، مشروطا الى حد أحاسيسه ، الى حد أفكاره .)) و ((لكي نكشف عن أنفسنا فليس في عزلة ما وانما : في الطريق ، في المدينة وسط الجمع ، الشيء بين الأشياء ، والانسان بين نظرائه أو أمثاله .))(١)

اذن لم يعد هناك شك في ضرورة وجود " الغير " ، هذا الغير الذي به يتحدد الانسان ومن ثمة تتحدد الطبقة الاجتماعية التي هو جزء منها . ومع ذلك بقيت هذه النظرة السارترية بعيدة عن النظرة الشيوعية خاصة وأن الشيوعيين كانوا يعتقدون كل الاعتقاد أن المثقف الذي انتجته الطبقة البرجوازية لا يستطيع أبدا أن يطأ ساحة الحزب الشيوعي بكلتا قدميه وأن التزامه يبقى دوما التزاما مترددا ومهددا في كل وقت بالانسحاب ، فليس لالتزامه وزن . وعلى العكس من ذلك ترى أن رجل الطبقة الشغيلة يجد في الشيوعية الوسيلة الوحيدة التي تضمن له وجوده وبقاءه ومن ثم تحريره من يد الاقطاعية والرأسمالية . لذا فالشيوعية بالنسبة للبرجوازي ليست خلاصة انما هي القبر الذي ينتظره .

أما على المستوى العملي ومع التطورات السياسية فاننا نجد حاجة سارتر الى " الغير " تمتد وتزداد الحاحا فتؤكد من أن : ((دخول عالم السياسة هو أن يعرض الفرد عن حالته الفردية والتوجه نحو الآخرين وجعل الحاضر في خدمة المستقبل))(٢)

---

١) Sartre(J.P), Situations I, Gallimard, Paris, 1947, P.P 27-28-32.

٢) Beauvoir(S.de), L'Existentialisme et la sagesse des Nations, Edit.Nagel. Paris, 1963, P 68.

فكانت بعدها أعماله مناهضة للرأسماليين ومنذ ١٩٤٥ أبدى معارضته للحزب الديغولي في فرنسا • وقد ذهب سارتر ومارلوبونتي عام ١٩٤٦ الى حد التصريح بأنه أمام تصاعد الحرب الباردة وفي حالة التعارض بين الكتلتين الشرقية والغربية سيقفان الى جانب الاتحاد السوفياتي(١) ، ولعل في هذا ما يعبر عن الرفض الضمني لمفهوم " الغير " في " الوجود والعدم " والتحضير للاتيان بنظرة جديدة تتماشى والوضع التاريخي الجديد•

وظهرت بوادر هذا التغيير عندما شكل سارتر عام ١٩٤٩ حزبا سياسيا له هو حزب التجمع الثوري الديمقراطي يدعو الى الاشتراكية المستقلة في فرنسا • غير أن هذا الحزب لم يكتب له النجاح ، وان تمكن من أن يضم في صفوفه بعض المثقفين فعلى العكس من ذلك نجده لم يسجل دخول ولا واحدا من الطبقة الشغيلة وقد يكون السبب في ذلك هو ابقاؤه النزعة البرجوازية بل وسيطرتها على نظرته الجديدة هذه والتي يبدو من خلالها أنها نظرة حاولت الجمع بين ماهو نظري عنده من جهة وواقع الماركسية من جهة أخرى• ولما أثبت الحزب الشيوعي الفرنسي وقتها أنه الحزب الوحيد والفعال الذي يسعى لتحقيق الاشتراكية وأن الطبقة الشغيلة برمتها تسير وراءه أحس سارتر بعزلته ووجد نفسه مضطرا لأن يقدم تأييده الى الحزب الشيوعي الفرنسي رغم اختلافه معه في الوسائل والمنهج ، ومنذ ذلك الحين أصبح سارتر صديقا حميما له وان لم يلتحق به رسميا • من هنا أصبح " الغير " في مفهوم سارتر يتمثل في تلك الطبقة التي هي موضع استغلال والتي لا يمكنها أن تنال حريتها دون أن تمر عن طريق الثورة ، لذا قرر سارتر أن يقف في صف هذه الطبقة من أجل أن تنال حريتها وعليه أن يخوض الحرب معها اذا كانت هذه الأخيرة قد اختارت الحرب لذا نجده أيضا يقول على لسان أحد أبطاله في مسرحيته " الشيطان و الله الخير " : ((أمامي ثورة للقيام بها وسأقوم بها)) • ومن أجل هذا أيضا قال سارتر :((الى غاية اشعار لاحق ، فان الحزب يمثل في نظري ، طبقة البروليتاريا

---

١) Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 38.

ولا أرى تبريرا لتغيير رأيي هذا في الوقت الحاضر (...). انه يستحيل علينا أن نأخذ موقفا معاديا الشيوعيين دون أن نكون معادين للبرولتياريا))(١) .

واذا كان سارتر قد خرج من دائرة الدفاع عن الحرية الفردية الى الدفاع عن حرية الطبقة العميلة فلأنه رأى أنه لا يمكن أن يكون حرا اذا لم يكن الآخرون أحرارا وهو الشيء الذي جعله يسار الماركسية نظرتها في تحرير " الغير " المستغل أو كما هو مسمى في مصطلحها طبقة البروليتاريا . ثم ظن أن السبيل الوحيد الى تحرير هذه الطبقة لا يتم الا تحت لواء الحزب الشيوعي ومن ثم أصبح في نظره أن : ((كل معاد للشيوعيين فهو " كلب " ، وسأبقى على هذا الرأي))(٢) .

انه لطبيعي جدا أن يتبع المستغل الطرف الذي يسعى لتخليصه أو يوهمه بالخلاص ومن هنا فمن باب المنطق أن نجد الطبقة العميلة المظلومة في فرنسا تسير وراء الحزب الشيوعي ولا عجب في هذا ، بل العجب كما يقول سارتر : ((انكم تتساءلون عن أي معجزة هذه التي جعلت جل العمال يتبعون تعاليم الحزب الشيوعي الفرنسي ؟ أما أنا فاني أقلب السؤال رأسا على عقب متساءلا ما هو الشيء الذي يمنعهم من أن يسيروا جميعا وأنفسنا وراء هذا الحزب؟))(٣)

لقد أمست علاقة " الأنا " مع " الأنت " أو علاقة الفرد مع الآخرين تبدو علاقة جد متكاملة ومن ثمة أمست الاساءة الى الآخرين تعني بالضرورة الاساءة الى الفرد ذاته وأن حريته أصبحت مرهونة بحرية الآخرين اذ لا معنى لحرية الفرد في ظل عبودية الآخرين . فبعد أن كان " الغير " جحيما وأن العلاقة بين الأفراد ضرب من الخيال ها هو سارتر يشيد بضرورة وجود الآخرين بل أصبح يرى أن وجود " الأنا " وحريته مرهونان بوجود وحرية الآخرين . ومادامت فلسفة سارتر تسعى الى تحرير الانسان ومنه تحرير " الآخر " فان جهد سارتر أصبح منصبا على تحرير الطبقة البروليتارية

---

١) Entretien publié par Paris-Presse, L'intransigennt, 7 juin 1951, cité par Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 180.

٢) Sartre(J.P), Situations IV, P.P 248-249.

٣) Sartre(J.P), Les communistes et la paix II, in Les Temps modernes, Octobre. Novembre 1954, P 1735.

الطبقة التي تسعى الى تحريرها من جهة أخرى الفلسفة الماركسية ، ولهذا الغرض أيضا بات سارتر يرى أن كل صراع ضد الحزب الشيوعي الفرنسي ومهما كانت ضآلة هذا الصراع فهو صراع ضد البروليتاريا وضد الانسانية جمعاء فكتب يقول : ((فالانسان لا يمكنه أن يصارع الطبقة العاملة دون أن يكون عدوا للآخرين وعدوا لذاته))(١) .

وبعد هذا العرض التطوري لنظرة سارتر تجاه " الغير " نلاحظ أن ما كان عسيرا بل مستحيلا تطبيقه على المستوى النظري قد تم تحقيقه على المستوى التطبيقي ولعل السبب في ذلك يعود الى أحد الاحتمالات التالية :

اما أن يكون سارتر قد رفض ضمنيا ماجاء في أرائه الأولى المتمثلة في كتابه " الوجود والعدم " .

واما أن يكون تكاملا بين المرحلتين شريطة أن تكون المرحلة الأولى مرحلة اهتمت بدراسة الفرد كذاتية منعزلة وجاءت المرحلة التي تلتها لتنظر اليه وهو يعيش وسط الجمع بين أمثاله مع بعض التعديلات في بعض المواقف وهي نظرة واقعية أكثر منها نظرة مثالية .

واما أن تكون محاولة لبناء فلسفة مركبة بين "جون بول وماركس" وهو الاحتمال الأكثر وقوعا وهذا نظرا لتأثر سارتر العميق بواقع الماركسية وهو الذي سنحاول أن نتتبعه وبأكثر دقة في مايلي : لا شك في أن الثورة الروسية قد أحدثت تغييرا كبيرا في المجتمع الروسي وكان من الأهداف المسطرة لهذه الثورة تحرير الطبقة العاملة وذلك بنزع وسائل الانتاج من يد الطبقة المستغلة ووضعها في يد الطبقة المستغلة ومن ثم تسليمها مفاتيح الحكم ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان هذه الثورة السوفياتية كان لها تأثير كبير على عدد كبير من الدول المجاورة وغير المجاورة وباسم الفلسفة الماركسية توصلت الى أن تقسم العالم الى قسمين : قسم مناصر وقسم معاد .

---

١) Sartre(J.P), Les communistes et la paix I, in Les Temps modernes, 1952, P 5.

ونظرا لواقع هذه الفلسفة الملموس وللظروف التاريخية التي وجدت فيها والتي نذكر منها على سبيل المثال الاستغلال الفاحش للعمال من طرف الرأسماليين فان هذا كله كان له تأثير كبير على جل المفكرين والفلاسفة الأوروبيين المعاصرين ومن بينهم الفيلسوف جون بول سارتر : ((بالنسبة لنا ، فان أكبر حدث نسجله هو الثورة الروسية • لقد حققت العالم الانساني وشيدت، بالفعل في هذا العالم وبرهنت على امكانية وجود العلاقات الاجتماعية الحقة)) • ((كل ما استطعت أن أفعله على مستوى الفلسفة لا يعتبر أو لا يكتمل الا عند ما نتمكن من اقحامه بالماركسية : الى ذلك الحين فان الأمر يبقى معلقا • ومثل هذا ، كمثل الماركسية التي طالما هي كذلك لم تستوعب هذه الفكرة(١) أو النظرة الفلسفية فستظل فلسفة لا انسانية))(٢) • واذا كان سارتر يشيد بالثورة الروسية فهذا لا لشيء الا لأنها ثورة سعت الى تحرير "الفرد" و "الغير" معا من الاستغلال والعبودية والتضرب ••• •

لقد أخذ الفرد السارتري يذوب شيئا فشيئا داخل الجماعة كما أخذ "الغير" يسترد اعتباره • فلم يعد للفرد المنعزل معنى ولا فعالية ولا يمكن له أن يؤدي رسالته الا بالالتزام داخل جماعة ما أو مجتمع ما ، فمن هنا أصبحت جل تدخلات سارتر سواء على المستوى النظري عموما أو على المستوى التطبيقي على وجه الخصوص هي تدخلات من أجل تحرير "الغير" أو الطبقة المعينة أو المجتمع الفرنسي : ((اننا نتوجه اليهم (الجماهير) لأن هذه المؤسسة (المجتمع الفرنسي) لا يمكن أن تكون لها معنى الا اذا كانت مؤسسة جماعية))(٣) •

لكن الشيء الذي لا ينبغي أن نغفل عليه هو أن رؤى سارتر اتسمت وعرفت بالمرحلية المتضاربة والمناسبات والتقلبات أكثر منها برؤى تكاملية وتطورية • لقد عرفنا من سارتر الاتصال الحقيقي بين الأفراد على مستوى الالتزام السياسي وكيف أن الفرد لا يأخذ معناه الا في اطار المجتمع بل حتى أن المجتمع الانساني لا يمكن أن

---

١) هي المشروع الأنطولوجي الوجودي •

٢) Entretien entre Jeanson Francis et Sartre, Cité par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 22.

٣) Sartre(J.P), Sommes-nous en démocratie, in Les Temps modernes, 1952, P I732.

يكون له معنى الا اذا قام على أساس العمل الجماعي.ومن هنا رأينا كيف، أن سارتر لم يعد يتكلم بسام الفرد ولا باسم الحرية الفردية بل باسم الجماعة والحرية الجماعية، وكثيرا ماتداخلت عندما مصطلحات الوجودية السارترية بمصطلحات الفلسفة الماركسية وعرفنا أن السبب في ذلك عاد أصلا الى تأثر سارتر بواقع الماركسية وسيطرة الحزب الشيوعي الفرنسي في الميدان السياسي • لكن النظام الستاليني الشمولي المجهز وقبضته الحديدية جعلته يتحول الى حكم الأقلية : ((اذ اثبتت التجربة في الاتحاد السوفياتي أن الحكم لا يسقط - بعد الثورة - في أيدي البروليتاريا كما أرادته النظرية الماركسية ، بل فقط مجموعة من الأفراد هي التي تتحكم في زمام الحكم ، وحتى لو كانت تزعم بأنها تحكم باسم جماعة البروليتاريا ، فان الحقيقة غير ماتدعي تماما : فباخفائهم لصراع الطبقات تسبب القادة في خلق وتطوير بيروقراطية هائلة ومتحجرة تسببت في قطيعة بين جهاز الحكم والجماهير ، وكانت حاجزا أمام تحقيق مجتمع اشتراكي))• ومن هنا حاول سارتر أن يبين بأن عملية التأسيس institutionnalisation أيا كان شكلها فهي دائما تكون حاجزا أمام تطوير براكسس حقيقي والذي : ((لا يمكن له أن يوجد الا انطلاقا من تجمع حقيقي))(١). وفي هذا الاطار ينبغي لنا أن ندرك محتوى الانتقادات الموجهة من طرف سارتر الى الأحزاب الشيوعية منها الفرنسي على وجه الخصوص ، لأن الحزب في شكله التأسيسي لا يستطيع أن يكون ثوريا•

وهكذا فبعد أن أدرك سارتر خطورة الحزب الشيوعي الستاليني الشمولي وسلبياته وكيف أن هذا الحزب الذي جاء ليحرر " الآخرين " قد طور لديه أساليب الاستغلال والاستبداد واحتكار السلطة وسلب " الغير "، الطبقة المشغيلة حريتهم بدأ يتحفظ في مواقفه بل تراجع في كثير منها وأيقن أنه بمساندته مثل هذه الأحزاب يكون قد نقل أبطاله من دائرة الحرية الى دائرة الحتمية ومن الانفراج الى السجن ومن الثورة الى الجمود والتحجر •

---

(١) Sartre(J.P), On a raison de se révolter, Gallimard, Paris, 1974, P 48.

وتمخضت هذه المرحلة السارترية التأملية لتقدم لنا كتابا تحت عنوان "نقد العقل الجدلي" ، فما هو مفهوم " الغير " من خلال كتابه هذا ؟ وهل هناك امكان وجود علاقة حقيقية بين الذوات؟ وعلى أى أساس تقوم هذه العلاقة ان وجدت؟ وهل استطاع سارتر أن يتجاوز بنظرته هذه النظرة الماركسية ؟

ان كتاب " نقد العقل الجدلي " هو كتاب ، كما أراده سارتر ، " انثرولوجي" يدور موضوعه حول الانسان في الجماهير مقابل الانسان في الفرد والعلاقات الجماعية بدل العلاقات الشخصية • وهو محاولة يحاول سارتر من خلالها تبيان أن العلاقة الموجودة بين الوجودية والماركسية هي علاقة تكاملية وأن مفهوم الندرة هو الجسر الذى ينقلنا من الوجودية الى الماركسية وجعله مفتاح فلسفته التي احتواها هذا الكتاب •

لقد ربط سارتر بين مفهوم الحاجة ومفهوم الندرة لأن عالمنا ليس فيه مايكفي لسد واشباع متطلبات الحاجة ومن ثمة فتاريخ البشرية كان تاريخ الحاجة وهو صراع مر ضد هذه الندرة(١).

ان عالم الندرة يحتم على بني الانسان أن يجتمعوا لذا يقول سارتر : ((اننا متحدون لمجرد أننا نسكن جميعا عالما يتحدد ويتميز بالندرة))(٢) • وتتكون العلاقة بين الأفراد ويكونون " زمرة " بالمفهوم السارترى أو طبقة عاملة بالمفهوم الماركسي • وهذا التكوين يكون نتيجة لحاجة الى تعاون بين الأفراد وذلك لمواجهة هذه الحاجة أو الندرة ومن ثم القضاء على هذا الخطر الجماعي الذى يهددهم • و " الزمرة " بهذا المفهوم لم تكن نشأتها نشأة تلقائية وانما كانت نتيجة الخوف الناجم عن الأخطار الخارجية والتي تدفع بالأفراد الى الايمان بضرورة التجمع والتعاون فيما بينهم : ((تتكون " الزمرة " انطلاقا من الحاجة أو من خطر جماعي يداهم أفرادها •وتتحدد se definit بالموضوعية المشتركة التي تحدد عملها الجماعي))(٣) •

---

١) Resumé d'une idée prise de: Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique, Gallimard, Paris, 1960, P 201.

٢) Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique, P 211.

٣) IDEM , P 202.

واذا كان الانسان في " الوجود والعدم " مشروعا وتصميما يحيا حياة ذاتية لا يحتاج الا الى أفعاله وحريته التي تحدد وجوده وتكونه ، فان انسان " نقد العقل الجدلي " هو غير ذلك فهو انسان جماعي النزعة حيث مشروعه الفرد يتحول الى مشروع جماعي ولعل الفضل في ذلك يعود الى الندرة ، هذه الندرة التي هي : ((بوصفها خطر موت تلزم الناس على نهج طريق التعاون وذلك من أجل مكافحتها . وهنا يتجلى جانبها الايجابي اذ تعد الوسيلة الناجحة في جمع الناس حول مشروع جماعي يتعدى مصالح الأفراد ويحاول تجاوز هذه الندرة في اتحادهم لمقاومتها))(١) .

واذا كانت الندرة عند سارتر هي الدافع الى اتحاد الأفراد وتعاونهم فهي كذلك كعلاقة معاشة وممارسة متنوعة وموجهة صوب عالم المادة واشباع الحاجة فهي تؤسس امكانية ايجاد اللبنة الأولى للتاريخ البشري . ويرى سارتر أن هذا المفهوم لا يتعارض وقوله أن الرجال هم الذين يصنعون التاريخ . ويرى أن قولنا أن تاريخنا هو تاريخ البشر أو أنه يولد ويتطور باستمرار في ميدان مشحون ومتوتر سببته الندرة فهو قول واحد ومتساو ولكنه يرفض أن تكون الندرة هي التي تؤسس حقيقة التاريخ وواقعيته : ((الندرة تؤسس امكانية التاريخ البشري ولا تؤسس حقيقته أو واقعيته " Realité "))(٢) .

ومن زاوية أخرى ، ودائما من وجهته نظر سارتر ، فربما كان في مقدورنا أن ننظر الى التاريخ البشري كله على أساس أنه سجل لصراع أفراد عاملين ضد المقاومة المادية التي يلقونها من جانب الواقع المادي في جو مليء الحاجة والندرة معا . غير أن الملاحظ هنا هو أن هذه النظرة الى التاريخ قد تبدو مهملة عنصر الجدل ولهذا السبب كان من باب الصواب أن نقول أن الانسان هو الكائن الذي يملك امكانية صنع التاريخ .

---

١) IBID , P 2II.
٢) IBID , P 385.

ومن هذا الجانب نجد أن سارتر بقي دائما يحافظ على بقاء النزعة الفردية بوصفها اللبنة الأولى للجدل وبوصفها كافية لأن تصنع تاريخها بمفردها اذا توفرت الشروط : ((ولا نقول بأن العامل المعزول عن الجماعة لا وجود له • بل بالعكس فهو يوجد وفي كل مكان عندما تتطلب منه الشروط الاجتماعية والتقنية لعمله أن يعمل منفردا))(١) ومثل الفلاح •

لقد أشاد سارتر كثيرا بالحرية الفردية في كتابه " الوجود والعدم " وفي رواياته ومسرحياته ورأى أنه ليس ثمة فرق بين أن نقول " انسانا " وبين أن نقول " حرية " وعلى هذا الأساس رأى أن العلاقة بين الذوات هي علاقة غير ممكنة كونها صراعا بين الحريات وتعاليا عن التعالي • بيد أننا نجده في كتابه " نقد العقل الجدلي " يذهب عكس ذلك ويرفض أن يكون ذا نظرة رواقية وأن يجعل الانسان حرا في جميع الحالات والأوضاع : ((فلا يقولوننا وخاصة وبأن الانسان حر في كل الأوضاع (...) • نريد أن نقول بالضبط العكس علما بأن الأفراد ، جميعهم أو كلهم عبيد ما دامت تجربتهم الحية تجرى في ميدان المادة على أساس أن هذا الميدان أصلا مشروط بالندرة))(٢) ، لذا فعملهم يتحدد بوصفه ممارسة موجهة من أجل اشباع الحاجة في اطار هذه الندرة ، وهذه الأخيرة هي في حد ذاتها تنطوي على مجهود وقدرة تسمح بتجاوزها • هذه العملية الأخيرة هي التي يسميها سارتر أخيرا المشروع • ويجعل سارتر من الندرة الدافع الى تواجد السلب الداخلي لبعض الأفراد والذين هم بدورهم يتسببون في تواجد العلاقات الاجتماعية وايجاد الطبقات والتعاون فيما بينهم •

وخلاصة القول تكمن في أن سارتر يحرص على أن يظل كتابه " نقد العقل الجدلي" داخل اطار تصورات المادية التاريخية والصراع الطبقي شريطة أن ينظر الى الأفراد على أساس أنهم هم المحرك للتاريخ لا عكس ذلك • وبهذا المفهوم فهو يستهدف تجديد الماركسية وادخال الوجود فيها واعتبار الوعي الفردي نقطة الابتداء • ومن هنا فهو يرفض المادية

---

١) IBID , P I74.
٢) IBID , P 369.

الجدلية ويحمل " انجلز" مسؤوليتها ويعتقد أن القول بالمادية الجدلية يعني تحجر الماركسية وجعلها تدور في حلقة مغلقة ومن ثم فاننا نسلب الآخرين حريتهم لذا :

((فابتداء من اليوم الذى تأخذ فيه الابحاث الماركسية بالبعد الانساني (بمعنى المشروع الوجودى) كأساس للمعرفة الانتروبولوجية ، فان الوجودية تفقد كل علة وجودها))(١)

ومن هنا نفهم أيضا أن سارتر لا يسعى الى رفض الماركسية باسم طريق ثالث أو باسم مذهب انساني ميثالي ولكنه يسعى الى استعاد واسترجاع الانسان داخل الماركسية ذاتها • فمع سارتر كما هو الحال مع ماركس فان الجماهير هي التي تصنع التاريخ وأن الصراع الطبقي هو محرك التاريخ • واذا كان سارتر مع ذلك يضح بأن الانسان هو الذى يصنع التاريخ ابتداء من وضع معطى يحدده (يحدد الانسان) فليس المراد من وراء هذا ، وكما سلف القول ، هو البحث عن طريق ثالث كحل وسطي بين المادية والميثالية - وهو الانتقاد الذى وجهه له لوكاز G. Lukacs في كتابه " الوجودية والماركسية "، بل فلأن في الماركسية : ((البحث الشامل قد فسح المجال لسكولاستيكية الكل أو الشمولية " Scolastique de la Totalité " • ان المبدأ العام المتمثل في ((البحث عن الكل من خلال الاجزاء)) قد أصبح يتمثل في ذلك المبدأ التطبيقي الأرهابي وهو ((القضاء على الخصوصيات))(٢) فاذا كان أصل الانسان والمجتمع واحدا فهذا ليس معناه أن الانسان هو المجتمع وأن المجتمع هو الانسان ولكن كل منهما يصنع الآخر ، فثمة تأثير متبادل بينهما • فاذا كان الانسان يكوّن مجتمعه فانه لا يكتشف نفسه الا في داخل ذلك المجتمع الذى هو جزء منه • وقد لاحظ بعض النقاد أن نظرة سارتر هذه ليست كلها محتواة في النظرة الماركسية وهي بعيدة من أن تجعل من سارتر - كما لاحظ ذلك " ألتوسر - L. Altusser " ((اديولوجيا سابقا لماركس))(٣) ، والحقيقة أنه يمكن اعتباره مفكرا مابعد ماركس ، بل الماركسية كانت له وسيلة لبسط فكره أكثر

---

١) IBID , P III.

٢) IBID , P 28.

٣) Altusser(L), Réponse à Jhon lewis, P 44, Citée par: Hodard philippe, Sartre, P I04.

ومـــن ثم وهو يسعى الى انعاش الماركسية يكون قد ذهب في كثير من الأحيان الى أبعد الحـــدود .

والظاهر يبدو أن سارتر من خلال نظرته هذه الى " الغير " قد اقترب كثيرا من الماركسية اذ : ((لكي نكشف عن أنفسنا فليس في عزلة ما، وانما : في الطريق ، في المدينة وسط الجمع ، الشيء بين الأشيـــاء ، الإنسان بين سويـــه))(١) .

لكننا قد نتساءل : ماهو السبب الذي جعل سارتر يرفض الانخراط في الحـــزب الشيوعي الفرنسي بعد ادراكه ضرورة الغير ؟ والسبب في ذلك يعود الى أنه : ((أولا كا ن جد متحررا خاصة وأن له مع الماركسيين اختلافات ايديولوجية جدية (...) ففي مقابـــل الماركسية التي يتبناها الحزب الشيوعي الفرنسي فهو يسعى الى تخليص البعد الانسانـــي للانســـان))(٢) .

وهو اذا كان يعترف بأن النظرة الماركسية هي نظرة لا يمكن تجاوزها وأن كل الأفكار لا يمكن لها أن تتولد وتعيش خارج دائرة مناخها فهو من جهة أخرى يؤكـــــد ويصـــر على أن الفرد ودوره لا يمكن تجاوزه لذا يرى أن الوجودية : ((تريد ، في المعرفة ذاتها ، وفي عالمية المفاهيم ادخال الفردية التي لا يمكن تجاوزها في المغامـــــرة الانســـانية))(٣) .

وهو يريد أن يقول بهذا أن الماركسية هي فلسفة يمكن لها أن تتعايش مع الفلسفة الوجودية شريطة أن تأخذ بالبعد الانساني ، لكنها لا يسعها أن تقضي على النزعة البرجوازية ، لأن البرجوازي مهما كانت الظروف يبقى وباستمرار يولد بورجوازيا، ومع كل هذا أيضا نجد سارتر يرفض أي حكم كان يقوم على الفردية لأن الحكم الفـــردي هو قضاء على الحريات ومن ثمة هو قضاء على "الآخرين" : ((صوتوا لصالح " متيران "، لا يعني التصويت له ولكن يعني التصويت ضد الحكم الفردي وضد تحيز الاشتراكيين الى اليمين))(٤) .

---

١) Sartre(J.P), Situations I, Gallimard, Paris, 1968, P 32.

٢) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 152.

٣) Sartre(J.P), Critique de la raison dialectique, P 108.

٤) Le Monde, 4 Decembre 1965, Citée par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 224.

وهكذا نجد أن مفهوم سارتر للحكم الجماعي يعني عنده تربع الحرية على العرش والقضاء على كل حزب متحجر مغلق . انه واقع الفلسفة السارترية . أما جانبها المثالي ، فاذا ماعدنا اليه من جديد وقرعنا بابه فاننا نجده يفاجؤنا ، وفي آخر أيامه ، بالعودة الى المفهوم المبدئي القائم على الآخر المرفوض . فبعد "الآخرون هم الجحيم " يفصح سارتر في آخر حديث له عن نوع آخر من هذا الجحيم فيقول : ((الشيخوخة هي واقعي أنا الذي يشعر به الآخرون : انهم يرونني ويقولون يا له من رجل عجوز لـ انهم محبوبون لأنني سأموت قريبا ، ولأنهم سيحترمونني بعد ذلك (...) ان الآخرين هم شيخوختي))(١) .

وما يجدر الاشارة اليه هنا هو تكشف سارتر الممزق بين ماهو واقعي وما هو نظري . فاذا كنا قد لمسنا " الآخر المقبول " " والضروري " مع فلسفته الواقعية ، فاننا نجد الأمر يختلف تماما مع فلسفته النظرية اذ تبقى وجوديته هذه ، على هذا المستوى ، هي فلسفة الآخر المرفوض أو الآخرين المرفوضين . والآخر المرفوض هذا لا أظنه الا ذلك الانسان الاستعماري الذي انتجته تلك الحقبة التاريخية الأخيرة من أوربا وهي حقبة وصفت بالكارثة الانسانية الأوربية والتي استيقظ سارتر على أولى ارهاصاتها التدميرية في الحرب العالمية الأولى . لذا فالوجودية السارترية لا يمكن اعتبارها في مجملها الا انبثاقا وامتدادا لهذه الحالة الاجتماعية الأوروبية .

---

١) عن مجلة نوفال ابسارفاتور " N. Observateur " ، مارس ١٩٨٠، ونقله الدكتور خليل أحمد خليل ، السارترية ، تهافت الأخلاق والسياسة ، ط٢ ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

الفصل الثالث : الأدب و السياسة عند سارتر

لقد جمع سارتر بين الفلسفة و الأدب كما جمع في الأدب بين الروايــــة و المسرح و أصبغ الكثير من رواياته و مسرحياته طابعا سياسيا خاصا .

و اذا كان المحور الرئيسي الذي تدور حوله فلسفة سارتر يتمثل في الحريــة و الالتزام ، فان أدبه هو الآخر لا يعدو أن يكون أدب الحرية و الالتزام و لعل مـــا يؤكد هذا أكثر هو ما قاله عام ١٩٤٢ : ((كان مرادي هو تمكين الشباب ، عند قراءتهم كتبي ، من أن يعرفوا اذا كان من واجبهم الذهاب الى الأشغال ـ ـ أو البقاء في بيوتهم))(١).

أما سعينا في هذا الفصل فيتلخص في محاولة معرفة العلاقة الموجودة بيـــن الأدب و السياسة عند سارتر و ما اذا كان قد استطاع أن يوظف الأدب في مجال السياسة؟ و في الأخير الى أي مدى استطاع أن يجعل من الأدب أدبا سياسيا ، حرا و ملتزما ؟.

ومادام المبدأ الرئيسي الذي تقوم عليه فلسفة سارتر هو الحرية فان الحرية هـــذه ليست الا ذلك الانسان الذي قذف به في هذا العالم و من ثمة فالكاتب ليس الا نمطا مـــن أنماط هذا الانسان .من هنا يصبح الكاتب انسانا حرا ، الكاتب الحر لا يملك الا أن يرفض جميع أصناف و أشكال العبودية وبهذه الكيفية فهو لايتبنى الا الاحرار وليس امامه غير موضـــوع الحرية . وبهذا المعنى تصبح الحرية جزءا ضروريا بل حتميا من عمل الكاتب، وعمـــله هـــذا ليس فقط من أجل تمثيل هذه الحرية الخلاقة ولكن ليدافع عن مجتمع الوجود الحـــر .

ولهذا الغرض نجد سارتر يسعى الى ايجاد مجتمع أفراده أحياء يتميزون بالحريـــة والتغيير المستمر والتجديد الدائم رافضين كل تحجر واستقرار فيقول : ((تريدون الحياة لأبطالكم ؟ اعملوا على أن يكونوا أحرارا))(٢).

لقد اعتاد بعض الناس على فكرة أن الأدب عموما يتماشى والحياة المليئـــة باللهـــو والتـــرف ، اذ الأغنيـــاء هم الذيـــن يطالبـــون بالمزيد من هـــذا

الصنف الاجتماعي سعيا منهم الى توفير الراحة المفقودة لأنفسهم. ومن هنا تساءل البعض عن دور الأدب وغايته في مجتمع أفراده ينوؤون تحت وطأة الفقر والجوع. ويجيب سارتر على هذا السؤال بقوله أن: ((الأدب مثله مثل الأخلاق هو في حاجة الى أن يكون أدبا عالميا . لذا فيجب على الكاتب أن يقف الى جانب أكبر عدد ممكن من الأفراد ، الى جانب الملايين الجائعين من الفقراء. وهذا اذا أراد أن يتوجه الى كل الناس وتكون كتبه مقروءة من طرف كل الناس))(١) .

واذا كان هم الكاتب هو الوقوف في صف الفقراء الجائعين فليس هذا من باب المناسبات انما على الانسان المعاصر اذا أراد أن يفوز باسم "الكاتب" عليه - في اعتقاد سارتر - أن يهتم وقبل كل شيء بأن يقدم لقرائه صورة كاملة لحالة الانسان ، وبعمله هذا يصبح وقتها أديبا أو كاتبا ملتزما . ومن هنا فالكاتب لا يكون كاتبا الا اذا كان ملتزما . وقد يتبادر الى أذهان البعض أن الكاتب وهو يلتزم بأمور الناس قد يهمل ويتغاضى عن مفهوم الأدب كأدب في حد ذاته بمعنى أنه قد ينزع عليه صبغته الفنية والجمالية ويجعل منه ، بعدها ، أدبا يتسم فقط بصيغة النثر الخبري الجاف . غير أن سارتر يفند هذا ويقول : ((في "الأدب الملتزم" فالالتزام لا يجب عليه بأي حال من الأحوال أن يجعل الكاتب يغفل ويتناسى الجانب الأدبي (...) ويجب أن يكون اهتمامنا ، في خدمة الأدب ، بتحقيقنه واعطائه دما جديدا بمثل ما يكون اهتمامنا ، في خدمة الجماعة ، بمحاولة اعطائها الأدب الذي يناسبها))(٢)

ولعل سارتر ، بفكرته هذه ، يكون قد سعى الى الحرص على أن يبقى الأدب في دائرة ((الخدمة الاجتماعية)) .

واذا كان العامل في المصنع والفلاح في الحقل يغير الأوضاع بفعله أو نشاطه اليدوي فان الكاتب "الملتزم" شأنه شأن العامل والفلاح يعمل على تغيير

١) Le monde I8 avril I964, Citée par Francis Jeanson, Sartre dans sa vie P228.

٢) Francois Jeanson, Sartre dans sa vie, P I58.

الأوضاع الاجتماعية وذلك بانتحاله صفة المنقب والكاشف عن الحقيقة : ((ان الكاتب " الملتزم " يعرف أن الكلمة فعل ونشاط(Action) : يعرف أن اماطة اللثام عن الشيء أو كشفه يعني التغيير ولا نستطيع الكشف الا اذا شرعنا في التغيير))(١) .

واذا كان " الالتزام " عند سارتر هو الالتزام بأمور أغلبية المواطنين ، فان هذا "الالتزام " يكون بالضرورة وبهذا المعنى قد تسيّس ومن ثمة فاذا كان الكاتب الملتزم - كما سبق وأن أشرنا - ينبغي له كما يجب عليه أن يكون في صف طبقة الفقراء الكادحين فانه لا يمكنه أن يكون كاتبا ملتزما الا في مجال سياسي معين ولهذا السبب أصبحت السياسة عموما و " الاشتراكية " خصوصا شغل سارتر الرئيسي في مجال الأدب ، وأصبحت عبارة " الأدب الملتزم " في مفهومه تعني أصلا الأدب الملتزم بأية نظرة أخلاقية أصيلة تجاه الحياة مهما كانت هذه النظرة • غير أنه في الحقيقة لايمكن لنا أن نعرف هذه النظرة الأخلاقية الأصيلة على ضوء المسلمة الوجودية القائلة أن على كل انسان أن يكون صانع قيّمه الاخلاقية لأن فكرة " الأدب الملتزم " سرعان ما استخدمه سارتر نفسه والنقاد اليساريون الآخرون الذين اخذوا العبارة على أنه مقصود بها " الأدب الملتزم " بالاشتراكية كما لو كان أي التزام آخر لن يكون التزاما أصيلا •(٢) واذا كان سارتر قد اختار حزبه المتمثل في الاشتراكية فهو لم يختره على نفس الأساس الذي اختاره عليه الآخرون بل حسب رؤيته الخاصة به للاشتراكية ، فهو حزب تمثل في : ((حزب الحرية والانسان والثورة الاجتماعية))(٣) .

واذا تساءلنا : لماذا اختار سارتر أن يكون التزامه التزاما بهذا الحزب؟ فاننا نجد سارتر يبين لنا بأن اختياره هذا كان قائما على أساس أن السياسة

---

١) Sartre(JP), " Qu'est-ce que la litterature?", Situations II, Ed Gallimard, Paris, I948, P73.

٢) فكرة ملخصة ومأخوذة من: موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والأدب، تر: د/مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١١٩ •

٣) Sartre (J P), "Qu'est-ce- que la litterature ?", Situations II, P 298.

الشيوعية الستالينية لا تتوافق مع العمل النزيه للمهنة الأدبية ، ولأن المذهب الماركسي يتوقف بمجرد أن ينطلق ، والسبب في ذلك يعود الى الجدل العقيم الموجود داخل الماركسية ذاتها وهذا نظرا لكونه يقوم داخل اطار مغلق مما جعل الماركسية كلها تنحط الى مستوى الحتمية الحمقاء . فهو يسعى للحصول على وسائل تمكنه من الحصول على وسائل أخرى . وعندما تبتعد الغاية وتنمحي ، وعندما تتحرك وتعج الوسائل كالحيوانات التي تحير وتتحرك في الظلام بأعين مغلقة ، فان العمل الفني هو الآخر يتحول بدوره الى وسيلة والتي تدخل في طبور الوسائل الأخرى ومن ثمة تصبح غاياتها ومبادؤها خارجة عنها ، لأنها أصبحت مقودة في الخارج ولم تعد تطالب بشيء ... ومن هنا أصبح الكاتب يحتفظ بمظهر الموهبة ، أما باطنها فيحتوى على شيء قد فقد الحياة ومعها تحول الأدب الى مجرد دعاية(١) .

ويجدر بنا أيضا أن نشير الى أن هناك من انتاجات سارتر الأدبية التي ظهرت ابان الاحتلال الألماني لفرنسا ، وهي الفترة التي تلاحم فيها أدبه بالمقاومة فكان أن أعطته صبغته الشرعية ، وكان سارتر يقول : ((ليس الأدب غناء بريئا وسهلا يتلاءم مع جميع الأنظمة ، بل هو ومن تلقاء ذاته يطرح مسألة سياسية : الكتابة تعني المطالبة بالحرية لجميع الناس . فاذا كان ليس من واجب العمل الأدبي أن يكون نشاطا للحرية يهدف لأن يكون معترفا به من طرف حريات أخرى ، فهو ليس الا ثرثرة ذليلة .))(٢) .

واذا كان الكل يعيش في ظل الحرية فكان من الواجب أن يعلم كل واحد أن : ((جميع الأوضاع ، على حد السواء هي بمثابة مصيدة أو طريق مقطوع)) لأن في حقيقة الأمر : ((ليس ثمة طريق للاختيار . فالطريق يخترع وكل واحد وهو يخترع طريقه يخترع ذاته باستمرار)) . ((وعلى وجه الخصوص ، فقد يضيع

---

١) Résumé d'une idée frise de: Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, P I77.

٢) Les lettres Françaises, n° , I944, P 8. non signé, Citée par: Anna Boschetti, Sartre et les" Temps Modernes " les Edits de Minuit, Paris I985. PI77

كل شيء اذا ما حاولنا الاختيار ما بين الأقوياء الذين يحضّرون الحرب...))(١) لأن مثل هذا الاختيار يعني الوقوع في التبعية ومن ثمة الوقوع في التحجر .

ومن أهداف سارتر التي يمكن أن نستخلصها هنا هي محاولته تبيان أن جوهر الأدب ثوري ، وأن كل كلمة تصدر من الكاتب فهي بمثابة فعل أو نشاط يسعى الى التغيير . وكما سبق وأن صرح في كتابه " الوجود والعدم " أن الانسان حر في جميع الأوضاع والأحوال ها هو يجعل من الكاتب كذلك في " ما الأدب ؟ " ثوريا في جميع الأوضاع والأحوال . فالكاتب ، أولا ، عندما يكتب فليس لمجرد الكتابة ولا من أجل أن لايقول شيئا بل حتى وان حاول ذلك فلا يستطيع لأن كل كلمة لها مدلولها وان كان هذا المدلول لا يخدم غرض الكاتب . وقد يضطر الكاتب الى أن يصمت لكن حتى صمته هذا له مدلوله وهو بمثابة نشاط يؤديه : ((فلو نكون صمّا بكما كالحجارة فحتى سكوتنا في هذه الحالة سيكون نشاطا (Action)(...) فلكل كلمة صدى ولكل صمت صدى))(٢) .

ان الكاتب وهو يكتب انما هو يكتب للآخرين ، وعندما يكتب للآخرين فهو يحاول بذلك ، في نظر سارتر ، أن يكشف عن الحقيقة وبكشفه الحقيقة فهو يدعوهم جميعا لأن يشاركوه كشف هذه الحقيقة ومن هنا فان العبارات الحاسمة في " ما الأدب ؟ " تكمن في أن : ((الأدب هو نداء الحرية " اللامشروط " نداء الكاتب الحر الى القارئ الحر))(٣) .

ولكن ان كان " الأدب الملتزم " هو نداء لحرية القارئ ، فانه يجب على الكاتب أن يعدل عن أن يساوي بين الاهتمام بالتعبير و الاهتمام بالجانب الجمالي . فهناك أولا " ما يجب قوله " وان كان الواقع يظهر لنا بأننا في عالم يظل فيه الالتجاء الى الاغراء ضروريا ... غير أنه اذا كان الكاتب يهتم بالاغراء على حساب المحتوى فانه من دون شك يتعرض لخطر ابطال فاعلية هدفه الحقيقي الذي يرمي

---

١) Sartre (J.P), Situation II, in Qu'est-ce-que la litterature? , P.P 280——395

٢) Idem , P I3.

٣) Sartre(J.P) ', Qu'est-ce-que la litterature? , Paris, Gallimard, Coll, idées, I964, P.76.

الى التوجه نحو الحريات لمطالبتها بأن تصبح مسئولة عن العالم. وبينما كان البعض يميل الى أدب الدعاية أو يختبئ وراء أدب يدعي أنه خالص و"غير ملتزم"، شرع سارتر في البرهنة على أن هذا التسييس الكلي وهذا الالتباء الى الصفة الجمالية يخونان كلاهما وفي وقت واحد الأدب والعمل الثوري: ((ان فن الكتابة لاتحميه مراسيم ثابتة تصدرها العناية الالهية ، ان الفن هو مايصنعه الناس ، انهم يختارونه باختيارهم أنفسهم . وان كان لابد أن يتحول الى دعاية خالصة ، أو الى تسلية فان المجتمع يعود الى زريبة المباشر ، أى الى حياة الحشرات المجنحة والديدان التي بلا ذاكرة . وليس بكل ذلك بالتأكيد هذه الأهمية كلها : ان العالم يستطيع بكل سهولة أن يستغني عن الأدب ولكن في استطاعته أيضا أن يستغني أكثر عن الانسان))(١) .

ولعل الملاحظ هنا هو أن سارتر ، بعمله هذا ، يهدف الى اقناعنا بأن " الأدب الملتزم " هو انتزاع الفكر من سحر الكلمات ونقله الى سحر الحقيقة أو على الأقل منح الأسبقية لسحر الحقيقة على سحر الكلمات .

ولما كان الأدب الملتزم عند سارتر هو نداء الحرية ، هو نداء الكاتب الحر الى الانسان الحر من أجل أن يتيسر وباستمرار حريته . فاننا نجد سارتر يسعى الى تخليص الانسان من كل استغلال أو اغتراب أو تحجر فكان أن وجد في الماركسية - القائلة بالمادية التاريخية لا بالمادية الجدلية(٢) - السلاح الملائم الذى يمكن أن تستخدمه الطبقة المحرومة من أجل التحرر الكلي . وهكذا ، وفي آخر المطاف : ((في مجتمع بلا طبقات وبلا دكتاتورية وبلا ثبات أو تحجر ، سينتهي الأدب الى أن يصبح واعيا لنفسه ، سيفهم أن الشكل والمضمون والجمهور والموضوع واحد ، وأن الحرية الشكلية للكلام والحرية المادية للعمل تكملان بعضها بعض وأن نهايته هي أن يستجيب لحرية الناس

---

١) فرانسيس جونسون ، سارتر بقلمه ، تر: د/خليل صابات ، مراجعة د/ريمون فرنسيس ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص - ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٢) يلاحظ سارتر أن المادية التاريخية تعني أولوية الانسان على المادة أما المادية المادية الجدلية التي تمثل انجلز اياها فهي تعني أولوية المادة وهو الشيء الذى يرفضه .

حتى يمكن أن يحققوا ويقرروا حكم الحرية الانسانية))(١) .

ولهذا الغرض أيضا نجد سارتر يعارض الفنون الأخرى باستثناء "النثر الأدبي " ويرى أنه لا التزام الا في " النثر الأدبي " وأن النثر الأدبي لا يكون ملتزما الا اذا كان التزامه اشتراكيا . لقد هاجم سارتر كثيرا " بودلير" في دراسة له خاصة وأن هذا الأخير قد قاوم أي نوع من الالتزام الاشتراكي بوصفه بورجوازيا كان قد اقتنع أيضا - في رأي سارتر - بالسياسة الرجعية للامبراطورية الثانية وأن كل ما كان يهم هذا ، الشاعر هو أن يكون " متخلفا " . ومن هنا نستنتج أن سارتر : ((كان يفضل أن يكون (شاعرا غنائيا من الدرجة الأولى) بودلير كاتبا اشتراكيا مبكرا من الدرجة الثالثة على أن يكون شاعرا غنائيا من الدرجة الأولى))(٢) . أما الحقيقة في عمومها وفي اعتقادنا فهي غير هذه لأنه اذا استطعنا أن نجعل من الأدب النثري أدبا ملتزما فاننا كذلك نستطيع أن نجعل من الأدب الشعري أو الفنون التشكيلية أدبا أو فنا ملتزما كما أنه لايمكن أن يقتصر الالتزام وفقط على الاشتراكية لأن الالتزام ليس حكرا على الاشتراكية وحدها وانما هو يتماشى والميول الفردي الايديولوجي خاصة اذا علمنا مع سارتر أن الحرية اختيار وليست قصرا والا فأين تكمن قيمة الحرية هذه التي طالما نادى بها سارتر وجعلها محور أفكاره ؟ ... فهل باسم الاشتراكية التي تدعو الى التحرر - في رأي سارتر - نجبر الأديب والناس على أن يلتزموا بها ومن ثمة نكون قد أخذنا منهم باليسرى ماكنا قد أعطيناهم اياه باليمنى ؟ . هذا مايرفضه بلا شك منطق الحرية .

والآن ، وبعد أن عرفنا نداء سارتر الداعي الى جعل الأدب النثري أدبا سياسيا ملتزما ، نحاول الآن أن ننتقل معه لنعيش هذا النداء من خلال رواياته ومسرحياته المتنوعة ولنعرف وبعمق أكثر كيف جعل سارتر أدبه في خدمة السياسة أو بعبارة أخرى أدبا سياسيا ملتزما .

١) **نسقلا عن** : موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والأدب ، ص١٢٢ ومأخوذ من : جون بول سارتر . ماهو الأدب ؟ ، ص ١٩٧

٢) فيليب تودي ، جان بول سارتر " دراسة أدبية وسياسية " ، ص ١٤٨ ، واستشهد بالنص صاحب المرجع السابق ، ص ١٢٣

لاشك أن معرفة سارتر من طرفه العام والخاص تعود أساسا الى رواياته ومسرحياته المتنوعة وهي بالفعل تمثل الجانب الأيسر ادراكا من مؤلفاته بالنسبة الى الباحثين ورجال الفكر •

ان أول ما بدأ به سارتر هو كتابه الروايات القصيرة ليتخلى عنها فيما بعد ويشتغل بالمسرح الى جانب كتبه الفكرية الأخرى • ولقد اختلف الباحثون والنقاد في نظرتهم الى روايات سارتر فترتب عن هذا الاختلاف في التأويل: فمنهم من أوّلها تأويلا سياسيا ومنهم من رأى فيها فكرا فلسفيا بحتا خاليا من كل نظرة سياسية • ومن بين هذه الروايات نذكر أولا " الغثيان " • انها روايته الأولى ، بطلها يسمى " روكنتان " • وهو فرد يتهيأ لنا بأنه انسان حر لأنه لم تكن له أسرة ولا أصدقاء ولا عمل وبعبارة أوجز لم تكن له ارتباطات تشغله ، فهو غير ملتزم : ((لكن سارتر يخبرنا بأن روكنتان ليس حرا (حقا) ، فهو غير ملتزم Dégagé ، وأحد معتقدات سارتر الرئيسية هو أن (عدم الالتزام) ليس الا سخرية من الحرية ، هو في الواقع شكل من التهرب من الحرية))(١). وتصور لنا هذه الرواية " روكنتان " في شكل فرد أسطوري يعيش جل أوقاته في غثيان ودوار وقلق وأن هذه الأعراض تعود أصلا الى الكيفية التي يدرك بها العالم الخارجي• وكلما راح يتأمله يشعر به يضغط على أعصابه وخوفا من السقوط فيه نجده غالبا مايدفعه الى حالة الملل ليسبب له فيما بعد ما أسماه سارتر الغثيان • ولقد بدأت تجارب روكنتان مع عالم الأشياء عندما وقف على شاطئ البحر والتقط واحدة من الحصى التي حوله ، وعندما نظر الى الحصاة تولّاه رعب شديد ، فرمى الحصاة ، وهرب بعيدا ثم توالت التجارب التي كانت كلها من هذا القبيل • ويلخّص لنا أحد الباحثين هذا فيقول : ((في رواية الغثيان يخترع سارتر فردا خياليا أو شبحا ، يعيش لحظات النزاع بين حقارة الأشياء وضعفه الشخصي : انه يمثل

---

١) موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والأدب - ص ٢٢

نوع الموجود الذي يعيش بدون حرية والذي تسعى الوجودية الى أن تشفيه وذلك باقتلاعه من قبضة الحتمية))(١) . ويجعلنا كذلك نكشف أن روكنتان لم يكن موجودا من أجل الآخرين وأنه غير مرتبط بالآخرين ولا بوجهة نظرهم ، انه من الوجهة السياسية يعالج الشخصية البرجوازية الرافضة كل نظرة مادية : ((أنا أعيش وحيدا ، على الاطلاق وحيدا . ولا أكلم الآخرين أبدا ، كما لا أستقبل شيئا ولا أعطي شيئا(...) بالنسبة للأشياء ، أو الأدوات ، فليس من واجبها اللمس لأنها لا تعيش ، اننا نستعملها ثم نعيدها الى مكانها ونحن نعيش بينها : فهي مفيدة لنا وليس أكثر من هذا . أما بالنسبة الي فهي تلمسني وهو الأمر الذي لا يطاق))(٢) .

وبعد رواية " الغثيان " كتب سارتر ثلاث قصص قصيرة تحت عنوان " الجدار " منها قصة مصير ثلاثة جمهوريين اسبان حكم عليهم النظام الفاشي بالاعدام وهم في حالة انتظار ساعة التنفيذ . وبعد أن اعدم اثنان عرض على الثالث المدعو " ايبيتا " أن يبقي على حياته مقابل كشفه عن المكان الذي يختبئ فيه زعيمه . ويخبرهم أن زعيمه موجود في مقبرة المدينة وهو يقصد تضليلهم لكنه يفاجأ في الأخير بأن زعيمه كان بالفعل مختبئا في المقبرة وتنتهي القصة بالقبض على الزعيم ويطلق سراح الأسير " ايبيتا " . وخلاصة " الجدار " تبيّن لنا أن : ((كل محاولة للفرار تنتهي الى جدار ، ومعنى هذا أن الهروب من الوجود هو أيضا وجود . فالوجود مليء لا يستطيع الانسان أن يغادره (...) . ويصرح سارتر في عام ١٩٦٦ فيقول : ((عندما كتبت " الجدار " لم أكن وقتها في اتصال مع الأطروحات الماركسية ، وانما كنت فقط في حالة استنفار وثوران كلي ضد العمل الفاشي في اسبانيا ، وبما أننا كنا في تلك الفترة على وشك انهزام النظام الاسباني فلقد وجدت نفسي أكثر حساسية تجاه عبث هؤلاء الموتى وتجاه الأفراد الذين استطاعوا أن ينجوا في مواجهتهم الفاشية))(٣) .

---

١) Marcel Girard, Guide illustré de la litterature Française moderne, Edits Seghers, Paris, I968, P. 297.

٢) Sartre (J.P), La nausée, Gallimard, Paris, I968, P.PI9-I6.

٣) Francis Jeanson, Sartre dans sa vie , P.P II5,II6 .

أمـا ما تجـدر الاشارة اليه هنا هو أن سارتر لم يعد يهتم بما هـو " حـدث عرضي " " Contingence " كما رأينا في رواية " الغثيان " بـل أصبـح يهتم بمـفهوم الحرية الانسـانية وهو النقطـة الرئيسية التي ستدور حولهـا مواضيـع رواياتـه ومسرحـياته المستقبلية •

وفي عام ١٩٤٣ أصـدر سـارتر مـسرحيته المعنونة " بالذباب "، وهـي المسرحية التي أوقف النازيون عرضها في نفس السنة التي صدرت فيها مما يوحي الينا ومن أول وهلة بأنها مسرحية لاتتمـاشى ومصالح المـستعمر ••• ويـدور موضوعها حول أسطورة " أورست " Oreste في " آرجـوس " •

يعود أورست الى المدينة التي كان أبوه ملكا عليها يوما ما وقـد أصيبت بالذباب وأن الناس فيها غارقون في الذنوب • ويحاول كل من مربيه و"جوبيتر" رمـز الاله أن يبعـداه لكن " أورست " صمم على أن يبقى بالمدينة من أجل أن يفعـل شيئـا مـا • ثم يلتقي باخته " الكترا " ويحقق لها حلمها المتمثل في الانتقـام من " أجيسـت " الذي كان قد قتل " أجا ممنون " أخاه ووالد أورسـت وتزوج بامرأته ثم اعتلى كرسي الحكم • ويصرّح جوبيتر " لأجيسـت " بعد أن أخبره أن " أورست " يسعـى الى قتله بشيء يعتبره جديدا بالنسبة اليه وهو أنه لما كان النـاس أحـرارا فلا يستطيـع جـوبيتر نفسـه أن يجبرهم على شيء • وينتهـي " أورست " الى قتل " آجيسـت " أولا ثم أمـه ثانيا • وفي الأخير يبيّن لنـا سـارتر كيف أن هذا البطل يتقبل مسئولية ما فعل لكنـه لن يتقبل أي ذنـب لأنـه لايؤمن بأن ما فعله خطأ • وهكذا يترك " أورست " مدينة آرجوس رافـع الرأس • وانطلاقـا من هذا يلاحظ البعض : ((أن مسرحية الذباب هي بمثابة نداء الى المقاومة ضد الألمـان))(١) • اذ يمكن مقابلة الرموز كما يلي: المدينـة " ارجوس " ترمز الى (فرنسا) أمـا " أجيسـت " فهو يرمـز الى المغتصب الألمانـي

---

١) Anna Boschetti, Sartre et les " Temps modernes", P 77.
(voir aussi : Francis Jeanson , Sartre dans sa vie, P I37.)

بينما " كليتمينترا" هي رمز فرنسا الرفاق وأخيرا " الكترا " وهي رمز كراهية الشعب الفرنسي أما أوريست فهو مصيرها .

ويلاحظ أيضا أنه مادام المؤلف يأخذ سلوك " آروست " ، في قتله الملك المغتصب وأمه غير المخلصة ، ضد القوانين الأخلاقية للدين والمجتمع ، أمكن القول أنه يأخذ سلوك رجال المقاومة الفرنسية ، الذين لم يقتلوا الغازي الألماني فحسب بل قتلوا زملاءهم الفرنسيين ، ضد القوانين الأخلاقية للتراث المسيحي المتوارث والدولة أثناء حكم " بيتان "" Petain " . ومن ثمة فهذه المسرحية يمكن اعتبارها بالدرجة الأولى أنها مسرحية تندد بسياسة حكومة الدولة الفرنسية المستقرة بمدينة "فيشي" " Vicky "، ويخاطب رئيسها المارشال " بيتان " الذى يوحي الى الفرنسيين أن يستسموا للألمان الغاصبين ، كما تبيّن علاقة الانسان بحريته . ويصرح سارتر مبيّنا المغزى الفورى الذى كتب سارتر مسرحية " الذباب " من أجله أنذاك فيقول : ((لقد كنا في عام ١٩٤٣ وكانت حكومة "فيشي" تغرقنا في التوبة أو الندم " le Repentir " وفي الخجل . وبكتابتي " الذباب " فانني حاولت أن أساهم وبوسائلي الخاصة في اقتلاع أو استئصال مرض التوبة هذا ، والقضاء على استسلام للخجل اللذين كانوا يلتمسونهما منا))(١) . (...) وكان ينبغي اذن أن نرجّح الكفة لصالح الشعب الفرنسي ، ونعيد له الشجاعة . ان آورست هو الجماعة الصغيرة من الفرنسيين التي كانت تقوم بمحاولات ضد الألمان وتحمل فيما بعد في ذاتها تلك التوبة أو الندم ، ومحاولة السعي من أجل التنديد))(٢)

ان مسرحية الذباب هي مسرحية تتأرجح بين معنيين : **معاصيين** **فلسفيين** . فالمعنى الأول هو رفض الوضع القائم أنذاك ، والمعنى الثاني هو أن الفرد عندما يختار لنفسه انما هو يختار لكل الناس : ((ان كل مواطن

---

١) Francis Jeanson, Sartre dans sa vie , PI37..

٢) Discusion sur les "Mouches" à Berlin en I948, à l'occasion de la représentation de la pièce en allemand, citée par: Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, P I37.

كان يعلم أن كان له واجب تجاه الكل غير أنه لا يستطيع الاعتماد الا على نفسه ، وكل واحد منهم وفي لحظة اكتمال تام ، كان يحقق دوره التاريخي . وكل واحد منهم ، الظالمين الطغاة ، التزم أن يكون هو ذاته ، وبصورة حتمية وهو يختار نفسه في اطار حريته كان يختار حرية جميع الناس)) . وهذا النص - يقول "فرانسيس جونسون" - يوضح بالضبط كهمزة وصل بين المعنى السياسي الفوري والمعنى الفلسفي للمسرحية))(١) .

أما ونحن نسعى الى التركيز على الجانب السياسي السارتري فان مسرحية " الذباب " ترمز الى الجمهورية الديمقراطية السرية الصامتة .

غير أن ثمة سؤال مهم يبدو أن الاجابة عليه تبقى غير مقنعة مهما وصلت درجة الاجتهاد فيه وهذا نظرا لما تنطوي عليه الاجابة من تناقضات . والسؤال هو : كيف يمكن للانسان السارتري أن يكون ملتزما سياسيا من جهة وذا حرية مطلقة من جهة أخرى ؟

فاذا نظرنا الى مسرحية الذباب من هذه الزاوية وجدنا أن بطلها " آورست " هو مخيب للآمال بقدر ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، اذ في الوقت الذي كان يتجه فيه لاشعارنا بأن جذور وجوده هي منغرسة في أرض " آرجوس " نجده يفاجؤنا بشعور غريب وهو أنه " لا انتماء له " ، وكان يكفيه أن يقتل " آجيست " : ((أريد أن أكون ملكا ، بلا أرض ولا رعية . وداعا ، يا رجالي ، وحاولوا أن تحيوا : فكل شيء هنا جديد ، وكل شيء يجب أن يبدأ به من جديد . وأنا ، أيضا ، بدأت حياتي . حياة غريبة))(٢) .

وقد لا يراودنا شك في أن مسرحية الذباب هي عمل يعكس جزءا من حياة سارتر السياسية . لقد حاول سارتر الالتزام في اطار العمل السياسي الا أن التزامه كان يتوج دائما بالفشل .

---

١) Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, P 141.

٢) جون بول سارتر ، الذباب ، تر : حسين مكي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ص ١٥٨ .

لقد فشل في حزب المقاومة " حرية واشتراكية " كما فشل فيما بعد في " التجمع الديمقراطي الشعبي " واكتفى بعدها بشبه التزام مع الحزب الشيوعي الفرنسي وهو يتلخص في عملية تنشيط ونقد وتوجيه من خارج حلبة الصراع : ((اذا أصبنا التأويل ، فان نشاط سارتر الفكري ، على الأقل ، هو الذي كان موضوع مسرحية الذباب . وكان من مقاصده " الالتزام " - ولقد حاول فعل ذلك - غير أن " الالتزام " هذا يعبّر عن نهاية الزامه هو . وبالضبط فان مشكلته هو أن يلتزم لكي يستطيع أن يشعر بأنه ملتزم))(١).

وحتى " فرانسيس جانسون " ناقد سارتر الذي كثيرا ما ارتاح اليه سارتر ذاته واعتبره الشخص الوحيد تقريبا الذي استطاع أن يضع أصابعه على فكره ، لم يرتح لنهاية هذه المسرحية اذ وجد نفسه معها أمام حرية " لا ملتزمة " و " لامسؤولة " بعد أن ادعت كثيرا بأن الالتزام شرط لها وأن المسؤولية صفتها الكاملة . ومن هنا وجد جونسون نفسه ، المفكر الأكثر احتكاكا بسارتر يسأله عن لغز هذه النهاية المؤسفة فيقول : ((وعندما راجع سارتر تفسير رحيل أورست لفت نظري الى أن الموضوع الكبير لرجال المقاومة (غير الشيوعيين) كان في ذلك الحين : "نحن نقاتل الألمان ، ولكن هذا القتال لايعطينا أي حق على الفترة التي ستلي الحرب "))(٢) .

ومن جهة أخرى ، فانه لما كان يكتب أثناء الاحتلال مسرحية تمجد موقف المقاومة اضطر الى الاستعانة بأسطورة قديمة ليضمن تحولا مناسبا لموضوعه ومنه فالاختيار لم يكن من باب الصدفة ، ويقول " جونسون" أيضا : ((أعرف أن سارتر كان يتكلم منذ سنة ١٩٤٤ عن (المسئولية الكاملة) وعن (الدور التاريخي) لكل فرد في داخل (الوحدة الكاملة) و (الهجر) المطلق الذي يجد المناضلون السريّون أنفسهم محكومين به . ولكن اذا كان " أورست "

---

١) Francis Jeanson, Sartre dans sa vie , PI44.

٢) فرانسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ص ٢٢٦ .

قد قتل حقا المغتصب وشريكته في الجريمة تحملا لمسئولياته التاريخية فكيف نصف تخليه - خيانته - حين يختار في الحال أن يتخلى عن هذا الموقف الذى أوجده هو نفسه وأن يتبرأ منه ؟))(١).

لقد ركز سارتر كثيرا على الحرية الانسانية وذلك نظرا للأوضاع التي كانت تعيشها فرنسا أنذاك ، وتركيزه هذا أدى به الى أن يعلنها حرية بلا معنى ولا هدف ، انها حرية تسعى الى أن تحافظ على ذاتيتها في جميع الحالات والاوضاع وهو الشيء الذى جعلها تفشل في أن تكون حرية سياسية ، انها حرية في مقابل الماريشال " بتيان " Pétain : ((ان " أورست " كان حرا في جريمته ، وما فوق هذا ، فانني أظهرته فريسة لحريته كما كان " أديب " فريسة لمصيره (...) فالحرية هي الالتزام الأكثر عبثا والأكثر قساوة ، و " آورست " يواصل طريقه وحيدا بلا صبر وبلا سماحة أو براءة . كبطل . كأى كان))(٢).

أما مسرحية " الأبواب المقفلة " فهي مسرحية تبدو ذات طابع اجتماعي ، والفكرة الرئيسية التي تدور حولها تتمثل في " اللااتصال ": " الآخر هو الجحيم " . والمسرحية تظهر لنا ثلاثة أشخاص ، وفي جو جد مختنق ، يتصارعون ويتهاجمون فيما بينهم . بيد أن الباحث اذا ما حاول أن ينظر اليها نظرة سياسية فهي ، في اعتقادنا ، ترمز الى أن الألمان هم جحيم الفرنسيين .

وبعد رواية " الجدار " ومسرحية " الذباب " ثم " الأبواب المقفلة " أصدر سارتر مجموعة من الروايات تحت عنوان " دروب الحرية " والتي لم ينشر سارتر الجزء الرابع منها ماعدا فصلين نشرا في مجلة الأزمنة الحديثة تحت عنوان " صداقة عجيبة " . وفيها يعرض سارتر الطرق المختلفة التي يتبعها الأفراد من أجل ابلاغ هدفهم المتمثل في الحرية . وتنتهي رواية " دروب الحرية "

---

١) فرنسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ص٢٢٧ ؛ (أنظر كذلك موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والادب ، ص: ٥٤ - ٥٦) .

٢) Interview donnée à Commedia, avril 1943, mois de la publication des monches, Citée par: Francis jeanson, Sartre dans sa vie, P 143.

بأن يختار بطل التضحية في نهاية الأمر • أما ماتنطوي عليه هذه الروايات من نظرة سياسية فاننا لانلتمس فيها غير معارضة سارتر للحزب الشيوعي الذي كان يرى فيه وسيلة تحد من حريته ويتضح هذا من قول بطله " برونيه " المتحمس للشيوعية وهو يحاول أن يغري بطله الثاني "متيه" للالتحاق بالحزب الشيوعي: ((لقد نبذت كل شيء لتصبح حرا • اتخذ خطوة أبعد • انبذ حريتك وسوف ينضاف كل شيء اليك))• ويبرر سارتر هذا الموقف الذى اتخذه "برونيه" بأن هذه الشخصية هي من النوع الذى هرب الى القيم الجاهزة للحزب [١] • وفي عام ١٩٤٦ كتب سارتر مسرحية " موتى بلا قبور " وهي تحتوى على مشاهد فظيعة وشنيعة تكشف لنا عن العذاب المسلط على الشيوعيين من طرف المليشيات (Miliciens)الموالية للألمان أو لحكومة فيشي • ومن هنا كان لهذه المسرحية صدى في أوساط الصحافة الشيوعية : ((لقد ساندت الصحافة الشيوعية مسرحية "موتى بلا قبور" والتي أسند فيها أجمل دور الى مناضل من الحزب الشيوعي))[٢].

ثم اتبع سارتر هذه المسرحية بمسرحية " العاهرة المحترمة " والتي عالج فيها مشكلة الزنوج والشعوب الملوّنة في الولايات المتحدة الأمريكية •

وفي عام ١٩٤٦ ، كتب سارتر في الدراما السياسية سيناريو فيلم تحت عنوان " الدوامة " ومن أهم ماجاء فيه أن زعيما ثوريا اسمه "جان" يصل الى أن يتزعم حزبا عماليا في جمهورية صغيرة تقع على حدود دولة استعمارية كبيرة[٣]• هذا الجوار السلبي جعله يعدل عن أحلامه وأحلام العمال المتمثلة في تأميم آبار البترول • ومن ثمة نجده قد لجأ الى سياسة الانتظار وهي السياسة التي يأمل في أن تمنحه فرصة انشغال الدولة الاستعمارية ليقدم على تطبيق مشروعه• غير أن هذا العمل جعله يقع في مأزق تمثل في الجمع بين ايمانه بالبرلمان وبالصحافة الحرة الاشتراكية من جهة وسياسة الانتظار من جهة أخرى ،

---

١) تلخيص لفكرة مأخوذة من : موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والأدب ص١٠٦

٢) Burnier(Michel-Antoine), Les Existentialistes et la politique, Gallimard, Paris, 1966, P 52.

٣) يرى بعض الباحثين أن الوصف هنا يوحي الى أن الجمهورية هذه قد تكون من امريكا الوسطى •

فكان هذا سببا في الاطاحة بحكمه من قبل جماعة نجد من بين أعضائها بعض أصدقائه من الاتجاه الاشتراكي • وعكس كل ما كان منتظرا نرى في النهاية كيف أن خليفة "جان" في الرئاسة يستقبل سفير الدولة الكبرى الاستعمارية ليسقط حلمه المنتظر ثم يضطر لأن يحكم الدولة بنفس السياسة التي حكمها بها "جان": ((ان التشابه بين هذا السيناريو والأحداث التي وقعت بعد هذا مباشرة في "جواتيمالا" ثم بعد خمس عشر عاما في "كوبا" شيء رائع • نحن لانقول أن "جان" هو صورة تنطبق على الدكتور "كاسترو" ، لكن يمكننا أن نتخيل مع "كاسترو" أنه اذا لم تكن هناك دولة شيوعية تساند "كاسترو" لكان الأمريكيون قد قضوا على اشتراكيته حتى ولو بالقوة تماما كما تدخلوا ضد الاشتراكية النامية في "جواتيمالا" • ولمّا كان "كاسترو" قادرا على أن يفعل مالم يستطع أن يفعله "جان" فان سارتر من المؤمنين المتحمسين لحكم "كاسترو" وفي هذا لايوجد مايدعو الى الدهشة •))(١)

أما مايمكن استنتاجه من هذا ، هو أن سارتر يبقى دائما يرفض كل حكم جاهز وهذا لا لشيء الا لأنه يحاول دائما الحفاظ على أن تبقى الحرية تلعب الدور الأول باستمرار •

وبعد هذه الدرامة السياسية كتب سارتر مسرحية "الأيدي القذرة" عام ١٩٤٨ ، وهي المسرحية التي كان لها صدى كبير في عالم السياسة بل يمكن اعتبارها أحد وأعنف مسرحية سياسية عرفها قلم سارتر • وقد تزامنت مع المرحلة التي كانت فيها علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي متنافرة • ومن مجمل ماجاء في هذه المسرحية أن دولة من دول البلقان تعرضت للغزو الاستعماري (الألماني) وعلى اثر هذا الغزو تكوّن فيها حزبان : حزب وصي يسعى الى التفاهم مع الدولة المعادية للدولة الغازية (روسيا) ، وكان يتزعم هذا الحزب الأخير "ميدرر"

---

١) موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة والأدب ، ص١٤٦ •

ولما أخذت عجلة الدولة الفازية تعود الى الوراء ، حاول الحزب الوصي التعاطف مع الحزب الاشتراكي وحلفائه لكسب رضاهم وذلك بأن عرض عليهم التحالف ضد الدولة الفازية ، وهنا تبدأ القصة مع حدوث الشقاق وعدم التفاهم بين أفراد الحزب الاشتراكي . فبينما قبل فريق التحالف المؤقت نظرا للظروف القائمة نجد الفريق الثاني يرفض هذا التحالف لما يرى فيه من خيانة لمبادئ الحزب الشيوعي . ولما كان على رأس الفريق الأول " هيدرر " ، قرر المعارضون اغتياله حتى لا يتم هذا التحالف فوكّل الأمر الى أحدهم والمدعو بـ " هيجو " " Hugo " وهو يعدّ من رجال الفكر المثاليين . بالرغم من أنه يخبر نفسه بأن شكوكه في مثاليته هذه ليست الا عادات بورجوازية ، فهو لم يستطع أن ينفذ مهمته لمّا اتيحت له الفرصة : لقد كان "هيدرر" في حاجة الى شاب متزوج ليستعمله ككاتب له ، فكان أن عرض " هيجو" نفسه على هذا القائد . وطال الزمن دون أن ينجز عمله الموكل اليه وهو الشيء الذى أثار قلق زملائه ... ودخل " هيجو " مرة مكتب رئيسه فاذا به يراه يقبّل زوجته وعندها ، وفي لحظة الغيرة ، يجد نفسه يطلق النار دون تفكير أو منطق . ولكن وبعد أن حدث ما حدث ، يكتشف " هيجو " أن رفاقه قد انحازوا الى الفريق الذى كان قد حمل لواء دعوته " هيدرر " المغتال ، كما قرروا قتله اذا لم يرضخ للوضع الجديد . وينتهي المشهد الأخير بصرخة " هيجو " وهو يقول : ((لا ، لست قابلا للاستيرداد ولا صالحا للعمل!))(١) ومعناه أن الانخراط في حزبكم من جديد غير ممكن .

لقد وجد الكثير صعوبة في ترجمة أو تأويل هذه المسرحية . فمنهم من رآها مناهضة للشيوعية أو أرادها مناهضة (للشيوعية) لها ومنهم من رآها مناهضة للبرجوازية . ومما زاد الأمر تعقيدا أن ظاهر المسرحية - ان لم يكن باطنها - يوحي أنها معادية للشيوعية مما دفع ببعض المسؤولين في "فيينا" عام ١٩٥٢ الى التفكير في استخدامها كدعاية ضد الشيوعية . غير أن سارتر كان

---

١) جان بول سارتر ، الأيدى القذرة ، المترجم غير مذكور ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص - ١٥٠ .

قد رفض هذه الفكرة ، بل زيادة على ذلك سافر وقتها بنفسه الى " فيينا " ليشترك في " مؤتمر السلام " الذى عقد يومئذ تحت رعاية الشيوعيين .

والمتتبع المفترس للمسرحية يجد أن عواطف الكاتب ترتبط أكثر بشخصية " هيدرر " اذ يصوّره لنا في شخصية ترفض التبعية الخالية من التفكير وهي شخصية تناقض الى حد كبير في شخصية " برونيه " التابعة للحزب الشيوعي بطريقة عمياء في الجزء الثالث " الحزن العميق " من رواية " دروب الحرية " . ومن خلال هذه الشخصية (هيدرر) يبيّن لنا سارتر كيف أن العمل السياسي هو بالضرورة صراع ويظن هذا عندما يتحالف "هيدرر"* مع الحزب البرجوازى نابذا بذلك نظرة " هيجو " الشيوعية المثالية الخالية من الرعب فيقول : ((كم كنت خائفا من تلويث يديك . حسنا ، فلتبق نقيا ! لكن كيف يساعدنا هذا التمالك ثم لماذا جئت الينا ؟ النقاء هو مثال للزاهد والناسك . أما أنتم معشر المثقفين ، والفوضويين البورجوازيين، فانما تتذرعون به حتى لاتؤدوا عملا ما . لاتفعل شيئا ، ظل كما كنت ، فتبق يداك في خاصرتيك ، فلتلبس قفازات الأطفال . أما أنا فان يدى قذرتان ، لقد غمستهما حتى المرفقين في الدم ، هل تعتقد بعد ذلك أنه بالامكان ممارسة الحكم بصورة بريئة أو أن تحكم وتظل روحك بيضاء ؟))(١) .

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فقد رأى في هذه المسرحية معارضة صريحة له ولمبادئه فكان أن شن ضدّها حملة عنيفة . وتبرر "سيمون ديبوفوار" هذا الموقف بعد أن رأت أن المسرحية في حقيقة أمرها ليست معادية للشيوعيين فتقول: ((ظهرت المسرحية معادية للشيوعيين لأن الجمهور انتصر لـ"هيجو " . وألحق جريمة " هيدرر " بالجرائم التي تنسب الى " الكومنفورم "*))(٢). وجاء بعد هذا كله موقف الشيوعيين الروسيين ليدعّم أكثر هذا المذهب اذ يقول أحد نقادهم: ((من أجل ٣٠ دينارا قديما وقصعة عدس أمريكي باع سارتر ما بقى له من الشرف ومن النزاهة))(٣).

---

١) جان بول سارتر ، " الأيدى القذرة " ، ص ١١٩

*) "الكومنفورم" "Kominform" : هي منظمة شيوعية عالمية منشؤها روسي وقد انحلت عام ١٩٥٦

٢) Beauvoir (S.de), La force des choses, P I68.

٣) Idem , P I68.

وهنا نقف لنتساءل : ماذا يمكن لنا أن نستنتج من هذه المسرحية بعد هذه المواقف السالفة الذكر ؟ أهي مسرحية توحي لنا أن صاحبها ، الفيلسوف الذى أبقى عن الماركسية مفهومي الشمولية والحتمية ، هو ايديولوجي شيوعي ؟ أم أنها توحي لنا أنه بورجوازى كونه فيلسوف الشعور ، هذا الشعور الذى يعتبره سارتر الوسيلة الحية والناقدة للحزب ؟ .

ان " هيجو " الذى هو سليل النزعة البرجوازية رأيناه من خلال المسرحية كيف أنه لم يتمكن من أن يتخلص نهائيا من تأثيرات البرجوازية ومثله ليس كمثل العامل الكادح . ان دخول العامل في الحزب يؤهله لأن يتحرر ويتخلص من الاغتراب ... أما المثقف البرجوازى ، فالحزب بالنسبة اليه رغبة لا فائدة منها ، يدخل فيه متى شاء . ولهذا السبب أيضا نجد بطله " هيجو " ، وهو يعيش داخل الحزب ، وكأنه يترقب من حين لآخر ابعاده عن الحزب : ((ولكنك ترى أنه ليس شيوعيا ولا بورجوازيا ، انه يحاول جاهدا أن يكون كليهما معا))(١) وهو الأمر الذى يؤكده قول " هيجو " وهو يرد على أصدقائه : ((اني أحترم الأوامر الملزمة ولكني أحترم نفسي كذلك ... ان كنت دخلت الحزب فلكي يكون لجميع الناس ... هذا الحق في يوم من الأيام .))(٢) وقد تأخذ الأمور في نهاية الأمر مجرى ثالثا اذا ما لجأنا الى تأويل مسرحية " الأيدى القذرة " على أنها مسرحية رمزية لم تكن لترضي لا اليمين ولا اليسار ومن هنا فالانسان السارترى يجد نفسه يشق طريقا ثالثا نحو اثبات حريته ، نحو اثبات وجوده . لقد رأينا كيف أن " هيجو " في نهاية المطاف وجد نفسه مبعدا في آن واحد عن العالم البرجوازى الذى زورت فيه القيم (أى فقدان الحرية) وأصبح يمقته ، ومن عالم الطبقة الكادحة لأنه في الواقع لم يكن ينتمي اليه أصلا ، ودخوله فيه يجعله يشعر دائما بأنه عنصر غريب فيه : ((من هنا فان مشكلة " هيجو " الحقيقية في تحرير الناس ، ولكن في حملهم على أن يحسبوا حسابه وفي اشعاره بأنه موجود في نظرهم وفي نظره))(٣) .

---

١) فرانسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ص ٢٧٤
٢) المرجع نفسه ص ٦٢
٣) المرجع نفسه ص ٦٣

أما سارتر ، وبناء على ما قدّمه من تفسيرات لهذه المسرحية ، فانــه يفضل مواقف " هيدرر" على مواقف " هيجو " ، لأن " هيدرر" هو رمز " الاشتراكي الحر"، هو ذلك الانسان الذى انضم الى الحزب الا أن انضمامه هذا لم يسلب منه حريته والدليل على ذلك أنه عندما رأى ضرورة في التحالف مع الحزب " الوصي " ضد الدولة الفازية ، فهو لم يتراجع في أخذ قراره . أما " هيجو " فهو ذلك الانسان الذى اكتفى سارتر بوصفه فقط على أساس أنه مثال للانسان الفاشل في التزامه نظرا لثقافته البرجوازية الضاغطة عليه .

لقد تساءل مؤلف " الأيدى القذرة " عن الأسباب التي تدعو الى التفسير الخاطيء لمسرحيته هذه فقال : ((كنت أريد أولا أن يجد عدد من الشبان المنتمين الى البرجوازية من تلاميذي أو اصدقائي البالغين حاليا الخامسة والعشرين شيئا من أنفسهم في تردد " هيجو " . ان " هيجو " لم يكن قط بالنسبة الي شخصية جذّابة ولم أر قط أنّه كان على حق بالنسبة " لهيدرر" . ولكن أردت أن أجسّد فيه الآلام النفسية التي تبرح ببعض الشبيبة التي ، على الرغم من شعورها بسخط شيوعي كامل ، لا تتمكن من الالتقاء بالحزب بسبب ثقافتها الليبرالية . ولم أشأ أن أقول ان كانت على باطل أو على حق والا لكتبت مسرحية هادفة . لقد أردت مجرد وصفهم . ولكن موقف هيدرر هو وحده الذى يبدو لي سليما ...))(١) وهكذا نلاحظ ، من كلام سارتر ، أنه اذا كان " هيجو " يشكو من الاحساس بعدم الواقعية وبعجزه على الانخراط داخل الجماعة ، فان هيدرر قد جمع بين المبادئ المثالية والواقعية في فعله وهو رجل سارتر المفضل .

وبعد " الأيدى القذرة " يقدّم لنا سارتر مسرحية أخرى عام ١٩٥١ تشترك من المسرحية السالفة الذكر في الموضوع ، انها مسرحية " الشيطان و الاله الخير" وتتلخص في أن " جوتز"" Geotz " ، الابن اللاشرعي لأحد النبلاء والذى كان يقوم بالشر لذات الشر لأنه كان يعتقد أنه هو سبب وجوده . وفجأة يجد نفسه

---

١) فرانسيس جونسون . سارتر بقلمه ، ص ٧٨

المالك الشرعي من أبيه بعد أن مات أخوه الشرعي . ثم يدخل في رهان على أن لا يفعل سوى الخير وذلك بعد أن أخبره القسيس "هنريك" أن العالم مثقل بالشر وأنه ليس ثمة انسان يستطيع الفرار من الجحيم ومن ثمة يقرر " جوتز " منح أراضيه للثوار وهو الفعل الذي يعارضه " ناستي " زعيم حركة الفلاحين لأنه كان يرى في هذا الفعل الثوري المبكر سبقا زمنيا لأحداث الثورة وهو بمثابة فرصة سانحة للنبلاء لكي يقضوا على الثورة في مهدها . لكن " جوتز " يقرر عدم الانتظار ويبدأ في العمل من أجل بناء مجتمع على أرضه يقوم أساسا على الملكية المشتركة . وهكذا فبعد أن كان " جوتز" رمز الشيطان المطلق على الأرض همه الوحيد تحقيق الشر ، هاهو يصبح رمز المحبة ، رمز الاله المطلق وقائد حرب في خدمة الفلاحين الذين هم يكافحون الأسياد .

ومع تعاقب الأحداث يقع ماتنبأ به " ناستي " وتنشب الثورة قبل أوانها . ويكتشف جوتز في الأخير أن الفلاحين الثائرين قد دمروا " قريته النموذجية" وذلك لأن رجاله قد رفضوا مساندتهم... ويتم النصر للنبلاء ووقتها يشعر "جوتز " بفشله .

ورغبة في اعادة الكرة ، يعرض " ناستي " مرة أخرى على " جوتز" تولي قيادة جيش الفلاحين . وبعد تردد من طرف هذا الأخير يرتدي الزي العسكري ليصدر بعدها أمر اعدام جميع الفارين . وتنتهي المسرحية بعبارة " جوتز" : ((... ليس هناك الا هذه الحرب لنخوضها ، وسأخوضها))(١) .

لقد رأينا من خلال هذا الملخص لمسرحية " الشيطان **و الاله الخير" كيف** أن " جوتز " وجد نفسه دائما ينتهي الى الفشل وهذا لأنه في الحالتين لم تكتشف سبيل الحرية الحقيقية .

---

١) Sartre (J.P), Le diable et le bon Dieu, Gallimard, Paris, 1961.

لقد حاول أن يكون في بادئ الأمر المجرم المطلق الذي يفعل الشر من أجل الشر غير أن وجود القسيس " هنريك " جعله يعدل عن موقفه الأول ويراهن على فعل الخير لكننا هنا أيضا نجد اختياره هذا ينتهي الى الفشل ، هذا الفشل المزدوج يحيله الى حقيقة و هي أنه لا يمكنه أن يكون حرا ما دام الآخرون غير أحرار ، و لهذا يقرر في آخر المطاف أن يكون في صف الفلاحين و ذلك بخوضه الثورة التي تنتظرهم جميعا من أجل افتكاك حريتهم .

و لعل هذا الموقف الهادف هو الذي جعل سارتر يصرح في نفس السنة من صدور مسرحية " الشيطان و الاله الخير " عام ١٩٥١ قائلا :((فالى اشعار لاحق فان الحزب الشيوعي يمثل في نظر البروليتاريا و لا أرى كيف أن موقفي هذا سيتغير قبل مدة (...) لذا فانه يستحيل أن نأخذ موقفا معاديا للشيوعيين دون أن نكون معادين للبروليتاريا))(١) .

و الى جانب هذه المسرحيات السياسية نشير أيضا الى مسرحية " سجناء الطونا" و التي كان لها أول تمثيل عام ١٩٥٩. أما الموضوع الذي حاول سارتر أن يبرزه فيها هو موضوع التعذيب . و من الرجال البارزين في هذه المسرحية ، نسجل ضابطا نازيا اسمه " فرانز " و هو رجل ذو سمات جنونية و التي بها يبرره مستقبلا لجوءه الى التعذيب . أما من الأسباب المباشرة التي دفعت بسارتر الى كتابة هذه المسرحية هو موقفه المعادي لسياسة الحكومة الفرنسية الاستعمارية آنذاك :((لقد تأثر سارتر للغاية للتعذيب الذي كان يقوم به الاستعماريون الفرنسيون في الجزائر و هو اهتمام كشف عنه سارتر أيضا في مقدمة لكتاب " الاستجواب " لهنري عليق Heneri Alleg))(٢) . و سنعود الى تحليل هذا الموضوع في فصل لاحق .

ان خلاصة ما يمكن استنتاجه على العموم بعد عرضنا لهذه الروايات و المسرحيات السياسية السارترية أنها تدور كلها حول محاولة سارتر من أجل أن يجعل من الأدب أدبا سياسيا ملتزما بالدرجة الأولى غير أن

I) Entretien publié par Paris presse , L'intransigeant , 7juin I96I, citée par: Francis Jeanson, Sartre dans sa vie, P I80.

٢) موريس كرانستون. سارتر بين الفلسفة و الأدب ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

الفصل الرابع : السياسة و الأخلاق عند سارتر

ان مميزات عصر أوروبا الحديث هي نتاج مميزات عصورها الماضية، وعصرها هذا هو أشبه مايكون بانسان يفتقد الى روح . انه بلغة العصر عصر الانسان الآلي ، الانسان الذى يعكس قمّة ماوصل اليه الفكر المادى ، هذا الفكر الذى هو بدوره ليس الا رمزا لحضارة النّار والسبب في ذلك أن تقدم أوروبا المادى كان على حساب جانبها الروحي . انها الحضارة التي تمت على جثّة هامدة فانتجت مايسمى بأوروبا الامبريالية ، اوروبا التي انتهزت فرصة استعلائها المادى هذا لتقوم بفصل الأخلاق عن السياسة . لقد رأت في الأخلاق قيدا لافائدة من ورائه فكان منها أن ألقت بالديانة المسيحية جانبا وتوسلت المادة والفكر معنا .

وأمام هذا التدهو الأخلاقي - السياسي الخطير جاء سارتر الى الوجود ليكون مرآة عاكسة لمعاناة هذا العالم الأروبي الجهنمي (المضارب) ومن هنا ، وفي ضوء هذه المعطيات ، نتساءل نحن عن معنى الأخلاق وعن العلاقة التي ترتبط بينها وبين السّياسة عند سارتر ؟ ثم عن ماهية الغاية الأخلاقية - السياسة للوجود الانساني السارترى ؟ لاشك في أن ما ميّز فكر سارتر في مرحلته الأولى هي أفكاره التي حواها كتابه " الوجود والعدم " . وهو الكتاب الذى اهتم بدراسة الانسان كفرد ، غير أن هذه الدراسة كانت دراسة انطولوجية بحتة فجاءت بعيدة كل البعد عن محيطه الاجتماعي . ونظرا لهذا العزل ، جاءت هذه الدراسة في مجملها خالية من النظرة الأخلاقية . لقد اكتفى سارتر في هذا ، الكتاب بتخصيص آخر صفحة من صفحاته ليحدثنا فيها عن " آمال اخلاقية "، وكان قد طرح فيها جملة من الأسئلة على أن تكون موضوع بحث مستقبلي ، وهذه الأسئلة : ((كلها كانت تهدف الى الانتقال من روح الجد الى الحقيقة ، ومن عهد القيمة الى عهد الحرية كمصدر أوحد لكل قيمة))(١) . غير أن هذه " الآمال الأخلاقية " هي في حد ذاتها تبيت في دائرة الآمال ولم تخرج منها أبدا .

ان المجتمع الذى يقوم أساسا على اللاعلاقة أو اللااتصال بين الأفراد هو مجتمع لا يمكن أن تقوم له قائمة وهو محكوم عليه مسبقا ، ومن ثمة فان ذاتية الفرد المغلقة وجحيم الآخر لا يمكن لهما أن يكونا قط مصدرين لأخلاق انسانية .

---

١) فرانسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ص ٢٤٢

والمتفحص لهذا الكتاب يجد أن الاشكالية تكمن في المبدأ الراديكالي وفي الغاية معا للوجود الانساني ومن كليهما بالذات نتيجة مأساة الأخلاقية الوجودية. ان عبــــارات ((الانسان حماسة لافائدة منها)) وأنه ((يولد بلا سبب ويستطيل به العمر عن ضعف منه ويموت بمحض الصدفة)) وأنه ((اله فاشل)) كلها توحي بأن الغاية المنشودة من الحياة قطعـــا مآلها الفشل وقد يكتشف هذا بمجرد أن يقرأ على الغلاف الخارجي للكتاب :الوجود والعدم .

ومع هذا يلاحظ أحد الباحثين(١) أن سارتر هو فيلسوف أخلاقي أكثر منه ميتافيزيقي وأنه أساسا في هذه النقطة بالذات يبدو معارضا لهيدجر. فاذا كان هيدجر يسعى في بحثـــه الى الكشف عن الحقيقة معتمدا في ذلك عن الجسر المتمثل في الانسان ، فان سارتر قد اتخذ من الانسان ذاته موضوع بحثه بوصفه وجودا متعارضا ومقـابلا نوعا آخر من الوجود والــذى يسمّيه الوجود - في - ذاته ، ولهذا الغرض فقط سيسمّي سارتر وجوديته فيما بعد بأنها انسانية. لكن هذه النظرة في الحقيقة هي نظرة اجمالية غائية من خارج " الوجودوالعدم" لا من خلال ما احتواه الكتاب من تفاصيل وجوديـــة . واذا بنينا نظرتنا على ماسلف فاننا نـــلاحظ أن نظرة سارتر هذه كان منطلقها منطلقا نتشيا ، "نتشه" الذى كثيرا ما نادى بموت الالــه . وكان هذا النطق أن أحاله بدوره الى وجود مطلق للانسان : ((كتب دستويفسكي يقـــول: : "اذا لم يكن الله موجودا فان كل شيء يصبح مسموحا". من هنا تنطلق الوجودية. فالانسان متروك لايعتني به أحد لأنه لايجد لا في نفسه ولا في خارجها شيئا يتمسك به ويتعلق بأهدافه(٢))). وهنا ترتسم نقطة استفهام كبيرة أمام هذا المصدر الجديد للأخلاق . فاذا أصبح كل شـــيء مسموحا فما قيمة الخير بجانب الشر والعدل بجانب الجور والصدق بجانب الكذب ... ؟

وهنا نتساءل مرة أخرى أنه اذا كان لاشك في أن " الوجود والعدم" استنبط مـــن حياة أخلاقية وسياسية أوروبية فارغة فهل استطاع سارتر أن يستدرك هذا الفراغ الثنائي ؟

ان الطرف الأول من ثنائية " الوجود والعدم " لا يعدو أن يكون مشروعا لتحقّــق انساني ، بينما الطرف الثاني ليس الا رمزا لفشل تمامية هذا التحقّق في ظل الوضـــع

---

١) Hypolite(Jean), Figures de la pensée philosophique, P.U.F, Paris,1971, P.P 785-786.

٢) جون بول سارتر ، الوجودية مذهب انساني ، ص٥٤ .

الأوروبي الجحيمي الملموس . فالسعادة والخلاص وأشباههما لم تعد في نظر سارتر غايات أخلاقية وقد اعتمتها السياسة الاستعمارية لتستبد لها بالوحش الامبريالي. وبعبارة أخرى فان الغاية غير قابلة للتحقق لأن مآل الوجود الى عدم ، ويظهر هذا في الصراع المستمر القائم بين الوجود - لذاته والوجود - في - ذاته من جهة وبين الوجود - لذاته والوجود للآخر من جهة أخرى . وهكذا نلاحظ أن ماكان في " الوجود والعدم " " آمال اخلاقية" هو في حقيقة الأمر لو خرج الى حيّز الوجود لكان أجدر به في اعتقادنا أن يسمى أخلاق الفشل أو أخلاق اللاأخلاق : ((ولو أن سارتر انتج اخلاقية في ذلك الوقت لأصبحت بعد قليل أثرا آخر من آثار الاطلال الرائعة للمثالية))(١) .

هذا الاستنتاج يحيلنا الى السؤال التالي: هل يعني هذا أن سارتر قد انتج اخلاقيات في وقت لاحق ؟ وما نوع هذه الاخلاقيات وما هي علاقتها بالأفكار السالفة الذكر ؟.

لقد تلقت وجودية سارتر انتقادات شتى بعد " الوجود والعدم" . ومن جملة الاتهامات التي وجهت اليها هي أنها تدعو الناس الى الخمول وتدفعهم الى اليأس ومن ثم فهي في نهاية المطاف ليست الا فلسفة بورجوازية همّها الوحيد الترف أو العبث اللا مشروط وفلسفة الفردية التي تسير كما تريد لها أهواؤها وغرائزها ، وهذا ما دفع كذلك على وجه الخصوص الماركسيين الى اتهامها (الوجودية السارترية) بأنها لم تهتم الا بوصف مظاهر حقيرة من مظاهر الحياة واغفلت الجانب الآخر المتمثل في مظاهر الحياة الآملة . كما يعيب كل من الماركسيين والكاثوليكيين على السارترية تقصيرها أمام واجب التعاون الانساني لكونها تعتبر في الأساس أن الانسان ذاتية محضة مغلقة لا تستطيع التطلع الى الآخرين . وتضيف المسيحية فتعيب عليها نكران حقيقة وجدّية المواقف الانسانية وذلك مع انكارها القيم الأزلية اذ يصبح الانسان يعيش حياة حيوانية يفعل ما يشاء . ويكون بالمقابل عاجزا قانونيا أمام تصرفات الآخرين . لا أحد يستطيع أن ينكر أن هذه الانتقادات على وجه العموم ~~[illegible]~~ حلات في الصميم . وعلى اثرها حاول سارتر أن يرد على هذه الاتهامات في احدى

---

١) فرانسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ص ٢٤٢

محاضراته والتي عرفت فيما بعد بكتاب له تحت عنوان" الوجودية مذهب انساني" وان كانت هذه المحاولة لرد الأمل الى الانسان الوجودي وتفتحه على الآخرين بالكيفية التي يعتقدها سارتر ، فهي محاولة لم تنل حتى رضى صاحبها ، ناهيك عن أنها مليئة بالتناقضات خاصة اذا ماقارناها بماجاء في " الوجود والعدم " .

يرى سارتر في " الوجودية مذهب انساني" أن الفرد يتطلع الى الآخرين بمحض حريته ويعتقد بأنه عندما يختار انما هو يختار لجميع البشر : ((فاذا اختار الانسان أن يكون شيئا معينا فهو بذلك يؤكد قيمة اختياره ، لأنه لا نستطيع أبدا أن نختار الشر ان ما نختاره لا يكون الا الخير ، ولا خير في نظرنا ان لم يكن خيرا للجميع))(١) والانسان بوصفه حرية فان مصيره بيده . فهو لم يولد لا عبثا ولا جديا ، لا جبانا ولا بطلا: ((ان الانسان يصير نفسه جبانا أو يصير نفسه بطلا(...) وعلى هذا الأساس يصح أن نعتبر أنفسنا أمام نظرة أخلاقية عملية انضوائية))(٢) .

لقد ركز سارتر كثيرا على الحرية اذ كتب يقول في احدى مقالاته :((الحرية الانسانية لعنة ، لكن هذه اللعنة هي المصدر الوحيد لنبالة الانسان))(٣) . وهو الأمر نفسه الذى أدى به الى التصريح بأن الانسان يختار أخلاقه . وهنا نقف لنقول : أى حرية مطلقة تكون هذه التي تريد أن تتزعم الحريات المطلقة الأخرى وتريد أن يكون اختيارها نموذجا لها ومنه تكون قد زكت نفسها من الأخطاء والهفوات؟ ثم أى حرية مطلقة تتنازل عن اختيارها لتأخذ باختيار مثيلتها بوصف هذا **الأخير** هو الاسلم والأنفع ؟

انه لايمكن ، في اعتقادي ، أن نجد تصورا أو مفهوما سليما في وسعه أن يحوى جميع هذه المعطيات المتناقضة غير مفهوم " النزعة الفوضوية " .

لاشك أن سارتر قد عجز على أن يحل المشكلة الأخلاقية صوريا اذ لم يقدّم لنا ما وعدنا به في نهاية كتابه "الوجود والعدم " .

---

١) جان بول سارتر. الوجودية مذهب انساني ، ص٤٧

٢) المصدر نفسه ، ص٦٩

٣) فرانسيس جانسون . سارتر بقلمه ، ص٢٥٧

وبعدها ، ووفقا لمبدأ التطور ، وخاصة أمام الانتصارات المتتالية لواقـــع الماركسية ، قرر سارتر أن يعيش أخلاقه عوض أن يكتبها فكان منه أن اعتنق عالم السياسـة ليجعل من الأخلاق قوة سياسية . وكان هذا العالم هو الذى سينقله من عالم اللااتصـال الى عالم الاتصال ومن عالم " الرفض " الى عالم " القبول " ، وكانت نقطة بداية التحـــول : ((ان الانسان الذى ينظم الى نقابة شيوعية أو ثورية فهو انما يسعى خلف أهداف ملموسة (... ان سعينا خلف الحرية لا يجب أن يتخذ أى شكل آخر (...) وأننا في سعينا هذا يجب أن يكون واضحا في أذهاننا أن حريتنا متصلة بحرية الآخرين ، وحرية الآخرين مرتبطة بحريتنـا))(١).

ونجد فرانسيس جانسون يبرر موقف سارتر الانتقالي هذا من عالم التصورات الـى الواقع المعاش في حدود تغير الوضع فيقول : ((ذلك لأن تمزق العالم يؤدى الى الخيـــال ويشكل الأفكار الأكثر اهتماما بمواجهة الواقع ، بمجرد أن تهمل هذه الأفكار تعريـــف الواقعي تبعا لهذا التمزق ذاته))(٢) .

وفي ظل كل ماسبق ، وبين الأمل النسبي والفشل المطلق ، بين سعي الانسان الـى التأله وبين استحالة تحقق سعيه يصبح كل مبدأ أخلاقي مستحيلا وضروريا في وقت معا . ومـن هذا الباب تطل وبكل قوة أخلاقية " اللاأخــلاق " .

لقد كتب فرانسيس جانسون كتابا تحت عنوان " مشكلة الأخلاق وتفكير سارتر ". وكان سارتر هو الذى قدم له . وبعد أن امتدحه يعلن له قائلا: ((انك قد وضعت يدك على تطـــور تفكيرى حتى أنك قد تجاوزت الرأى المعروض في كتبي في اللحظة نفسها التي تجاوزت أنـا فيها هذا الرأى))(٣) . وكان " جانسون " في هذا الكتاب قد أكد على أن محاضرة "الوجودية مذهب انساني " محاضرة ألقاها سارتر ليرد بها على الانتقادات الموجهة بالدرجة الأولـى الى الجوانب الأخلاقية للوجودية وأن سارتر قد وضع بطريقة جد تعسفية أكبر مظهر ثـــورى لما يمكن أن يكون نظرية أخلاقية سارترية ، ولهذا السبب اعتبر سارتر أن محاضرتـه هــذه هي شــيء خطــأ .

---

١) فرنسيس جانسون . سارتر بقلمه ، ص ٨٦
٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢
٣) فرانسيس جانسون ، مشكلة الأخلاق وتفكير سارتر ، ص ١٣ .

لقد أصبح مفهوم" الآخر " في الوجودية مذهب انساني " شيئا مسلما به وضروريا بعد ان كان جحيما وبعد أن كان : ((من ناحية المبدأ لا يمكن استعابه أو الاحاطة به، انه يفلت مني عندما أبحث عنه ويمتلكني عندما أهرب منه))(١) . أما مادفع سارتر الى تغيير موقفه الأخلاقي تجاه " الآخر " فهو يعود أساسا الى مفهوم الالتزام أو الانطواء : ((انني أعتمد دائما على رفاق في المعركة عندما ينطوى هؤلاء الرفاق معي في معركة محددة وذات أهداف عامة تتصل بحزب أو جمعية أستطيع دوما مراقبة أعمالها))(٢) .

لاشك في أن سارتر قد أحس بالفعل بأن الأخلاق التي يمكن أن تستوحي من" الوجود والعدم " أو من " الوجودية مذهب انساني " ليست قادرة على أن تنشيء مجتمعا تتحقق فيه الغاية المنشودة وأنّى لها أن تتحقق اذا ماكان مآلها الفشل أو التشور والعدم .

وعلى هذا النسق الأخلاقي نفسه كانت قد جاءت أخلاقية كل من " الغثيان" و " الجدار " و " الذباب" و " الأبواب الموصدة " .

اننا نجد في رواية الغثيان أخلاقا تتمثل في محاولة التوافق مع النفس وهي أخلاق مليئة بالتناقضات والصراع المستمر ان لم نقل هي التناقض أو الصراع ذاته، الصراع المبدئي القائم على أساس التنافر المكهرب بين الوجود - لذاته والوجود - في - ذاته بعيد كل البعد عن الآخرين .

واذا كنا نسلم بأن علم الأخلاق هو العلم الذى يدرس الكيفية التي سيكون عليها الانسان ، وأن قاعدة انطلاقه تكون وفق أسس فضائلية بديهية فاننا مع سارتر نجد هذه البديهيات الأخلاقية ذاتها مورد تشكيك أو ابطال . ففي رواية " الجدار" يضعنا أمام أشخاص سجناء ، من بينهم شخص نجده يستفهم عن جدوى ومعنى اخلاصه لأصدقائه وعن معنى التضحية من أجلهم متى اقتضى الأمر بذلك . ثم نجده يهم بالبحث عن الهدف من وراء هذا العذاب كله وعن المقابل فيتساءل : ألأجل أن يتمتع الآخر بالحرية والاطمئنان وأننا أعرف أن قيمة حياته لاتسمو عن قيمة حياتي بل : ((لا قيمة لأى حياة (...) سواء أموت أنا

١) جان بول سارتر . الوجودية والعدم ، ص ٤٧٩ ([illegible])
٢) جان بول سارتر . الوجودية مذهب انساني ، ص ٦٣

أو يموت " قريس " Gris أو يموت غيره فالأمر عندي سواء (...) وبالرغم من أنني أستطيع أن أفرج عن نفسي في مقابل الكشف عن مكان صديقي الا أنني لم أفعل • وكنت أجد هذا مضحكا •))(١) لكنه يتهيأ بعدها ليخبر عن مكان وجود أصدقائه قاصدا في ذلك تضليل الشرطة غير أن التضليل لم ينجح ويتم القبض على زعيم الجماعة في مقبرة المدينة• وعندما يواجه السجين صديقه وهو في قبضة الشرطة يسترسل ضاحكا •• ثم يطلق سراحه • وهنا نقف متسائلين عن مغزى هذه النهاية التي أرادها سارتر• فنجدها تعبر عن قمة ضياع وتيه الانسان الاوروبي المعاصر اذ فضائل كالتضحية والفداء لم تعد لها معنى في منظاره•• وكيف بمستقبل الإنسانية اذا ما اعتمدت مثل هذه الاخلاقيات السارترية العابثة • واننا لنجد نفس الخطوط العريضة لنفس الصورة تتكرر في سطور مسرحية " الذباب " التي ينهيها بطلها بموقف لا معنى ولا مبرر له من الناحية الأخلاقية اذ يرفض الالتزام والتعاون مع أفراد مدينته بعد أن يحررها من يد الملك الغاصب • أما في مسرحية " الأبواب الموصدة " فان اخلاقية " اللا أخلاق " قد بلغت قمتها وحيث الاتصال بات مستحيلا •

ونظرا للتقلبات النفسية والاجتماعية والسياسية التي عايشها سارتر والتي دفعت به الى نوع من التذبذب والتيه : ((فان سارتر الذي يبغض ألاعيب وحيل النفس الداخلية لم يرتح طويلا لطريقته التي كانت تجعله يختبئ وراء الاجتماعات القولية • لقد أدرك وهو يعيش في مرحلة انتقالية وليس في المطلق ، بأنه ينبغي له أن يودع مجال " الوجود" لينتقل الى مجال " الفعل " أو " العمل "))(٢) .

لقد اكتشف سارتر خلال وبعد الحرب العالمية الثانية عالما جديدا ، عالما حيث يكون فيه " الآخر " ضروريا • ومنه فتعريف الحرية لم يعد تعريفا صوريا لحرية فردية منطوية على ذاتها بل لحرية ملتزمة ومتفتحة على الآخر خاصة وهو يتهيأ لدخول عالم السياسة حيث النشاط لا يتم فيه الا داخل اطار اجتماعي كلي • فكان من سارتر أن جعل من السياسة وسيلة للخروج من أزمته الأخلاقية ومن الأخلاق قوة دافعة لنشاطه السياسي: ((ويبدو لي أن سيرة سارتر السياسية المحضة تتجه أكثر من أي وقت مضى لتتطابق مع سيرته الأخلاقية))(٣).

---

١) Sartre(J.P),Le Mur, Edit Gallimard, Paris, 1979, P 35.
٢) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P 16.
٣) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 244.

وبعد أن اقتنع سارتر بأن سبيل الأمل يكمن في السياسة فقد أصبح همه الوحيد هو كيف يجعل من العبارة الأخلاقية قوة لهذه الأخيرة وكان سلاحه الوحيد هو الالتزام الحر. فهل استطاع سارتر أن يوفق بين الأخلاق والسياسة ؟ وما نوع هذه الأخلاق الجديدة؟ والى أى مدى يمكن للانسان السارترى أن ينجح في التزامه السياسي دون أن يفقد شيئا من حريته ؟

ان لمفهوم " الالتزام " عند سارتر دورا كبيرا ومن خلاله حاول أن يبني كل أخلاقياته السياسية . والالتزام هذا عنده ناتج عن كون الانسان لا يوجد الا ملتزما . هذا الانسان الملتزم هو الاكتشاف الذى ربما ماكان ليكون لو لا وجود "قضية ميونيخ ". ان المتتبع " لمحطات " سارتر الفكرية يلاحظ أنه لفي تخلي سارتر عن اتمام الجزء الرابع من رواية " دروب الحرية " حد فاصل بين ماقبلها وما بعدها من نظرة أخلاقية متباينة .

ان مايصبو اليه " متيه " بطل هذه الرواية ، وكما يشير اليه عنوانها هو الحصول كحد أقصى على درب يحيله على(الى) حريته ، فهو :((شعور هواه أن يكون حرا(...) انه يقول : " أرغب في ألا أتعلق الا بنفسي (...) ان لم أحاول أن أعيد أخذ وجودى لحسابي ، فسوف يبدو لي وجودى غاية في اللامعقولية "))(١). وهي الغاية نفسها التي كان يسعى اليها " روكنتان " في رواية " الغثيان " من خلال صراعه المستمر مع خصمه الوحيد المتمثل في الوجود - في - ذاته . وعدول سارتر عن اتمام هذا العمل انما يعود الى التناقض العميق الموجود في نظريته الأخلاقية وكان عليه وقتها أن يتخذ أحد الموقفين :

اما أن يواجه هذا التناقض ويحله واما أن يهجر أى عمل يضطره الى اصدار بيان غامض عن موقفه الأخلاقي ، فكان منه أن اختار العدول وأكبر دليل على ذلك هو الكتاب الذى وعد بعرض آرائه الأخلاقية فيه غير أننا لم نعد نسمع شيئا عنه أكثر من هذا .

لقد اتفق جل الباحثين ان لم نقل كلهم على أن نظرية العلاقات الانسانية كما هي واردة في " الوجود والعدم " هي نظرية زائفة . اننا لا ننكر أن العلاقات الانسانية قد تأخذ نفس الاشكال التي أشار اليها سارتر لكن ليس من نفس المنطلق الذى اعتمده سارتر

---

١) فراسيس جانسون . سارتر بقلمه ، ص ١٩٣.

ولا الوصول الى درجة الخاتمة المأساوية واليائسة في نفس الوقت • ولعل في التجربة الانسانية المشتركة وكابسط دليل لبرهان ساطع على وجود وتحقق علاقات من النوع الذى يراه سارتر مستحيلا عبر التاريخ • بل حتى سارتر نفسه الذى يرفض مثل للصداقة والمودة والتعاون •• نجده يصور لنا ، وربما بطريقة لا شعورية ، مع نهاية رواية "دروب الحرية " علاقة من هذا النوع (التضحية) والتي كان قد رفضها على مستوى " الوجود والعدم"•

ويذهب سارتر الى أبعد من ذلك مع بطلية " برونيه " و " فيكاريوس " والعلاقة القائمة بينهما في الجزء الرابع الموقوف تحت عنوان " صداقة عجيبة ؟ : ((وعندما يغرس " برونيه " يده في الشعر القذر لفيكاريوس الذى يموت ويصبح في " معاناته المطلقة " من أن صديقه ـ صديقه الوحيد ـ يمكن ألا يموت ، فاننا نلتقي بمطلق المعية • وبالتأكيد بالطريقة التقليدية الرائعة الموجودة في الأدب الروماني تنتهي علاقتها بالموت • لكنها تحقق لحظتها من الحقيقة ، وهذه اللحظة هي نقد لنظرية العلاقات الانسانية كما هي واردة في " الوجود والعدم "))(١) •

ان عدول سارتر عن اتمام هذا الجزء الرابع هو شبيه ببطل يخوض تجربة فكرية لمطابق تمام المطابقة لموقف أحد أبطاله وهو " آروست " في مسرحية " الذباب " عندما تخلى عن شعبه ومدينته " أراقوس " بعد أن قتل الملك والملكة وثأر لأبيه ، وهذ لا لشيء الا لأنه وجد نفسه فجأة أمام موقف أحاله الى أخلاق كان يرفضها من قبل ألا وهي " أخلاق المعية " •

لقد وجد سارتر نفسه وهو يحاول أن يلتمس المطلق من خلال الفردية المطلقة في أزمة جد حادة • وعلى اثر هذا فلم يجد سبيلا أمامه غير الخروج من المطلق والدخول في النسبي وطرح المشكلة حسب معطياتها الواقعية • غير أن امكانية تغيير سارتر خط سيره من أساسه كان مستبعدا • ويؤكد هذا فرانسيس جانسون (٢) عندما يلاحظ ـ ومن جهة نظر ماركسية ـ أن العلاقات الانسانية الواردة في "الوجود والعدم " هي علاقات تمت في مستوى

---

١) موريس كرانسون • سارتر بين الفلسفة والأدب • ص ١١٨
٢) فرانسيس جانسون • مشكلة الأخلاق وتفكير سارتر • ص ٢٦٧ (تحقق)

الفردية المطلقة . بينما وهو يسعى الى التحول من المطلق الى النسبي فاننا نجده يسعى الى مايجب أن تكون عليه العلاقات الانسانية اذا ماوجدت نفسها أمام مستوى من الحياة يختلف عن المستوى الذى سبقه وهذا المستوى هو الذى يسميه " جانسون " بالنزعة الجماعية الماركسية وهو ، في اعتقاده كذلك ، الحل الأمثل للمأزق الذى آل اليه سارتر. وقد تم هذا التجاوز من المطلق الى النسبي وفق مراحل متعاقبة ومتطورة :

فمن اباحية " الوجود والعدم " الى الكاتب الملتزم الذى جعل منه نموذجا كاملا للانسان الملتزم ليخلص بعدها الى التسليم بنظرة اجتماعية وسياسية واقعية تكاد تطابق النظرة الاجتماعية السياسية الماركسية . وطبقا لهذا التحول العميق فاننا نجد أن جميع المسرحيات التي كتبها سارتر منذ أن كتب مسرحية " جلسة سرية " هي مسرحيات سياسية تخدم بطريقة أو بأخرى النزعة الاشتراكية . ومن هنا كانت عبارة " الأدب الملتزم " تعني كما حددها هو واستخدمها النقاد اليساريون الأدب الملتزم بأية نظرة أخلاقية أطنية ولا أصالة في نظرهما الا في الاشتراكية . أما مايجدر الاشارة اليه هنا هو أن " الادب الملتزم بالاشتراكية " قد ارتفع عند سارتر الى مقام الأخلاق المفقودة : ((وهكذا في مجتمع بلا طبقات وبلا ديكتاتورية وبلا ثبات ، سينتهي الأدب الى أن يصبح واعيا لنفسه ، سيفهم أن الشكل والمضمون والجمهور والموضوع واحد ، وأن الحرية الشكلية للكلام والحرية المادية للعمل تكملان بعضا ، وأن من الأفضل له أن يظهر ذاتية الشخص عندما يحول معظم الحاجات الجمعية والمتبادلة الى وظيفة ، أن ينقل المطلق غير المحسوس الى المطلق المحسوس ، وأن نهايته هي أن يستجيب لحرية الناس حتى يمكن أن يحققوا ويقرروا حكم الحرية الانسانية))(١)

وحتى يبلغ الانسان السارترى هذه الدرجة الاجتماعية ، فان سارتر لايخفي علينه احتمال سقوطه في " أخلاقية التناقض " . يقول سارتر مخاطبا " الغشاشين " المتوقع تواجدهم داخل الحزب الشيوعي : ((... ولا نستطيع مكافحة الطبقة العاملة دون أن نصبح أعداء الناس وأعداء انفسنا ، ولكن ان راق للحزب الشيوعي ، وبدون أن ترفع حتى أصبعك الصغيرة ،

---

١) جان بول سارتر " ماهو الأدب ؟ " تر : د/ غنيمي هلال ، دار النهضة للطبع والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٩٧ .

فان الطبقة العاملة تصبح ضدك • وأن وجدتم هذا الموقف صعبا للغاية انتحروا أو اصبروا ولكن لا تبدأوا في الغش ...))(١) .

فمن هم هؤلاء " الغشاشون " الذين يتوجه اليهم سارتر بهذا الكلام؟ انهم كما يسميهم " الفئران اللزجون " وهم في حقيقة الأمر شيوعيون قدماء • واخرجوا من الحزب الشيوعي : ((أن الفأر اللزج لم يخن • ولكن الحزب متأكد من أنه كان في استطاعته أن يخون لو أن الفرصة كانت قد سنحت له • وبالاختصار ، هي كلمة تشير الى هذه الفئة من الأفراد - المنتشرين كثيرا مع الأسف في مجتمعنا : المذنب الذى لا يمكن أن نأخذ عليه شيئا))(٢) .

والملاحظ هنا هو أن حتى سارتر ينعت نفسه "بالفأر اللزج " وهذا بالرغم من أننا نعلم بأنه لم يدخل الحزب الشيوعي قط ، بل حتى سارتر وهو في حالة عداء مع هذا الحزب فهو لايمكن له أن يتعرض لخطر الطرد وهذا لا لشيء الا لأنه ليس عضوا فيه ولكن أيا كانت الفترة فانه يستطيع دائما أن يشعر بأنه مطرود منه •

ويلاحظ فرانسيس جانسون(٣) أنه حين يطبق على نفسه الكلمة فهو لايبتكر شيئا انما كان غيره قد سبق وأن طبقتها عليه • والموقف هذا يذكرنا بموقف " جوتز" أحد أبطاله الذى جعل من نفسه " المطرود " أو بموقف " جينيه " الذى جعل من نفسه " اللص " المطارد • وعندما ينعت سارتر بدوره " بالفأر اللزج " فانه لا يفعل ذلك لا عن كبرياء وأنه لم يشعر يوما بأنه قد ضعف أمام هذه الشتائم كما أنها لم تمنعه قط من متابعة سيره •

هذه اذن هي " معرفة الابهام في ذاته " التي تتحول الى " اخلاقية التناقض" وهذا التناقض هو بدوره هو الذى يحيلنا الى التمزق الموجود في الشعور السارترى اذ هو قد أصبح مطرودا أمام طرفين قائمين : الطرف البرجوازى من جهة بالرغم من أنه هو الذى يكفل له نجاحه كمؤلف ، والطرف الشيوعي من جهة أخرى الذى يعتبر نفسه مطرودا منه دون أن يدخله ، وبعبارة أوجز ، فان الاستقبال أصبح باطلا هنا وهناك • وكل هذه التناقضات

١) فرانسيس جانسون • سارتر بقلمه ، ص • ٢٣٧ - ٢٣٨
٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٨
٣) المرجع نفسه ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠

أحالتنا الى نتيجة عامة وهامة ألا وهي أن تمزق الشعور يصبح انفصالا اجتماعيا ليجسد الأصلي منبع الخير آخر الأمر أبعاده الملموسة في ظل الصراع الطبقي وهذا مايبرر النهج الثالث لسارتر • وهذا الموقف الجديد جعل سارتر يستبعد فكرة كتابة أخلاق تكون تابعة لأفكاره المدونة في " الوجود والعدم " وهذا لأنه من جهة أخرى أصبح يزداد أكثر فأكثر يقينا من أن : ((السلوك الأخلاقي يظهر حيث الشروط التقنية والاجتماعية تجعل فيه التصرف الايجابي غير ممكن • ومن هنا فالاخلاق هي مجموعة طرق أو حيل (Truos) ميثالية تساعدك على أن تعيش ما فرضته عليك أزمة الوسائل ونقص التقنيات))(١)• واذا كان الأمر كذلك فان الاخلاق عند سارتر أصبحت تقوم أساسا على مبدأ الحاجة ، الحاجة الى سبيل يخرج الانسان السارترى من مأزقه الذى آل اليه نتيجة نقص الوسائل أو التقنيات دون أن يأخذ بعين الاعتبار ماقد يترتب من سلب أو ايجاب ••

ففي مسرحية " الشيطان والاله الخير " نجد سارتر يعرض لنا في ثناياها تعريفا للسياسة والأخلاق الانسانية ويكشف لنا من خلالها أن : ((السياسة ماهي الا استخدام الأخلاق في مؤسسات ذات طابع جماعي))(٢)• وقد نستخلص من سطور هذه المسرحية أن الوصول الى الحقيقة غير ممكن وأن العثور على " الاخلاص " أو " الأمان " هو ضرب من الخيال • ومن هنا يصرح سارتر بأن : ((كل مبدأ أخلاقي مستحيل وضرورى في وقت معا))(٣) •

ان بطل مسرحية " الشيطان والاله الخير " نجده في بداية الأمر يسعى وراء تحقيق الشر لذاته ويعتقده سبب حياته لكنه مافتئ أن يكتشف بأن الشر المطلق هو اللاوجود المحض وهو غير ممكن وهذا بعد أن يخبره القسيس " هنريج " بأن لا أحد يستطيع أن يرتكب الخير بعد أن أصبح العالم مثقلا بالشر ومن ثمة يرامن هذا البطل على أن لا يفعل سوى الخير • لكننا نكتشف مع سارتر أن : ((عمل الخير دون الشر هو عمل يعكس لنا صورة الكائن البرمنيدى Parmenidien والذى يعني الموت)) وهذا لأنه ((اما أن المبدأ الأخلاقي خرافة أو أن هناك كلا ملموسا يحقق تركيب الخير والشر (•••) والانفصال المجرد

١) Jeanson(Francis), Sartre dans sa vie, P 279.

٢) Sartre(J.P), Notes inédites, Citées par: Beauvoir(S.de), la force des chosesI P 218.

٣) فرنسيس جانسون • سارتر بقلمه ، ص ٢٤٣

" للخير والشر " يعبر فقط عن استبعاد الانسان . يبقى أن هذا التركيب ، في الموقف التاريخي ، لايمكن تحقيقه (...) ان المشكلة الأخلاقية تنشأ من أن المبدأ الأخلاقي هو بالنسبة لنا جميعا حتمي ومستحيل في وقت معا . ان الفعل يجب أن يعطي نفسه معاييره الاخلاقية في مناخ هذه الاستحالة التي لا يمكن تجاوزها . وفي هذه الأبعاد (١) مثلا يجب أن نواجه مشكلة العنف ومشكلة علاقة الغاية والوسائل . ودائما في سير التحول السارتري من المطلق الى النسبي فاننا نلاحظ من خلال هذه المسرحية (الشيطان والاله الخير) هذا التحول بارزا خاصة اذا ماقارنا هذه المسرحية الأخيرة بمسرحية " الذباب ". فعلى العكس من تصرفات " أورست " في " الذباب " فاننا نجد " جوتز " يقرر مطلق البقاء مع شعبه ليخوض مع العمال الحرب التي كانت تنتظرهم : ((أمامي هذه الحرب لأخوضها وسأخوضها))(٢) .

ومع هذا القرار نجد سارتر يقضي على مفهوم الفوضوية الذي كثيرا ماتميز بها أبطاله من قبل وتميزت بها أفكاره هو كفيلسوف . وهكذا يريد سارتر من كل هذا أن: ((يثبت لنا بأن الأخلاق لاتحدد الا على مستوى الفعل الملموس أو البراكسيس الملموس Praxis concrète . وملتزمة تاريخيا في انتظار ما يمليه الوضع وضرورياته))(٣).

وعلى ضوء هذا التحول نلاحظ أن سارتر قد تجاوز ما أسماه المشروع الفردي الى المشروع الجماعي والذي بواسطته يستطيع الفرد أن يتجاوز نفسه نحو أهداف ملموسة . وبعبارة أخرى فهو ينتقل من أخلاقية الكائن الى أخلاقية السلوك الايجابي كما يسميها هو أو أخلاقية الانسان السياسي الملتزم وفق نظرة ماركسية متجدده منقحة في ضوء نظرة هيجلية متجددة هي الأخرى . كل هذا جعلنا نفكر في أن سارتر قد توقف من أن يكون عبدا لحريته المطلقة لينصب نفسه عبدا لما هو نسبي وهو المعنى نفسه الذي يستشف من نهاية مسرحية " الشيطان والاله الخير " ولو أمعنا النظر في مسرحية " الأيدي القذرة " لوجدنا أن بطله " هيدرر " هو الآخر يتصف بنفس هذا السلوك الايجابي . انه يقدمه لنا في صورة ذلك الانسان

---

١) Sartre(J.P), Saint Genet comédien et martyr, Gallimard, Paris, 1952, P 177.

٢) Sartre(J.P), Le diable et le bon Dieu, P 240-241.

٣) Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 83.

الذي يرفض أن يكون تابعا " لموسكو " بل انسان يتصرف وفق الأوضاع القائمة ويتقبل مسؤولية جميع أعماله ، لذا نجده (هيدرر) يخبر "هيجو " ان الانسان الذي لايريد أن يخاطر لأنه يخاف الوقوع في الخطأ يجب عليه ألا يشتغل بالسياسة . ومن هنا كذلك نجد " هيدرر" يقرر التحالف مع الحزب السياسي الآخر في البلاد رغم الخطورة المتوقعة وهذا ايمانا منه بأن اختيار التحالف في مثل هذه الأحوال هو أنجح من البقاء في العزلة ... انها أخلاقيات السلوك الايجابي : ((سوف أكذب كلما اقتضى الأمر ذلك (...) ان المجتمع منقسم اليوم ، وأن الطبقة المظلومة تكافح من أجل أن تضع نهاية للكذب ولا يمكن أن يوضع له حد الا بالغاء الطبقات وليس للفضيلة أن تفعل شيئا فيها))(١). تفقد المبادئ الأخلاقية معناها أكثر عند سارتر وتتأزم عندما يؤكد بأن الانسان طالما هو الخالق لأفعاله فهو الخالق لأخلاقياته لأنه لا يستطيع أن يتيقن من أن أفعاله التي يقوم بها هي أفعال صائبة وهذا لا لشيء الا لأنه ليس لديه المعيار الذي يلتجئ اليه ليقيم أفعاله هذه غير حريته هو وهذا الوضع يدفع به الى أن يحيى وباستمرار في حيرة وتردد ، ونلتمس هذا المفهوم من مخاطبة " هيدرر" "لهيجو " وهو يقول له :((بالنسبة لنا ليس من السهل علينا أن نطلق النار على انسان لأمور تتعلق بالمبادئ ، لأننا نحن الذين نصنع الأفكار ونعرف كيف طبخت ، فلسنا على يقين أبدا أننا محقون انا نحن، هل أنت على يقين من أنك محق أنت))(٢) .

ونخلص هنا الى أن سارتر بعد أن كان يعيش وسط أخلاقية التناقض الذاتي الناتجة عن الصراع القائم بين الوجود - في - ذاته والوجود - لذاته والوجود للغير نجده ينقل اهتمامه ، وكمخرج من الأزمة الفكرية التي آل اليها تفكيره ، الى عدم ترك التناقض يستقر فيه لنتقل الى العالم الكلي ، الى عالم أخلاقيات السلوك الايجابي(٣) حيث يبرز الانسان الملتزم : ((ان تأثير عالم العمل وظروف الانتاج تدفعنا أكثر الى تأمل

---

١) جان بول سارتر . الأيدي القذرة ، ص١١٩، بتصرف (أنظر كذلك . جانسون سارتر بقلمه ص٢٤٨) .

٢) جان بول سارتر . الايدي القذرة ، ص١٣١

٣) السلوك الايجابي يعني الالتزام داخل الاشتراكية الحرية (ترجمة بتصرف)

الأشياء من وجهة نظر السلوك الايجابي))(١). هذا " السلوك الايجابي " الذي دفع بالنقاد والباحثين ، وطبقا لكتاب سارتر ونشاطه السياسي ، الى أن يعرفوه على أساس أنه مقصود به الالتزام وفق المبادئ الاشتراكية . ويظهر هذا جليا على سبيل المثال، في مسرحية " الأيدي القذرة " عندما يجعل بطله " هيدرر " يعيش من أجل قضية عامة متجاوزا بذلك مصالحه الشخصية دون أن يهملها . لقد رأينا جيدا كيف أن " هيدرر " يلتزم بمشاريعه الى أبعد الحدود ، والعيش من أجل تنفيذها على حساب تناقضه الذاتي . يقول " هيجو " الذي عين شخصيا لقتل هيدرر بعد أن كشفت خطته : ((ما الذي كنت تفعله لو كنت في وضعي ؟)) .

ويرد هيدرر : ((أنا ؟ أطلقت الرصاص . ولكن ذلك ما كان يكون خير ما أفعله . ثم أننا لسنا من طينة واحدة)). ومن هنا ، ومن كون الانسان يعيش للقضية العامة وتنفيذها ينشأ الشعور بالنعيم ، هذا النعيم الذي لا نجد ملامحه تظهر في اجابة " هيجو " الذي يقول : ((وددت لو كنت من طينتك : فلابد لمن كان كذلك أن يشعر بالاطمئنان))وعندما وجد " هيدرر "يبرز تناقضه وصراعه الذاتي مبينا لنا بأن الانسان يستطيع تجاوزه دون أن يتخلص منه نهائيا . فيرد : ((أتظن ؟ (ضحكة مقتضبة) سأحدثك عن نفسي ذات يوم))(٢). ذلك بدقة مايتميز به "هيدرر" اذ هو ليس فقط يمثل التطابق الناجح للانسان مع وظيفته فحسب بل هو أيضا شعور له مشكلات شخصية . ففي الوقت الذي يدعي النجاح الظاهري، فهو يعرف جيدا أنه لن يصل الى حل التناقض المتواجد في نفسه . وأهم مايستنتج من هذا كله هو أن هذه " القضية* " رغم أنه ألزم نفسه بها فهي لم تتمكن من الاستحواذ على حريته وذلك لأنه كان يخدمها دون أن يترك لها الفرصة لتستعبده . وفي نهاية المطاف نجد أن الموقف ذاته لكل انسان هو أن يجد نفسه ، بالنسبة للتاريخ ، وللمجال الجماعي ، بكليته في الداخل وبكليته في الخارج في وقت معا . هكذا نلاحظ أن تصرف هذا البطل

---

١) فرانسيس جانسون . سارتر بقلمه ، ص ٢٤٥
٢) جان بول سارتر . الايدي القذرة ، ص ١٣٤ - ١٣٥
* " القضية " : التحالف، تحرير بلاده .

" هيدرر " ليس الا كما سبقت اليه الاشارة تجسيدا لمحاولة الانتقال من أخلاقية الكائن الى مستوى العالم الأخلاقي للسلوك الايجابي ، هذا السلوك الذي عرفناه سالفا متمثلا في الالتزام بالمبادئ الاشتراكية . ولست أرى أيضا في دراسة سارتر النقدية حول " بودلير " الا ضربا من ضروب هذا التحول . ففي هذه الدراسة نجد سارتر يلومه كثيرا مبينا بأن غلطة هذا الشاعر ليست محصورة في مقاومته لأي نوع من الالتزام فقط بل لأنه قاوم أي نوع من الالتزام الاشتراكي . فسارتر – كما سبق وأن أشرنا في الفصل الذي سبق هذا – : ((كان يفضل أن يكون بودلير كاتبا اشتراكيا مبكرا من الدرجة الثالثة على أن يكون شاعرا غنائيا من الدرجة الأولى))(١) وتبعا لنوعية هذا الالتزام أصبح سارتر هو البطل المتحمس لكل ما انجزته الدول الشيوعية وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي وفي الوقت نفسه صار الناقد العنيف لكل أمريكا والغرب ، لقد وقف الى جانب تدخل الاتحاد السوفياتي اثر نشوب حرب " كوريا " وهذا على العكس من " مارلوبونتي " الذي رأى أن مرحلة السياسة تتوقف عندما تبدأ مرحلة الحرب . أما ما صرح به سارتر بعد هذا التدخل السوفياتي أن هذه الحرب كانت بالنسبة اليه خطوة جديدة نحو اخلاقية السلوك الايجابي. فيقول : ((كانت – هذه الحرب – بالنسبة لي وبالنسبة للبعض من أصدقائي هي نهاية المذهب المثالي . وأنه لا فرق بين السياسة والحرب وينبغي المحافظة على الحزب المنتمي اليه حتى في أوقات الحرب (...) وابتداء من عام ١٩٥٠ فهمنا بأنه ليس علينا أن نختار ما يمكن أن نحبه ولكن أن نختار حسب رؤية هي أكثر شمولية . كان علينا أن نكون في صف المغامرين الذين كان من صالحهم الحصول على السلم ، اذن في صف السوفيات))(٢) .

وهكذا ، فالأخلاق في نظر سارتر أصبحت مرادفة للفعل السياسي الواقعي المبرر والحر في آن واحد ، ولا يحقق الانسان ذاته الا من خلال تحقيقه الغايات التي اختارها والتزم بها : ((وبالضبط ففي الالتزام الحر تكمن الأخلاق))(٣) .

---

١) موريس كرانستون . سارتر بين الفلسفة والأدب ، ص ١٢٣

٢) Au cours d'un entretien en mars I96I, Citée par: Burnier Michel-Antoine Les Existentialistes et la politique, P.P 80-8I.

٣) Beauvoir(S.de), l'Existentialisme et la sagesse des Nation, Edit Nagel, Paris, I963, P.80

واعتقادا من سارتر بأنه يدعو الى أخلاق سياسية فعالة نجده ، ومن هـذه الزاوية ، يرد على " الباركامو " وبقوة وذلك اثر التصادم الذي حدث لهما ، وكان رده هذا عبارة عن نداء الى الفعالية في العمل وتحمل المسؤوليات فيقول له : ((كامو ، اذا كنا قد تعبنا ، فتعالي نستريح مادمنا نملك وسائل الراحة : لكنه لا ينبغي لنا أن نأمل من أنـه يمكن لنا أن نزلزل العالم عندما نعبر له عن درجة تعبنا))(١) .

واذا ماحاولنا أن نحصر ما أفرزه هذا التحول السارتري نحو ماأسماه بأخلاقيـة السلوك الايجابي فاننا نلاحظ أن الأخـلاق عنده لم تكن لتوجه النشاط السياسي وانما جاءت لتسايره وتتماشى معه وذلك وفق ماتتطلبه الارادة السياسية وليس وفق ما تمليه الاخـلاق وهذا لدرجة أن الفعل الاخلاقي يصبح في كثير من الحالات يعكس فعلا لا أخلاقيا اذ يصبح الكذب والخيانة مسموحا بهما للسياسي السـارتري وذلك حسب ماتمليه الضرورة لأن الصدق الدائم في اعتقاد سارتر ، لا يتماشى والسياسة : ((اذا بدأت أقول لكم : " لا تكذبوا أبـدا " فانه لم يعد هناك نهائيا فعل سياسي ممكن . ومايهم أولا هو تحرير الانسان))(٢).

وفي عام ١٩٦٠ ينشر سارتر كتابه " نقد العقل الجدلي " وهو كتاب يعكس فـي حقيقة أمره تطور سارتر الفلسفي والسياسي معا ، وفيه يتناول الانسان الاجتماعي بالدراسة بعد أن سبق ودرسه في " الوجود والعدم " كفرد . والكتاب في مجمله هو عبارة عن محاولة سارترية للاتيان بقراءة جديدة للماركسية وهي قراءة كانت قد تمت على ضوء الفكـر الهيجلي . لذا نجده يسعى الى اقناعنا بأن الماركسية هي " فلسفـة " العصـر الحاضر التي لم نتجاوزها بعد ، أما الوجودية فهي ليست الا " ايديولوجية " وهي مجـرد بقعة من داخل الماركسية : ((انني اعتبر الوجودية " ايديولوجية " : انها نظام طفيلـي يعيش على هامش المعرفة ، وكانت قديما تعارض المعرفة ولكنها الآن تحاول أن تتكامـل معـها))(٣) .

---

١) Sartre(J.P), Reponse à A.Camus, in Les Temps modernes, Aout 1952, P 337.

٢) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 227

٣) جان بول سارتر . نقد العقل الجدلي : الماركسية والوجودية ، تر:د/عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص١٦ .

لكنه ، ورغم هذا التصريح فان سارتر لا يسلم بذوبان الوجودية داخل الماركسية الا اذا توفر شرط جد رئيسي وهو أن تأخذ الماركسية بالبعد الانطولوجي . وبهذا يريد سارتر أن تخلص الماركسية نفسها من مفهوم المادية الجدلية وتبقى فقط ما يسمى بمفهوم المادية التاريخية التي تأخذ في اعتبارها أن الناس هم الذين يصنعون تاريخهم بأنفسهم في ظل بيئة مفروضة تحددهم . ويعتقد سارتر أن هذه النظرة الأخيرة تأخذ بأولوية الانسان على المادة .، ولذا يرى سارتر أن الماركسية : ((بعد أن صفت فينا كل مقولات الفكر البرجوازي، تركتنا فجأة في العراء ، لم تصبح فينا حاجتنا الى أن نفهم ، وفي ذلك الوقت الفريد الذي ألقت بنا فيه ، لم يكن لديها جديد تعلمنا اياه ، لأنها كانت قد توقفت))(١) ونظرا لهذه المحاولة السارترية التنقيحية للماركسية ، فان هذا الكتاب (نقد العقل الجدلي) لم يكن ليرضي لا المسار الماركسي ولا المسار البرجوازي . وتنقيح سارتر للماركسية كان من ورائه أن هذه الأخيرة لم تستقم في نظره ولم تتوقف على النظار الى نفسها على أنها منظومة شاملة ومغلقة . لأنه اذا أصبحت كل الأوامر تأتي من عل (البنية الفوقية) وفي جميع الحالات فانه لا مفر من أن الشعور بالضعف سوف يتربع بين أوساط الجماهير ويشل أفكارهم وأفعالهم ومن ثمة فان القدرة على التدخل والمواجهة تنمحي وتندثر لدرجة أن الانسان يصبح آلة تبرمج .

ونحن نقف عند هذا الحد ، فاننا نلاحظ أن سارتر قد رفض أن يتصرف كسياسي في الظلام كما رفض أن يوضع كالعربة فوق السكة الحديدية ، وهو ما يؤكد بالفعل أن التصرفات السياسية المحضة لسارتر تهدف لأن تتطابق مع تصرفاته الأخلاقية : ((بما أن السياسي لا يستطيع تجنب الاستفسار حول تبرير أفعاله ، وبما أن السياسة لا تكون سليمة أو مقبولة الا اذا كانت الأهداف أو الغايات قد اختيرت بكل حرية ، فان الأخلاق والسياسة تظهران لنا متطابقتين))(٢) .

---

١) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ .

٢) Beauvoir(S.de), L'Existentialisme et la sagesse des Nations, P 84.

وبعد المنازعات المتكررة مع الحزب الشيوعي الفرنسي تارة والتعاطف معه طورا فان هذا الحزب خصوصا والشيوعية عموما قد انتهيا الى أن يخيبا آمال سارتر فساءت العلاقة بينهما وتحولت الى مضايقات شديدة ، خاصة من طرف سارتر ؟ . فلم يعد سارتر يكتفي بالحوار الذي أصبح دون نتيجة بل أصبح يتطلع الى العنف كوسيلة للتغيير . ويتجلى هذا التطلع في موقفه من ثورة ١٩٦٨ الطلابية . ففي حديث له أجراه يوم ١٢ ماي ١٩٦٨ مع اذاعة لوكسومبورغ يقول : ((ان هؤلاء الشبان لا يريدون مستقبلا مطابقا لمستقبل آبائهم (...) ذلك الذي أثبت بأننا رجال جبناء (...) وفريسة أمام نظام مغلق (...) ذلك ان العنف هو الشيء الوحيد الذي بقي أمام الطلبة الذين لم يدخلوا بعد ولا يريدون الدخول في هذا النظام المقدم من طرف آبائهم))(١) .

وهذا يؤكد بأن سارتر قد أصبح فعلا يرفض وبشدة الماركسية التي تنطوي على مؤسسات ذات تحديد قبلي والتي لا تترك مجالا للفعل الانساني الحر ، وقد حمّل الحزب الشيوعي الفرنسي سبب وقوع ثورة ماي ١٩٦٨ الطلابية التي اتبعت باضراب في المصانع من طرف العمال : ((انه واضح من أن حركة الاضراب الحالية تمتد جذورها الى تمرد الطلبة ، لأن اللجنة العاملة للعمال اختارت وضعية التبعية أو " الامعة " . وكان على هذه اللجنة أن ترافق الحركة من أجل "توجيهها" . وكانت تهدف على وجه الخصوص الى تجنب تلك الديمقراطية المتوحشة التي أوجدتموها (الطلاب) والتي كانت تضايق كل المؤسسات لأن اللجنة العامة للعمل هي ذاتها مؤسسة))(٢) .

أما من الأسباب المباشرة التي كانت وراء تصريحات سارتر هذه هي أنه كان قد اقتنع من أن الحزب الشيوعي الفرنسي قد فعل كل ما في وسعه ومنذ أول وهلة من أجل تعطيل أو توقيف هذه الحركة الطلابية خاصة بعد أن علم هذا الحزب بأن من مطالب حركة هؤلاء الشباب الثوريين نجد : ((المطالبة بديمقراطية اشتراكية حقيقية والتي لم يتم بعد تحقيقها في أي مكان))(٣) .

---

١) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 245.
٢) Idem , P 247.(C'était lors d'une conférence à la demande des étudiants).

٣) Le Nouvel observateur, 26 Juin 1968, Citée par: Burnier Michel Antoine, Les Existentialistes et la politique, P 247.

واذا كان سارتر قد وقف هنا الى جانب الطلاب والعمال على حد سواء واذا كان يرى في العنف وسيلة عند الضرورة وكان دائما مستعدا لأن يبرر استعماله عند الحاجة وقد فعل ذلك في العديد من المرات خاصة عندما استخدمته الطبقة العاملة فذلك لأنه كان يراه عنفا لا مفر منه : ((ان العنف الطلابي ليس الا " عنفا معاكسا " ومهما كان فوضويا فهو لا يعبر قط عن " العنف الفوضوي " بل يسعى الى نظام مغاير))(١) ويلاحظ سارتر أيضا أن هذا الطالب الثوري الذي قام ليرفض هذا الوضع السائد والمتأزم في النظام الفرنسي ليس معناه أنه خائن تجاه مجتمعه بل هو يرفض هذا الوضع لأنه مخلص ومحب لوطنه . ومن هنا نجد سارتر يجمع ما بين المعارضة والاخلاص أو بعبارة أخرى فهو يسعى دوما الى اقامة أخلاق المعارضة التي يراها على أساس أنها أخلاق نقدية توجيهية ، لأنه : ((اذا كان هناك اخلاص دون معارضة فان الأمر لا ينسجم وبه يفقد الانسان حريته .))(٢)

ويحلل سارتر بعدها فعل الحركة الطلابية مبينا أنه مادام الحزب الشيوعي الفرنسي هو أكبر حزب محافظ ومادام العمال جلهم يثقون فيه فانه يستحيل القيام بثورة كالتي فعلت في ماي ١٩٦٨ . ودائما مع تطور الأحداث تتنوع مواقف سارتر ويأخذ معها مساره يتجه نحو مايراه أسلم ، وكان التطور هذه المرة ليحيله الى أن يضم صوته الى صوت الماويين . ففي جانفي عام ١٩٧٢ صدر كتاب يحتوي على مجموعة مختارة من الاستجوابات والاحاديث والشهادات لبعض الثوريين الماويين(٣) وكان سارتر قد قدم له . وان كان يصرح فيه قائلا : " أنا لست ماو " فهو يشير من وراء هذا الى انتمائه الى الشيوعيين الاصلاحيين .

ومن جملة اهتماماته نسجل اهتمامه بالاشتراكي الثوري الذي يراه على أساس أنه لا يمكن له أن يكون عنيفا لأنه يقترح هدفا ترفضه في المقابل وبدون تحفظ السلطة الحاكمة ويستنتج من هذا أن : ((العمال والفلاحين عندما يثورون فهم أخلاقيون

---

١) Le Nouvel observateur, I9 Juin 1968, Citée par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 247.

٢) Le Nouvel observateur, I9 Juin 1969, Citée par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 249.

٣) Manceaux Michel, Les Maos en France, Citée par: Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 254,

مطلقون والسبب في ذلك أنهم لا يستغلون أحدا)) . ولذلك قال ماويون : ((مع عملهم (براكسيس) المناهض للسلطة ، فهم يظهرون كقوة ثورية فريدة - وهم في بداية عهدهم - وهي قوة قادرة على أن تتلاءم مع الكيفيات الجديدة للصراع الطبقي ، وفي مرحلة الرأسمالية المنظمة))(١). والأمر كله هنا ، في اعتقاد سارتر ، يتعلق باعادة الميزة الحية والحقيقية للماركسية أو بعبارة أخرى اعطائها وجهها الثوري وهذا بعيدا عن كل انغلاق أو منظومة محددة ومن ثمة البحث عن لغة الرفض التي اتلفتها أو أسكتتها عملية التأسيسات الحزبية داخل فلسفة الحكم .

لقد رأينا كيف حاول سارتر دون جدوى انشاء اخلاق ذاتية ثم معارضتها بأخلاق " السلوك الايجابي " والتي عرفت أكثر بالأدب الاشتراكي الحر الملتزم لينتهي بعدما الى تقبل واحتضان الماركسية شريطة أن تأخذ هذه الأخيرة بالبعد الانطولوجي ، ذلك البعد الانطولوجي الذي ظهر أخيرا في مفهوم ماي ٦٨ وفي المفهوم السارتري - الماوي تحت اسم الاشتراكي الثوري . لكن مالبث أن نجد سارتر في آخر أيامه يفاجؤنا بعبه تراجع كلي وهذا ليعود ومن جديد الى ماكان قد تركه معلقا في كتابه " الوجود والعدم " لقد كان يرى في " الوجود " مشروع التحقق الانساني بينما في " العدم " فشل وتوقف هذا المشروع . وفي ضوء هذه المفارقة بين الوجود والعدم ظهر مفهوم الفشل في عموم أخلاقيات الانسان السارتري وهذا سواء على مستوى التوافق مع النفس أو على مستوى محاولة الاتصال مع الآخرين ، اذ انتهى به التحليل الى القول بأن " الآخرين هم الجحيم " .

ويفاجؤنا سارتر في آخر حديث له(٢) بعودته الى الآخر المرفوض الى ترشيحه على أساس أنه جحيم لشيخوخته بعد أن كان جحيما لشبابه : ((الشيخوخة هي واقعي أنا الذي يشعر به الآخرون : انهم يرونني ويقولون ياله من رجل عجوز ! انهم محبوبون لأنني سأموت قريبا ، ولأنهم سيحترمونني بعد ذلك (...) ان الآخرين هم شيخوختي))).

---

١) Idem , 257.

٢) د/ خليل أحمد خليل . السارترية : تهافت الأخلاق والسياسة ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، ط.١١ ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٥ ومأخوذ من : Le Nouvel obsrv.tour , 10 Mars 1980, 17 et 24 mars 1980.

لقد كان سارتر يعتقد في مرحلة ما أن الحل يكمن في الماركسية وذلك لأنه رأى فيها سبيلا الى السلم لكن ما فتئ أن خيبت آماله وهذه الخيبة كانت من الأسباب الرئيسية التي دفعت به الى نسف البناء الماركسي تدريجيا وذلك بعد أن رفض أن يجاري ماركس في أن العلاقة التي تربط بين الناس ليست هي علاقة انتاج بل أساسها الندرة مرورا بفكرة الحزب الذي كان يرى في وجوده موتا لليسار لينتهي الى الفصل النهائي مبررا اياه : ((ان حرية اليسار المتقدمة هي التي ماتت))(١) .

بقي لنا أن نقول أن الوجودية السارترية برمتها كانت بمثابة رد فعل لما آل اليه العالم الأوروبي من أزمات أخلاقية وسياسية على وجه الخصوص ، هذه الأزمات التي طال أمدها لم تستطع الوجودية تصورها الا على شكل فشل ذريع أو وجود مآله الى عدم . لكن هل يضيع الأمل في أن يسترجع الانسان الأوربي انسانيته ؟ يجيبنا سارتر وهو يعيش آخر أيامه : ((لابد من السعي لكي نفسر لماذا عالم اليوم ، وهو عالم مرعب ، لا يكون الا لحظة في التطور التاريخي الطويل ، ولماذا كان الأمل على الدوام احدى القوى المهيمنة في الثورات وفي الانتفاضات ، وكيف لا أزال استشعر الأمل بوصفه مفهومي للمستقبل)) . واذا كان الأمر مستقبلا على هذا النحو ، فان مثل هذا الأمر يكون في اعتقادنا وبدون شك في حاجة الى أسس أخرى تناقض كل الأسس التي قامت عليها الوجودية السارترية وهو الأمر نفسه كان ليقلب الموازين ربما في تفكير سارتر لو أمتدت به العمر الى أكثر من هذا .

---

١) المرجع نفسه ، ص ٦٧ .

٢) المرجع نفسه ، ص ٩٣ .

الباب الثاني:

سارتر والثورة الجزائرية.

الفصل الأول: سارتر والثورات التحريرية في العالم

الفصل الثاني: مؤلفات سارتر حول الثورة الجزائرية.

الفصل الثالث: موقف سارتر من الثورة الجزائرية.

الفصل الرابع: أثر سارتر في الرأي العام الفرنسي.

يبدو أن الحضارة الانسانية اليوم هي سائرة في طريق الخطأ ، وأقل دليل على ذلك النكسات المتعاقبة والمتعددة عبر محطات تاريخها والتي أفرزت الأطماع المتكالبة هنا وهناك لدرجة أن كثيرا من الدارسين النقاد يرون أن داء المجتمع الحديث يعود الى كون المجتمع ولد مريضا ، وأن جميع المقاييس التي استعملناها حتى الآن لقياس تقدمنا انما كانت في الواقع مقاييس نسبر بها مدى تقدم هذا الداء[1]. اذن فالوضع العالمي المضطرب بحروبه المدمرة وأزماته الاقتصادية الحادة هو الذي كان من وراء قلق الانسان حيال مصيره وتزايد وتعالي صراخه في وجه هذه الأزمة السياسية الأخلاقية المعاصرة .

لقد عرف العالم الحديث والمعاصر حروبا شاملة مدمرة لم يسبق لها مثيل كما عرف أزمات مالية جعلت مشكلة البطالة تزداد حدة واتساعا ، وعلى رأس كل هذا تربعت النظم السياسية التي لم يكن يهمها شيء سوى الاستغلال والربح الطائل على حساب الآخرين وبأبشع الطرق . أما ما زاد انسان اليوم أكثر قلقا واضطرابا هو تنامي الأسلحة حديثة جد متطورة تهدد ، في غياب توازن أخلاقي ، بفناء الجنس البشري كلــه .

ففي ظل هذا الوضع المريض والهرم ، جاءت الوجودية وهي مثقلة بالتساؤلات : أين هي الحياة ؟ ولماذا طبعت بصراع جحيمي ؟ وهل لأوروبا على وجه الخصوص امكان التخلص من هذه الحروب الحديدية وتجاوزها نحو التآخي والمسالمة ؟ .

وفي هذا الصدد ، يقف كارل يسبرس صارخا في وجه الديكتاتوريات الرامية الى استضعاف واستعباد النوع البشري ، فيقول : ((ان قوة الطغيان قد تسلب العالم نعمة الحرية . ففي حرب تخوضها جيوش كبرى ، باسلحة فتاكة (...) باستثناء القنبلة الذرية ، سوف تكون الدول الديكتاتورية الحالية هي الأقوى . لذلك قد تجد الدول الحرة نفسها ، في حرب من هذا القبيل ، أمام أحد أمرين : اما استخدام القنبلة الذرية واما الرضى بالطغيان . اما تعريض الانسانية للدمار واما التخلي عن الحرية))[2] ومن هنا كانت جميع

---

1) تشارلز فرنكل ، أزمة الانسان الحديث ، تر: د/ نقولا زيادة ، مراجعة عبد الحميد ياسين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1959 ، ص 301

2) جان بول سارتر ، الوجودية مذهب انساني ، ترجمة د/كمال الحاج ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1978 ، ص 14

تدخلات الوجودية وعلى وجه الخصوص في عالم السياسة من قبيل اقتناعها بأن الانسان كائن حر من أساسه ، وينبغي لها أن ترد له هذا الاعتبار .

وهنا وعلى وجه التحديد نتساءل عن موقف الوجودية السارترية من هذه الحروب المدمرة ، وعن امكان وجود أمل لتجاوزها نحو سلم دائم والعيش في ظل الحرية التي هي أساس ، في اعتقادها ، وجود هذا الانسان ذاته ؟

لاريب في أن فكر سارتر قد أقيم بناؤه على قاعدة حربية اذ بعد معايشته أثناء طفولته الحرب العالمية الأولى والثورة البلشوفية هاهو يجد نفسه بعد أن بلغ سن الرشد يعايش حربا عالمية ثانية جحيمية ، هذه الحرب التي شطرت حياته الى شطرين جعلته يتراجع أمام الانطواء الذاتي ويكتشف ضرورة وجود الآخر والعمل الى جانبه عوض مقاطعته والعمل ضده .

لقد أظهر سارتر بعد الحرب العالمية الثانية وفي ظل شبح هيروشيما ونقازاكي ومن ثم أمام امبريالية القرن العشرين وجها شاحبا ويؤوسا اذ في الوقت الذي كانت فيه شعوب الحلفاء تعيش فرحة الانتصار كانت حكوماتها تتقاسم فيما بينها العالم بمدينة "يالطا" .

وأمام هذا الوضع الامبريالي يحاول سارتر التنبؤ بمستقبل الانسانية فيقول :
((ان نهاية الحرب لا تعني السلم : فالسلم هو بداية الانطلاق نحو حرب أخرى انننا نعيش اللحظات الأخيرة (...) ففي عصرنا هذا ، وبكيفية جعلتنا نعيش وباستمرار تدهورا متزايدا (...) فان نهاية الحرب هي فقط نهاية هذه الحرب اذ أننا لم نعد نؤمن قط بنهاية الحروب))(١) .

فهل حقا لم يعد سارتر يؤمن بنهاية الحروب؟ واذا كان الأمر كذلك فماذا عن مواقفه تجاه الثورات التحررية في العالم التي قامت ضد أطماع الدول الامبريالية الشرسة أو ضد أنواع الديكتاتوريات القمعية الداخلية والفاشية ؟

---

١) Sartre(J.P), Situations III, Gallimard, Paris, 1949.

يبدو أن سارتر قد عرف منذ الوهلة الأولى بمعاداته لكل من يقف في طريق تحقيق الحرية الانسانية ورغبتها . فقبل الحرب العالمية الثانية ، كان الشعب الاسباني قد ثار في وجه النظام الحاكم سعيا منه لتحقيق النظام الجمهوري فكان سارتر من الذين وقفوا وبكل قوة في وجه النظام الفاشي السائد أنذاك في اسبانيا وكان من نتائج ذلك أن كتب مجموعة قصص تحت عنوان " الجدار " ومحتواها أن كل محاولة انسانية للهروب من قبضة الوجود فهي دائما داخل اطار الوجود ، اذ الوجود هو ملئ ولا يمكن للانسان أن يخرج عن دائرته، لذلك نجد في هذه المجموعة القصصية أن جميع محاولات أبطالها تنتهي " بجدار" ويعلل سارتر هذا في حديث له عام ١٩٦٧ فيقول : ((عندما كتب " الجدار " لم أكن في علاقة مع الأطروحات الماركسية ، وانما كنت فقط في تمرد كامل ضد واقع الفاشية الاسبانية ، وتبعا لهذا ، وحيث كنا وقتها على أبواب الهزيمة الاسبانية ، فقد وجدت نفسي أكثر حساسية تجاه لا معقولية (Absurdité) هؤلاء الأموات من حساسية تجاه العناصر الايجابية التي تستطيع التخلص من الصراع ضد الفاشية))(١).

ومايلاحظ على سارتر وقتها أنه لم يكن بعد قد وضع أصابعه على نهجه الفلسفي ولا السياسي على وجه الخصوص بل الفضل في ذلك عاد فيما بعد الى الحرب العالمية الثانية التي كان لها الدور البالغ في حياته اذ أخرجته من الفردية وغرست في فكره مفهوم الغيرية : ((لقد شطرت الثورة بالفعل حياتي الى شطرين))(٢) اذ لم يعد على اثرها سارتر ١٩٣٩ هو نفسه سارتر عام ١٩٤٥ -.

لقد جند سارتر وحكم عليه ثم سجن ليطلق سراحه بعد أن انتحل الشخصية المدنية . وفور اطلاق سراحه التحق بباريس لينشئ جمعية مناهضة للاستعمار الألماني المتواجد في فرنسا تجمع بين الأحرار والاشتراكيين . وكان من خطط سارتر العاجلة لدفع الألمانيين خارج فرنسا هو محاولة القضاء على العزلة التي فرضها النظام العسكري الألماني بين أفراد الشعب الفرنسي .

---

١) Jeanson(Francis), Sartre dans sa vie, P II5.
٢) Sartre(J.P), Situations X, Gallimard, Paris, 1976, P I79.

وتقول سيمون دي بوفوار في محاولة منها لوضع سارتر أمام الواقع :((اننا جد منعزلين وجد عاجزين! فيرد عليها : هذا هو بالضبط ، ينبغي لنا كسر هذا الانعزال ثم نتحد وننظم المقاومة))(١) ومنذ ذلك الحين كانت كل تحركاته تهدف الى توحيد الجهود وتنظيمها ، وكانت البداية بنشر مناشير تدعو الى التخريب والمقاومة وذلك بشتى الوسائل المتاحة الى أن تم انشاء جمعية " الاشتراكية والحرية " . هذه الجمعية كانت اتفقت على أهداف منها : الكفاح ضد نظام " فيشي Vicky " وضد كل المحاولات التي تهدف الى مساعدته وفي نفس الوقت دون الانضمام لا الى النزعة البرجوازية ولا الى الديغولية وانما بالاعتماد على المبادئ الاشتراكية ولكن دون الوقوع هنا أيضا في صف الشيوعيين وهو مايبرر التسمية التي أطلقت على هذا التجمع ...

أما ما نريد الاشارة اليه هنا هو أن سارتر كان قد وقف في وجه الاستعمار والاستغلال وضد نهب الحرية الانسانية باسم الحرية والاشتراكية . فأما الحرية فهي لبنة نظرته الأولى وأما الاشتراكية فما هي الا نتيجة فرضها عليه الواقع السياسي والاجتماعي المعاش أنذاك ، وعلى ضوء هذه التجربة السياسية الأولى السارترية نتساءل : هل سيكون لهذه التجربة تأثير على مواقفه المستقبلية المتنوعة منها على وجه الخصوص المواقف المساندة للقضايا التحريرية في العالم ؟

لقد فشل التجمع الذي أسسه سارتر تحت اسم " الاشتراكية والحرية " غير أن هذا الفشل لم يزده الا عزما وتصميما وكان أن توجت جهوده بكتابة مسرحية " الذباب " التي كانت تعبر عن صرخة من صرخاته تجاه الاستعمار النازي وتكشف في نفس الوقت عن قابلية الاستعمار لدى الفرنسيين ...

والظاهر أن الحرب العالمية اا والغزو النازي لفرنسا على وجه الخصوص قد عمّقا كراهيته لشتى أنواع الاستعمار والعبودية اذ أصبح يرى أنه ليس من الممكن أن ننتصر الحرية بمجرد انتصار الحلفاء وانما انتصارها لا يتم الا اذا استردت كل الشعوب ،

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses II, P.P 459-460.

بمختلف ألوانها ، حريتها ، لذلك فان نشاطه الثوري والسياسي لم يتوقف بمجــرد اسكات آخر بندقية شاركت في الحرب العالمية الثانية .

لقد قام سارتر ، بعد نهاية الحرب مباشرة ، بزيارة الى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية لينتقل بعدها الى المكسيك الجديد حيث وجد الانسان يعيش أبشع صور العبودية فكتب يقــول : ((لا يمكننا أن نجد وفي أي بقعة من العالم بؤسا أكثر شدة مما هو عليه بــؤس فــلاحي بعض مناطق التكساس والمكسيك الجديد . ان أمريكا هي بلد مستعمر وانــي وانني أقارن عمالها بدون تردد ، وذلك رغم الفروق، بمستعمري فرنسا في المغــرب))(١) .

وبعد عودته الى فرنسا كثف من نشاطه تجاه هذه القضية العنصرية وذلك بكتابــة مسرحية تحت عنوان " العاهرة المحترمة " وكلها صرخة في وجه القمع العنصري الأمريكــي ومن هنا كانت الانطلاقة الثورية الحقة لسارتر والتي لم تتوقف بعدها قط وكان البديــة مع الولايات المتحدة الأمريكية . ومن العنصرية الى المواقف الامبريالية الأمريكية : ((ان مــشروع " مارشال " ليس هو شر في حد ذاته ، انما هو يهدف وبالتأكيد الى اقامــــة امبريالية سياسية أمريكية (...) اذن لينتشـر ليرفض المساعدة الأمريكية انما ضـــــد الاستعمـال الأمــبريالي (...) لهذه المساعدة))(٢). ثم يثير بعدها وبحدة في عام ١٩٥٣ قضيــة " روزنبارغ " Les Rosenberg . لقد أظهر سارتر تجاهها موقفا جد معادي للسياسة الأمريكية الارهابية فكتب يقول : ((فعندما يتعلق الأمر بموت أبرياء فان القضية تصبـــح قضيــة العالم كله (...) لقد تقدمت أوروبا بجميعها لك (ماكارتي) لتطالب منك العفو عنهــم فكان جوابك : " أوروبا ، ان أمرها لايهمنا " . شيء جميل ، لكن لا تأتي بعدها قد تكلمنــا عن التحالف (...) اننا لا نسمح أبدا باعطاء قيادة العالم الغربي الى سمان روحي روزنبارغ))(٣).

ومع مرور الوقت كان سارتر يزداد خبرة ومعها كانت تزداد رقعة صراعه من أجــل الدفاع ونصرة القضايا العادلة فصار همه الوحيد هو تحرير الانسان وتخليصه من جميــع أنواع السيطرة والعبودية . فمن تجمع " الاشتراكية والحرية " الى حزب " التجمع الديمقراطي

---

١) Combat, 7juin 1945, Citée par: Cohen-Solal (Annie), Sartre 1905-1980, Gallimard, Paris, 1985, P 318.

٢) Complicité objective, Edition signé T.M, in Les Temps modernes, Juillet 1948, P 7.

3) Sartre (J.P), " Les animaux malades de la rage ", in Libération, 22juin 1953, Citée par: Cohen-Solal (Annie), Sartre 1905-1980, P.P 107-108.

الثوري " الذي كان سارتر أحد أعضائه البارزين وبمجرد انشاء صحيفة له تحت عنوان " اليسار " فاننا نسجل في عددها الثاني وفي صفحتها الأولى هذه الاثارة الاستفهامية : ((فلسطين ـ جنوب افريقيا وتشيكسلوفاكيا ... ولكن أين هي الحرية وأين هي الديمقراطية ؟))(١) ومنذ ذلك الوقت بدأ سارتر يطالب الدول الاستعمارية وعلى رأسهم فرنسا بمنح الشعوب حريتها ....

وفي عام ١٨ نوفمبر ١٩٤٨ ، تلقى سارتر دعوة من طرف الطلاب المغاربة ليحضر معهم تجمعا سياسيا ذلك بوصفه ممثل لحزب سياسي وبوصفه مفكرا وثائرا يصارع من أجل أن تنال الانسانية جمعاء حريتها وقد يكون كذلك بوصفه أحد أبناء بلد استعماري فكان من جملة ردود فعله مايلي : ((أن يأتي فرنسي ليحضر تجمعا مغاربيا ليأتي في الحقيقة وهو مذنب . وأن الشعب المغربي هو شعب مضطهد (...) ان فرنسا تضطهده ولكن ليس الجماهير بالفعل ، لقد كلموكم كثيرا عن فرنسا بأنها بلد الحرية وكان ذلك في كل المرات عندما يتعلق الأمر بمواجهة الأجانب . كل هذا كان من أجل مخادعتكم . فكثير منكم من مات في سبيل الامبريالية في الوقت الذي كان يعتقد أنه مات من أجل الحرية (...) انكم تتهمون فرنسا بنفس هذه العملية (الامبريالية) وتشتكون منها كذلك (...) لذا وانتم تصارعون من أجل حريتكم انما تصارعون من أجل حرية بني الانسان ومنه من أجل حريتنا نحن أيضا . ولست أدري كيف نكون جديرين بمطالبة حريتنا مادمنا لا نستطيع القول أنه : " لا وجود لرجل واحد على وجه الأرض هو مضطهد من جراء تصرفاتنا "))(٢) .

لقد تأسس حزب " التجمع الديمقراطي الثوري " الذي اختار " الحياد " نهجا له عام ١٩٤٨ ، ومع مطلع نفس السنة دق ناقوس الخطر القادم من الشرق حيث تمكن " جوتوولد كليمنت Gottwald Klement " من الاستيلاء على الحكم بالقوة في تشيكوسلوفاكيا مدعما بالاتحاد السوفياتي . وكما كان منتظرا . فقد أثار هذا الانقلاب سخطا لدى الغرب ووصل الأمر في فرنسا الى حد التحدث عن احتمال غزو روسي لفرنسا . وفي مقابل انحياز الحزب الشيوعي الفرنسي الى روسيا من جهة وتحيز بعض الشيوعيين الأحرار الى جانب

---

1) La gauche, N° 2, Ier-I5 JuinI948, Citée par: Burnier(Michel-Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 68.

2) La gauche, Octobre I948, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980 P.P 400-407.

البرجوازية من جهة أخرى، اتخذ سارتر من هذه القضية موقفا حياديا وكان من جملة تحركاته النداء محاضرة رفقة زملائه يقول فيها على وجه الخصوص : ((يبدو أن الكثير من الأوروبيين قد اختاروا منتصريهم . اننا نعيش حالة حرب أوجدها بالقوة التدخل الأجنبي . من هنا " فالتجمع الديمقراطي الثوري " يرفض أن يكون في صف أحد المعسكرين بتخويف من أحدهما . فالتجمع يريد أن يقضي على التسمم في العلاقات ويريد أن يقيم علاقات مع كل التجمعات الديمقراطية الاوروبية وذلك رغبة منه في جعل أوروبا في رأس السلام))(١). وما يفهم من هذا التدخل السارتري هو رفض الوصاية بجميع أنواعها والتدخلات بالقوة من طرف الدول القوية وفرض سيطرتها عليها وبالتالي ارغامها على اتباع نهجها السياسي لتصبح بعدما مجرد بيدق في يد لاعب شطرنج .

بيد أننا نسجل ، ورغم هذا النداء الموجه الى الحرية ، ومع نشوب الثورة الكورية ردود أفعال سارترية متناقضة ومتعارضة مع مبادئه الفلسفية والسياسية معا . ان عام ١٩٥٠ عموما كان بالنسبة الى سارتر عبارة عن مرحلة سياسية امتازت بالتردد والغموض . وتردده هذا يكمن في أنه في الوقت الذي نجده (سارتر) يدين ويندد بوجود المعتقلات العسكرية بالاتحاد السوفياتي : ((لا يمكننا أن نصرح بوجود نظام اشتراكي في الاتحاد السوفياتي اذا كان هناك واحد من عشرين ١/٢٠ موجودا بالمعتقل))(٢) ويرفض أيضا أن يمضي " نداء استكهولم " ، في الوقت هذا نجده يتحفظ ، ان لم نقل يقاطع، اتجاه موقف " مارلوبونتي " واندلاع الثورة بين " الشمال " الكوري الموالي للنظام الشيوعي والجنوب الكوري المعارض له . ووقتها تدخل الاتحاد السوفياتي لقمع المعارضين ولما كان الكوريون الشماليون يدخلون الى كوريا الجنوبية اغتنمت الولايات المتحدة الأمريكية فرصة وجود جيش الأمم المتحدة بقيادة " ماك أرتير " (Mac Arthur) - لتتدخل بالطائرات الحربية ومن ورائها المشاة الأمريكية المسلحة . وكان منتظراً بعدما حدث أن يكون موقف " مثلة الأزمنة الحديثة " وعلى رأسها سارتر موقفا محايدا غير أنه

---

١) Franc-Tireur, II mars 1948, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 393.

٢ Beauvoir(S.de), La force des choses I, P 280.

فاجأنا وهو يعارض اقتراح " مارلوبنتي " في هذه القضية . يقول فرانسيس جانسون : ((كنت يومها مدير مجلة الأزمنة الحديثة وكنت أخطر مع مارلوبنتي وهو يؤدي عمل كرئيس تحرير . وأثناء جلسة من جلسات الحلوالتي كنا نهدف من ورائها الى تحديد الخطوة العريضة الكبرى للعدد القادم من المجلة ، غمرتنا الدهشة ونحن - سارتر ، سيمون دي بوفوار وأنا - نسمع مارلوبونتي يشرح لنا بأنه قد أصبح عاجلا أمر تبليغ الجماهير بمدى " ارتياحنا " لسماع خبر تدخل الولايات المتحدة الأمريكية وهذا مهما كان عداؤنا الايديولوجي للامبريالية الأمريكية ، وكذلك ينبغي علينا أن نكون " صرحاء " مع قرائنا وذلك بالادلاء لهم عن تصرفنا " الواقعي " تجاه هذه القضية . ثم يواصل " جانسون " حديثه ليبين لنا مدى رفضهم فكرة " مارلوبونتي " فيقول : " لم أعد أذكر أي ثالث ثلاث كان السباق الى الافصاح عن رد فعله ، لكنني أتذكر جيدا دقيقة الصمت التي سبقت الافصاح، وهذا لأنه لم نكن نتصور أن سياسة " ترومان - Truman " ، وعلى وجه الخصوص في آسيا ، ستكون أحسن ضمان لمستقبل الانسانية عوض سياسة " ماوتسي تونغ "))(١) .

وأمام هذا الصمت تعجب الكثير من أصدقاء المجلة وبعض المجلات الأخرى وأعلنوا أسفهم تجاه هذه المجلة التي لم تعد - في رأيهم - تساير الأحداث . وأمام هذا المأزق لم يكن أمام " مارلوبونتي " الا أن يلجأ الى تجاهل الفكرة السياسية معلنا أنه : ((مادام الرشاش يتكلم فما علينا الا أن نلتزم الصمت))(٢) .

لا شك أن سارتر من وراء هذا الموقف على العموم كان يفضل نفوذ الاتحاد السوفياتي على نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية أو بعبارة أخرى فان سارتر قد اختار يومها الصمت لأنه كان يعتقد بأن مستقبل الانسانية مرهون بالشرق لا بالغرب ، والا كيف سنفسر ماقاله " جانسون " : ((لأنه لم نكن نتصور بأن سياسة " ترومان " ، وعلى وجه الخصوص في آسيا ، ستكون أحسن ضمان لمستقبل الانسانية عوض سياسة " ماوتسي تونغ ")) . .

---

١) Jeanson(Francis), Sartre dans sa vie, P 180.

٢) Beauvoir(S.de), La force des choses,I, P 318.

ولم تكن يومها لتعد الولايات المتحدة الأمريكية دولة امبريالية فحسب في نظر البعض أو الاتحاد السوفياتي في نظر البعض الآخر بل هناك من الدول الأخرى من كانت نهجت نفس السياسة الامبريالية نذكر من بينهم فرنسا التي كانت وقتها مستعمرة عددا كبيرا من الدول الضعيفة . فماذا عن موقف سارتر تجاه هذه الدولة الاستعمارية ؟ هل كان موقفه مساندا أم معارضا له ؟ أم أنه التزم الصمت أو فضل الحياد ؟

لقد تم تأسيس مجلة " الأزمنة الحديثة " من طرف جان بول سارتر وبعض مساعديه عام ١٩٤٥ ، وكان من أهدافها الرئيسية هو الدفاع عن الانسان الحر حيثما كان . ومن هنا لم يكن مجال تحركاتها على المستوى الداخلي فحسب بل تعداه الى ماوراء الحدود الفرنسية وذلك ايمانا منها بأن الفرد الفرنسي لا يمكنه أن يكون حرا الا اذا كان الآخرون أحرارا .

ومن هذا المنطق ، ومع فجر صدورها كان لها مواقف سياسية جد انسانية ومن بين هذه المواقف نشير هنا الى موقفها من الثورة الهند الصينية . فمع نهاية عام ١٩٤٦ وباسم جميع ممثلي هذه المجلة كتبت تقول : ((الأخبار المتبورة أو الشاعات القادمة من الهند الصينية ، ومن خلال عناوين الجرائد المعبرة عن نزعة حربية قديمة أو الموحية بحالة مؤلمة . وأمام الذوق السارى للأخبار المؤثرة ، فاننا نقرأ كلمات " السخط " (...) " والرفض " والتي وحدها تستطيع أن تميز احساسنا)). وتواصل المجلة حديثها لتخاطب الدولة الفرنسية فتقول : ((اذا كنا فعلا قد وصلنا الى مرحلة من الحرب حيث التراجع أصبح غير ممكن ، واذا أصبح لدينا خيار فقط بين فرض بقائنا بالسلاح أو الانسحاب ، فالافضل هو أن ننسحب (...) انه لا يتصور وبعد أربعة سنين من الاستعمار أن الفرنسيين لا يعترفون بعد على الوجه . الذي هو وجههم اليوم في الهند الصينية ، ولا يرون بأنه هو نفسه وجه الألمانيين الذين كانوا في فرنسا))(١) لقد عاش أفراد هذه المجلة ومعظمهم مآسي الحرب النازية في بلادهم وذاقوا حرارتها وما جرته عليهم من وحشية واستبداد ، ورأوا الى أى مدى وصل بهم الحقد تجاه هذا المستعمر النازى والى أى مدى وصل رفضهم له ،

---

(١) Les Temps modernes, N°I5, Decembre 1946, Citée par: Burnier(Michel Antoine) Les Existentialistes et la politique, P 39.

وعلى أسس هذه الحقيقة التاريخية الفرنسية المطالبة بنى أفراد المجلة موقفهم هذا تجاه موقفا رافضا الوجود الفرنسي الوحشي بالهند الصينية وطالبا اياه بالانسحاب .

وتؤكد سيمون دى بوفوار من جهتها هذا الموقف المتخذ من طرف مجلة " الازمنة الحديثة " مبينة في نفس الوقت بواعثه وأبعاده خاصة بعد الأزمة الاقتصادية والسياسية التي آلت اليها الحكومة الفرنسية فتقول : ((بالرغم من مساعدات مارشال وبالرغم من نمو في الانتاج وحصول جيد فان الأسعار قد تضاعفت ما بين صائفة عام ١٩٤٧ وهذا الخريف من عام ١٩٤٨ ، ولم يسبق أبدا للقوة الشرائية للعمال أن عرفت تدهورا مثل هذا الحد العنيف (...) ومنذ عام ١٩٤٧ ، ومجلة " الأزمنة الحديثة " تندد بحماقة وفظائع هذه الثورة))(١).

أما نشاط سارتر فهو لم يقف عند حد المعارضة باسم المجلة بل سلك سبلا أخرى منها أنه قاما هو و" بوردي - Bourdet " بتمرير عريضة (Petition) من أجل السلام في الهند الصينية وهي العريضة التي كانت قد عرضت على " ألبار كامو " من طرف " فان شي Vanchi "(٢) وذلك بعد أن أقيم تجمع كان قد حضره " كامو " وتكلم فيه عن السلام لكنه : ((رفض أن يمضي العريضة قائلا : " لا أريد أن ألعب لعبة الشيوعيين "(..) أما سارتر فكان يرى أنه بالمكافحة ضد كل الحروب ، الواحدة تلو الأخرى ، يمكن لنا أن نعمل من أجل السلام العالمي))(٣) وقد كان لهذه العريضة المقدمة تحت عنوان " من أجل السلام في الهند الصينية " والمطالبة بالحوار مع " هوشي منه " صدى كبير الشيء الذي دفع بمجلة " اليسار " الى أن تكتب مقالا بتاريخ ١١ فيفري ١٩٤٩ تحت عنوان :((الشعب الفرنسي كله ضد الحرب العفنة (أو المتعفنة)))(٤) وفي عام ١٩٥٠ ألقت السلطات الفرنسية القبض على الجندي البحار الشيوعي " هانري مارتن " وذلك لسبب أنه كان يكتب ويعلق

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P 239.

٢) Attache culturel à la délégation du Viet-Nam.

٣) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P 239.

٤) La gauche, N°I2, II Fevrier 1949, Citée par: Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 72.

المناشير ضد الحرب الهند الصينية وحكم عليه بخمس سنوات سجن وفي عام ١٩٥١ قام الحزب الشيوعي بحملة احتجاجية من أجل اطلاق سراحه ويومها تم الاتصال بسارتر الذي لم يتردد وأمضى على اثرها طلبا قدمته مجموعة من الشخصيات الشيوعية الى رئيس الجمهورية " فانسون أوريول V. Auriol " تطالب فيه العفو عن البحار " هانري مارتن". وفي جانفي عام ١٩٥٢ وبخصوص نفس القضية تم استقباله (سارتر) من طرف رئيس الجمهورية وعند خروجه من قصر الإليزي صرح يقول : ((ان أمر " هانري مارتن " هو أمر يعكس حيرة واهتمام كل الشباب داخل مجتمع لم يعودوا يوافقون عليه وعندما يصبحون هم في احتكاك مع مبادئ وطموحات تؤدي الى أوضاع مغايرة للتي نريد أن نفرضها عليهم))(١) .

وبعد هذه المحاولات وتحت ضغط الجماهير تسم اطلاق سراح الجندي هنري مارتن. ولم يرفض سارتر مرة أخرى عندما عرض عليه المشاركة - من طرف الشيوعيين - في نشر كتاب جماعي(٢) يحوي الوثائق والمقالات المتعلقة بهذه القضية . والغاية من هذا العمل هي التنديد في نفس الوقت بالسياسة الاستعمارية في الهند الصينية وبالأخطاء الناتجة عن تصرفات الحكومة الفرنسية . وهنا نقف لحظة لنتساءل عن سر هذا التجند السارتري اللامشروط ؟ وعن هذه العفوية تجاه بعض المواقف خاصة لما تعلق الأمر بقضية " هانري مارتن " ؟ لا شك أن الكل يتفق على أن هذه القضية هي قضية رمزية تخفي وراءها أسبابا جوهرية جعلت من سارتر ذلك السياسي الذي لا يتأخر عن أن يكون من المتطوعين الأوائل .

ولعل أولى الأسباب التي تنكشف لنا من خلال تتبعنا هذه القضية والتي جعلت سارتر يسابق الزمن من أجل أن يتخذ موقفا يكون لصالحها هو أنه كان في القبض على هذا البحار الشيوعي سلب لحريته بطريقة غير عادلة ، وسارتر كونه رمز الحرية في فرنسا فهو لم يعد يملك عندها غير التصرف بعفوية خاصة وأن هذه القضية اذا ما عولجت من هذا المنظور فهي تعكس لنا مثالا حيا من مجموع فلسفته الوجودية .

---

١) Action, 24 Janvier 1952, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980,P424

٢) " L'affaire Henri Martin ", Commentaire de Sartre(J.P),texte de Bazin(Herve) Domenach (J.M), Jeanson(Francis), Gallimard, Paris, 1953, P 289.

أما السبب الثاني فهو يندرج تحت موقفه الرافض للسياسة الفرنسية خصوصا في الهند الصينية ، مع العلم أن : ((الأخبار القادمة من الجبهة القتالية الى فرنسا تكشف عن قوافل عسكرية فرنسية تعيش وضعا انهزاميا أمام صلابة وتفاني " هوشي منه " ورجاله))(١)

وأما السبب الثالث والذي يبدو أكثر عمقا في اعتقادنا هو أن سارتر قد وجد فرصة في هذه القضية ليتقرب أكثر من الحزب الشيوعي الفرنسي ، ومن المؤشرات التي كانت توحي الى هذا التقرب هي أن " مجلة الأزمنة الحديثة " كانت تمارس سياسة تتماشى وسياسة الحزب الشيوعي اذ عملت على نقد السياسة الغربية لما بعد الحرب وبنفس الحدة التي كان الحزب نفسه ينتقدها بها . بالرغم من أننا لا ننفي أن لممثلي الوجودية السارترية كانت لهم هجومات ومواقف نقدية تجاه اليسار الا أننا نلاحظ على العموم أن مواقفهم واتجاهاتهم كانت تحدد على أساس يسار فرنسي - سوفياتي وهذا اعتقادا منهم بأن : ((السياسة الحقيقية المناهضة للأمبريالية والرجعية لا يمكن لها أن تقوم الا على أساس تغيير الحزب الشيوعي واليمين الفرنسي ، ومن هنا وفي المقابل كانت علاقتهم بالحزب الشيوعي هي التي كانت في الواقع تقيم لهم القاعدة السياسية والنظرية اللازمة لحركتهم النضالية))(٢) . (وأما ما جعلنا نعتقد أكثر في أن السبب الثالث هو الأعمق)

ولعل مايزيد السبب الثالث أكثر تأكيدا هو شهادة سيمون دي بوفوار والتي هي من أقرب الناس اليه اذ تقول : ((خلال تلك السنة ، طلب الشيوعيون من سارتر الانضمام الى اللجنة المكونة من أجل تحرير " هانري مارتن " والمشاركة في تأليف كتاب يكشف أبعاد هذه القضية ، فقبل الأمر (...) ووقتها كان سعيدا نتيجة التقارب الذي حدث بينه وبين الحزب)) وتقول أيضا : ((ان الظروف كانت قد اقنعته بأنه ليس ثمة طرق تؤدي الى " اليسار " غير طريق التحالف مع الحزب الشيوعي))(٣) . ومن هنا يبدو أن سارتر وهو يعيش هذه المرحلة أنه فعلا قد وصل الى نفس المرحلة التي كان قد وصل اليها بطله " غوتز أوجوته " في مسرحية " الاله الخير والشيطان " : لقد أصبح ناضجا لأن يقبل عملا جماعيا دون أن يتجاهل حريته .

---

١) Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P425.

٢) Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 46.

٣) Beauvoir(S?de), La force des choses I, P.P 357-358.

وهكذا لاحظنا أن كل مواقف سارتر أصبحت تتم باسم العداء للولايات المتحدة الأمريكية والولاء للاتحاد السوفياتي وهو الأمر الذي يؤكده مرة أخرى تدخله في التجمع من أجل السلام في الهند الصينية بتاريخ ٥ ماي ١٩٥٣ . وبعد أن تكلم عن عدم جدوى الحرب والتقتيل الذي لافائدة من ورائه أضاف يقول : ((انه في وسعنا أن نتساءل اذا كان مهما جدا أن نقوم بالحرب من أجل أن لا نسلم الهند الصينية الى " هوشي منه " والى " ماوتسي تونغ " في الوقت الذي يعتقد فيه ، كما هو معلوم ، أن سلاما ناجحا لا يتم الا اذا سلمت " لباوداي " " Bao Daï " للأمريكيين . انه يبدو لنا على كل حال ، بأننا موجودين خارج اللعبة ، ومن هنا فاننا نسعى الى قتل رجالنا ورجال الهند - الصينية من أجل اللاشيء من أجل الريح))(١) اذ أصبح الأمر جليا أن سارتر عندما ناصر كلا من " هوشي منه " و " ماوتسي تونغ " يكون قد ناصر في حقيقة الأمر الحزب الشيوعي الفرنسي أولا ثم الاتحاد السوفياتي ثانيا والا ماذا كان يكون لو كان " هوشي منه " أو " ماوتسي تونغ " يحارب من أجل تحرير بلاده لكن باسم حزب غير الحزب الذي ابتغاه سارتر ؟!

وللاجابة على هذا السؤال فاننا نعود الى ما أجاب به سارتر أحد الصحافيين وهو يحاوره بمناسبة صدور الكتاب الجماعي المؤلف حول قضية " هانري مارتن " : HENRI M. سارج مونتيجني S.Montigny : ((ان قضية " هانري مارتن " مثلها مثل قضية " روزنبارغ " ، وعليه فالصحافي يطرح هنا القضية على أساس أنها مشكلة حكومة جائرة فهل تعتقدون أنتم بأنه يجب علينا محاربة هذا الظلم فقط في المعسكر الغربي ؟))

- يجيب سارتر : ((ليس ذلك مطلقا ، واننا نستطيع محاربته في كل مكان وحيث نستطيع القيام بهذا العمل بفعالية . وهذا لايعني بأنه يجب علينا أن نحاربه في كل مكان وبنفس الوسائل . وسواء شئنا أم أبينا ، ومهما كان موقفنا من الولايات المتحدة الأمريكية ، فاننا ننتمي الى " معسكر " أي يعني الى منظمة معقدة))(٢) ولا نظن أن يكون هذا المعسكر الا الشيوعي عند المعسكر وأن كل من عادى هذا المعسكر فهو في نظر سارتر يكون قد عادى الحرية الانسانية ومستقبلها .

---

١) Sartre(J.P), Defense de la paix, Juin 1953, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 445.

٢) Combat, Samedi 31 Octobre-Dimanche 1er Novembre 1953, Citée Par: Cohen-Solal (Annie), ~~Les Existentialistes et la politique, P 449.~~ Sartre 1905 - 1980, P 449.

ولكي تتضح لدينا مواقف سارتر تجاه القضايا التحررية في العالم أكثر وتتضح لنا بواعثها وأهدافها نحاول أن نتتبع الآن ردود فعل سارتر وهو يرى الاتحاد السوفياتي يغزو المجر عام ١٩٥٦

فبعد " براغ" Prague ، جاء دور " بودابست" لترى دبابات الجيش الأحمر تدخلها في ٤ نوفمبر ١٩٥٦ . وأمام هذا الوضع الخطير تحرك الرأي العام وتحرك معه سارتر لكنه هذه المرة يبدو أنه لم يكن ليباري الاتحاد السوفياتي في جريمته هذه وانما ليقف عقبة في طريقه . فما نوع هذه العقبة ؟

ان الجزء الرابع من " الشيوعيون والسلم " كان قد صدر لكن ليس كما كان منتظرا بل تحت عنوان " شبح ستالين " وهو الجزء الذي كان قد نشر مباشرة عقب التمرد المجري في وجه الغزو السوفياتي . وتدخل سارتر هذا جاء ليقول : ((انني أندد بقوة وبدون تحفظ بالغزو السوفياتي . ودون أن أحمل الشعب الروسي مسؤولية التعدي ، فانني أأكد بأن حكومته الحالية قد ارتكبت جريمة (...) والجريمة ، بالنسبة الي ، لا تعكس فقط الهجوم على " دابست" بالدبابات ، بل لأن هذا الهجوم كان قد أصبح محتمل الوقوع (...) وذلك بعد اثنتي عشرة سنة من الرعب والحماقة . (...) واليوم نحن نعود الى المعارضة (...) ، فمصادرنا الثقافية والمقروءة من طرف المثقفين ، فاننا نحاول مساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي على التخلص من الهيمنة الستالينية))(١) .

والدقيقة هنا هي أنه اذا كان قد أدان وبشدة التدخل السوفياتي في المجر فان ادانته لم تكن موجهة للشيوعيين السوفيات وانما كانت موجهة الى النزعة الستالينية ومن هنا نجد أن معارضته هذه جاءت لتقول : لا للحزب الشيوعي الستاليني حيثما كان . ويؤكد هذا سارتر نفسه وهو يحاور " ميشال أنطوان بيرني " عام ١٩٦١ فقال له : ((ان ماحدث في في بيدابيست كان حدث تعدي وحرب . وكان المتعدي وقتها بلد الإشتراكيا وبتعديه هذا كان قد تعارض كلية مع بنية الاشتراكية ذاتها ومع مبادئها))(٢). ان سارتر وهو ينظر الى هذا

---

١) L'express, 9 Novembre 1956, repris in: Situations VIII, Gallimard, Paris, 1965, et Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 466.

٢) Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P II4

التحدي انما كان ينظر اليه من خلال الحكومة الستالينية وجيشها الأحمر لا من خلال عمالها وكان يرى من خلال هذا التحدي إفلاسا تاما للاشتراكية الستالينية ولكل اشتراكية مستوردة من الاتحاد السوفياتي .

ولكن ورغم كل التصادمات المتوالية بين الوجودية السارترية والشيوعية عموما وسواء ضاقت أو اتسعت الفجوة بينها وبين الحزب الشيوعي الفرنسي ، فان هذه الوجودية ترى أنه ليس لها حركة أخرى تنقض بها فرص تحرر الانسان غير حركة تقوم داخل الشيوعية ذاتها . ولهذا السبب رأينا كيف أن مواقف سارتر من القضايا التحررية الى حد الآن ، سواء كان المعتدي يمينيا أو يساريا ، لم تتم الا في هذا الاطار ولم يكن منظورا اليها الا من هذه الزاوية . وبعد " بيدابست " يواصل سارتر صراعه ضد كل هيمنة استعمارية وكانت هذه المرة وقفته وبكل قوة الى جانب الثورة الفيتنامية على وجه الخصوص . فبعد الاستعمار الفرنسي وحادثة " ديان بيان فو " التاريخية والتي جاء فيها على وجه الخصوص : ((لقد حاولوا ، وبدون جدوى ، التحايل مع التاريخ والهروب من الحقائق (...) فعندما تقهر قوة استعمارية من طرف مقاومة وطنية ، وعندما تهزم جيوش محترفة من طرف الجيش الشعبي ، وعندما ينتهي صراع ، غير متوقع ، الى الكارثة ، فان هذه النهاية تكون سليمة وأن هذا الانهزام يكون عادلا))(١) . فبعد هذا كله يضاعف نشاطاته ومن أبرزها تسجل التزامه في محكمة " راسل " واشتراكه بكل جدية في مجلس ادارتها وهذه المرة للوقوف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية وادانتها وبشدة في حربها المدمرة مع الفيتنام ، ومن ثم التنديد بكل جرائمها في هذه المنطقة والتي هي امتداد للجرائم الفرنسية من قبلها . وقد تمت هذه الادانة في جلستيها في كل من استوكهولم وكوبنهاغن من عام ١٩٦٨ .

وقد ذهب سارتر الى حد اعتبار كل مثقف يقف ضد المسيرة الاشتراكية بأنه مزيف : ((ولقد قال فيتنامي لمثقف فرنسي مزيف ، عضو في تلك الحركة - وهي حركة وطنية عالمية من أجل السلام العام - : ((على رسلكم - ابدأوا اذن بالمطالبة بالسلام لفيتنام ما دام

---

١) Le rendez-vous de " Dien-bien phu ", Editorial signé T.M, in Les Temps modernes, N°IO2, Mai 1954, P.P I92I-I923.

القتال يدور هناك .)) فأجاب الآخر : " هذا من رابع المستحيلات . لو فعلنا ذلك لكان هذا تحججا منا للشيوعيين ")). ويقابل سارتر هذا الموقف بموقف مناهض له تماما يراه من طلب المثقف الحقيقي فيقول : ((أما المثقف الحقيقي فهو بعيد (عن موقف المثقف المزيف) نظرا الى نزعته الجذرية ، عن أن يكون أخلاقيا أو مثاليا : انه يعلم أن السلام الوحيد الحقيقي في الفيتنام سيكون ثمنه الدموع والدماء ، ويعلم أنه يبدأ بانسحاب القوات الأمريكية وايقاف عمليات القصف ، أي بهزيمة الولايات المتحدة الأمريكية))(١) .

لا شك في أنه قد بات واضحا أن المواقف السارترية السالفة الذكر والمساندة للثورات التحررية في العالم هي مواقف قامت أساسا على مبدأ اشتراكي حر وكما أرادها سارتر أن تقوم . وعلى ضوء هذا كله نخلص الى السؤال التالي : ماهو موقف سارتر من الثورة الفلسطينية ؟ هل وقف الى جانب الثورة الفلسطينية بوصفها ثورة كباقي الثورات التحررية السالفة الذكر تسعى الى استرجاع حريتها أم أنه ساند الوجود الاسرائيلي في فلسطين ومن ثم اقامة دولة له على حساب الأرض الفلسطينية ؟ وفي الأخير الى ماذا استند سارتر في موقفه هذا ؟

ان أزمة الشرق الأوسط القائمة اليوم والناتجة أساسا عن الصراع القائم بين الفلسطينيين واليهود لم تكن من قبل لتصل الى درجة الأزمة لو لا وعد " بلفور " المشؤوم ، وانما كانت تطرح وقبل ١٩٤٨ وعلى غرار القضايا الاستعمارية الأخرى على أساس أنها قضية استرداد حق شعب مهضوم من طرف الدولة البريطانية .

لقد كانت بداية سارتر مع القضية الفلسطينية وقبل صدور " تأملات في المسألة اليهودية " وبشهادة " سيمون دي بوفوار " بداية مفكر يساند قضية عادلة فكان أن قدم محاضرة عام ١٩٤٧ دعم بها " اللجنة الفرنسية من أجل فلسطين حرة " وهي المحاضرة التي لم تحضرها سيمون دي بوفوار لأسباب أمنية غامضة كما تقول هي : (((...) ولم أحضر حتى المحاضرة التي قدمها سارتر حول "كافكا" وكانت لفائدة اللجنة الفرنسية من أجل فلسطين حرة))(٢) .

---

١) جان بول سارتر ، دفاع عن المثقفين ، ص ٤٦

٢) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P I82.

أما العلاقة السارترية اليهودية فقد ظهرت الى الوجود مع ظهور كتابه "تأملات في المسألة اليهودية هي في نظر الكاتب" مسألة انسانية " ابتكرها الخيال " اللاسامي" " Antisemiste " . واذا كان " اللاسامي " في نظر سارتر يكره اليهودي، فهذا لأن تجربته تكون قد كشفت له بأن العنصر اليهودي هو عنصر سيء وخطير وذلك انطلاقا من الحسابات والعوامل التاريخية . وكل هذه السوابق أدت باللاسامي الى أن يصير حقودا على اليهودي لدرجة أنه : ((هدام بحرفته ، سادي، مليء قلبه ، فان اللاسامي صار مجرما الى حد أعماق قلبه . وان مايتمناه وما هو بصدد تحضيره هو موت اليهودي))(١) .

اذا كانت مواقف اللاسامي تهدف الى سلب اليهودي انسانيته ولم تبق فيه الا الصفة " اليهودية " الموازية للغدر والخداع فان الديمقراطي في نظر سارتر لا يقل درجة عن اللاسامي لكنه على العكس منه فهو يسعى الى سلب اليهودي " يهوديته " لأنها هي الصفة التي توقظ فيه " الضمير الجمعي الاسرائيلي " وهو الشيء الذي يخافه الديمقراطي بقدر ما يخاف ايقاظ " الضمير الطبقي " لدى العامل ، يقول سارتر : ((ليس هناك فرق كبير بين اللاسامي والديمقراطي . فالأول يهدف الى تحطيم انسانيته كي لايدع فيه شيئا حيا غير صفة اليهودي ، بينما الثاني فهو يهدف الى تحطيم يهوديته كي لا يجعله يحتفظ الا على انسانيته (...) وبهذا المعنى فان الديمقراطيي هو صاحب الحق على اللاسامي : فان اللاسامي هو الذي يصنع اليهودي))(٢). وتعاطفا مع اليهود يرى سارتر أنه نظرا لكون اليهودي لم يدخل التاريخ ، بالرغم من أنه ينتمي الى أقدم الشعوب ، غير أنه يملك الحكمة فانه : ((لم يعد هناك غير احتوائهم بدون تحفظ : تاريخنا يصير تاريخهم أو على الأقل تاريخ أبنائهم))(٣).

واذا كانت خلاصة هذا الكتاب تتمثل في أن اللاسامي هو المسؤول عن هذا الوضع اليهودي والذي أدى الى تدعيم مايسمى بفكرة " الڤيتو " " Ghetto " عند اليهود فان الأمر قد انتهى بسارتر الى أن يستنتج بأن حيرة اليهودي هذه ليست ناتجة عن

---

١) Sartre(J.P), Reflexion sur la question juive, Gallimard, Paris, 1954,P 58.

٢) IDEM , P.P 68-84.
٣) IBID , P 103.

نظرة ميتافيزيقية وانما هي ناتجة عن نظرة اجتماعية ، ومنه ومن أجل حل هذا المشكل فان اللاسامي هو الذي ينبغي القضاء عليه .

ومن تحفظات سارتر في هذا الكتاب أنه رأى أن اليهودي قد يهتدي الى أن يطالب وباختيار منه بأمة يهودية تملك أرضا واستقلالية . غير أن هذا التحفظ قد أصبح حقيقة تاريخية لكن ليس على أرض فرنسية بل وبعد الاعلان عن حزب صهيوني سياسي تم الاعلان عن اقامة مايسمى الآن باسرائيل فوق أرض فلسطينية . ومنذ أن تواجد اليهودي في فلسطين والمسألة لم تعد مسألة يهودية بل انقلبت الموازين لتصبح المسألة مسألة فلسطينية . فالذي كان بالأمس يستعطف الانسان الأوروبي وهو قلق على وجوده المهدد هاهو اليوم أصبح قاهرا ومغتصبا على أرض فلسطين .

يرى سارتر أن التاريخ الفرنسي لم يسجل شيئا سلبيا عن اليهود . فهم لم يقترفوا جرائم ضد فرنسا ولم تعرف خيانات خيانات ، وهو عامل من العوامل التي جعلت سارتر يتعاطف مع اليهود في فرنسا على وجه الخصوص .

واذا كانت هذه هي شهادة سارتر عن اليهود ، فان الانسان الاوروبي عموما لم نعرف عنه من قبل مثل هذه الشهادة وانما منهم من يرجع المسألة اليهودية الى تشبث اليهود بدينهم ومن ثم فللقضاء على فكرة " الغيتو " عندهم وادماجهم في المجتمع الانساني ينبغي أولا القضاء على الدين أو التخلي عليه نهائيا والتمسك في المقابل فقط بالجوهر الانساني وهي النظرة التي نجدها ونادى بها اليهودي " برونوباور " - Bauer B. •

أما ماركس فهو لم يرها لا على أساس تحرر سياسي ولا على أساس تحرر ديني وانما على أساس أنها " ظاهرة اجتماعية " اذ اليهودية ، عنده ، لم تبلغ ذروتها الا ببلوغ المجتمع البرجوازي ذروته ومنه فالغاء اليهودية لايكون الا بالغاء النظام النقدي: ((ان تحرير اليهود ، أو التحرير الانساني لليهود ، لا يؤخذ من ثم على أنه أمر يخص اليهود

وحدهم كما فهم " باور " ، وانما هو أعم من ذلك ، لأنه يغمر العالم كله اليوم ، ذلك العالم الذي هو يهودي الى الصميم*، ولقد ثبت أن العمل على الغاء جوهر اليهودية ، في حقيقته هو العمل على الغاء اليهودية في المجتمع المدني وأعني الغاء الوحشية اللا نسانية في ممارسة الحياة المعاصرة التي يتربع على قمتها النظام النقدي))(١) وهو الأمر نفسه الذي أكده في كتابه " المسألة اليهودية " اذ كتب يقول : ((وحين ينجح المجتمع في الغاء الجوهر العملي لليهودية ، وهو المتاجرة وشروطها ، فعندئذ يستحيل وجود اليهودي (٠٠٠) لأن الأساس الذاتي لليهودية (٠٠٠) يكون قد اتخذ شكلا انسانيا (٠٠٠) ان التحرر الاجتماعي لليهود ، انما هو تحرير البشرية من اليهودية))(٢) .

واذا كان جل الاوروبيين يرون في اليهودي عنصرا بشريا غير اجتماعي من أساسه ، واذا كان يرى البعض الآخر كما رأى " باور " على وجه التحديد أن مشكلة اليهودي تكمن في يهوديته كدين ، أو كما رآها ماركس كامنة في النظام النقدي فان " توينبي - "Toyonbée" يراها كامنة في الفوارق الاجتماعية والثقافية اذ يقول : ((النفور ليس ردا نفسيا تلقائيا عندما يقع البصر على الملامح الفزيولوجية ، فالمشاعر التي تثور في نفس الاوروبي عند رؤية الأنف المعقوف في وجه اليهودي لا تثور لرؤيته في وجه الرجل التركي (٠٠٠) وهذا دليل على أن نفور الغربي من اليهودي (٠٠٠) انما هو من جراء الفوارق الاجتماعية والثقافية التي أصبحت هذه الفيزيولوجية رمزا لها ودليلا عليها))(٣) .

أما اذا ربطنا القضية بالمسلمين العرب فاننا لا نرى علاقة تربط بينهم وبين اضطهاد اليهود وأن ما حدث لطائفة منهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة انما يعود ذلك في أساسه الى نقضهم العهد المبروم بينه وبينهم يومئذاك وخلاصة القول أن

---

* يقصد بها يهودية العصر أو يهودية المتاجرة وليست يهودية " السبت "

١) د/حلمي مرزوق ٠ الاسلام والفكر المعاصر ، بحوث ومقالات ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٥٨ والنص الأصلي مأخوذ من Marx and Engels . The holy family, or critique of critical critique . P I47.

٢) المرجع السابق نفسه ٠ ص ١٥٨

٣) المرجع السابق نفسه ٠ ص ١٣٩ ، والنص الأصلي مأخوذ من : Toynbée(A), A study of hist . P 272.

رفض اليهودي لذوبان داخل المجتمعات المتواجد فيها عبر العالم تجعلنا نستنتج في آخر المطاف أن العزلة اليهودية هي عزلة متأصلة فيهم قد تعود الى طبيعة عدوانية فيهم وليست أوروبية رغم نبذ بعض الفرق الأوروبية لهم والتعدد معهم ولا عربية اسلامية أصلا .

ان تعاطف سارتر مع اليهود بادئ ذي بدء كان يقوم على مبدإ وهو أن سارتر لا يستطيع ، في اعتقاده ، أن يكون حرا مادام الآخرون جميعهم ليسوا أحرارا من هنا قال في كتابه " كراريس من أجل مبادئ أخلاقيــة " والتي لم تنشر الا في عام ١٩٨٢ : ((انني أرى أناسا مقموعين (مستعمرين وبروليتاريا ويهود) . وأريد أن أخلصهم من هذا القمع . فهؤلاء المقموعين هم الذين يثيرون اهتمامي وأشعر بأنني متواطئ مع الذين يقومون بفعل القمع هذا ، وفي نهاية الأمر فان حريتي مرهونة بحريتهم ...))(١)

لقد وجد سارتر نفسه محاطا بعائلة يهودية الشيء الذي جعله دون شك يزداد تعاطفا مع اليهود وفي مناسبات عديدة بل ذهب الى حد تبني بنت يهودية جزائرية أسمها " أرليت " وكان دائما يصر على أن المعركة اليهودية هي معركة ضد " اللاسامية " . أما سيمون دي بوفوار رفيقة حياته ، وهي كذلك يهودية الأصل ، فقد وصل بها الأمر ليس الى حد كسب تعاطفه مع اليهود فحسب بل الى حد التأثير عليه وهذا بشهادة منها : ((كنا نتناقش دائما فيما بيننا مواققة وكنت أأثر عليه أحيانا))(٢) . فكان من وراء هذا كله ، في اعتقادنا ، أن رفض النظر الى الصهيونية نظرة تضعها في مصاف العنصرية .

وقد تطور موقف سارتر وتغيرت معه نظرته الى اليهودي اذ لم يعد الأمر يتعلق " باللاسامية " ولا باليهودي " اللا تاريخي " بل : ((لأنه حينما قلت (سارتر) انه لا يوجد تاريخ يهودي ، كنت أفتكر التاريخ في شكل محدد تماما : تاريخ فرنسا ، تاريخ ألمانيا ، تاريخ أمريكا ، الولايات المتحدة . وفي كل حال ، تاريخ واقع سياسي ذي سيادة مع أرض وعلاقات مع دول أخرى ...))(٣) وتاريخ اليهود في نظر سارتر هو تاريخ يتجسد في وحدة اليهود المشتتين لأنه اذا لم يكن هناك تاريخ يهودي فان هناك وحدة فعلية لليهود

---

١) Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 377.

٢) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P I5; Voir aussi: Boschetti(Anna) Sartre et les Temps modernes, P.P 240-24I.

٣) خليل أحمد خليل . السارترية ، تهافت الأخلاق والسياسة .

وأن هذه الوحدة لا ترد الى تجمع فوق أرض تاريخية وانما هي ترد الى أنشطة متنوعة وثقافة معينة ليست مشروطة فيها فكرة الوطن .

لكن ، وبعد عام ١٩٤٨ استعادت اليهودية مشروعها " الميتافيزيقي " على أرض فلسطين وتحولت على اثره الى صهيونية امبريالية قاهرة للشعب الفلسطيني فكان أن وقع تصادم دائم بين المشروعين : المشروع العربي الاسلامي والمشروع اليهودي . فماذا عن موقف سارتر بعد هذا التطور ؟

لقد قام سارتر رفقة " سيمون دي بوفوار " بزيارة سياسية الى القاهرة وامتدت من ٢٥ فيفري الى غاية ١٣ مارس ١٩٦٧ . ونظرا لأهمية هذه الزيارة قام مسئولوا جريدة الأهرام اليومية بتحضير رسمي لجدول أعمال برمج فيه عدة لقاءات مع جملة من المثقفين والفنانين " التقدميين " ومن المناضلين السياسيين والنقابيين وبعض ممثلي الطبقة العصرية الواعية والطلبة الجامعيين . وكان سارتر بالمناسبة قد تقابل مع الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي قبل أن يتحادث فيما بعد ولمدة تتجاوز الثلاث ساعات مع العقيد جمال عبد الناصر .

ولما كان معلوما أنه بعد القاهرة سيقوم بزيارة مماثلة لاسرائيل تجرأ بعض الصحافيين وطرحوا عليه عدة أسئلة دارت كلها حول القضية الفلسطينية . ولما كانت وقتها الأسئلة جد محرجة وحتى لايظهر سارتر تدعيمه لليهود حاول التخلص منها باعتماده موقف " الحياد " الضروري . بل وحتى عندما قام بزيارة الى " شريط غزة " وتحدث مع بعض ممثلي اللاجئين الفلسطينيين ورغم تلك الحقيقة المتمثلة في تشريد المواطنين الفلسطينيين من وطنهم فلسطين من طرف العدوان الصهيوني كان سارتر يلزم نفسه على أن لا يقول شيئا وتظاهر بأنه جاء في مهمة تسمح له بالسماع وجمع الأخبار لا الكلام وأخذ المواقف فقال : ((لقد جئت لأتعلم لا لأعلم))(١) ثم أخبرهم أن عددا خاصا من جملة " الأزمنة الحديثة " سيقوم بنشر موضوع حول الشرق الأوسط مع اعطاء حق الكلام لكل من الفلسطينيين واليهود على حد

---

1) Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 528.

الســـواء • وهكذا غادر سارتر القاهرة دون أن يكشف عن أوراقه ودون أن يترك ارتياحا لدى الأوساط الفلسطينية على الخصوص•

وبعد القاهرة مباشرة اتجه سارتر الى " تل أبيب " ليقضي بها أسبوعين• وقـــد قام وقتها كل من الحزب اليساري " MAPAM " ومجلة Out look باستقبال سارتر أما برنامج العمل فقد كان مطابقا لما برمج في مصر : لقاءات مع الصحافيين والجامعيين والكتاب اليساريين مع زيارة لبعض المناطق الأثارية • الى جانب هذا قدم محاضرات وعقـد لقاءات سياسية منـها لقاء مع رئيس الحكومة "زلمان شازار" " Zalman chazar " واغتنمت الصحافة اليهودية الفرصة لتشهر بالفيلسوف اذ بينت للرأي العام اليهودي أن سارتر هو صاحب كتاب " تأملات في المسألة اليهودية " وهو الأمر الذي جعله يظهر منذ لحظـــة قدومه كصديق حميم للشعب اليهودي• أما ما أثار اهتمام سارتر هو لقاؤه مع أمين الحزب الشيوعي " MAKI " "وهو موشي سوه Moshé Such " • يقول " قبريال كوهن " والذي كان حاضـرا يومها :((ان ما أثار اهتمامنا أكثر هي النظرة السياسية والواقعية المحضة التي قدمها سارتر حول الأزمة القائمة بين اسرائيل والعرب • وقد أظهر أن له اطلاعا مذهلا حـــول القضيـة خاصة وهو كان قد قدم من مصر • لذا أظن أن كثيرا من الاسرائليين كانوا يضيعـون أوقـاتهم في شرح أمور له كان يحفظها عن ظهـر قلب))(١) •

وفي الختـام انهى سارتر زيارته بلقاء مع الصحافة وهو يسئل عن حق الوجـــود للدولة الاسرائيلية وعن مصر ومفهومها للحرب قال :((ان موقف مصر يتلخص في المطالبـة بشيء ، هذا الشيء هو عودة اللاجئين الفلسطينيين الى بلدهم وهو الشيء الغير مرغوب فيه هنا• فمن هنا موقف مصر هو موقف مطالبة قد يفترض حتى فكرة الحرب • وان كانت هـذه الفكرة لم تثر أمامي الا بدرجة جد أقل فانها قد أثيرت على مستوى بعض الفلسطينييـن • بينما هنا في اسرائيل ليست هناك مطالب أخرى غير المطالبة بالاعتراف الرسمي باسرائيل من طرف مصر ، هذا يفترض بأنهم يريدون السلام طبقا للحالة الراهنة وبعبارة أخرى فـــان

---

١) Temoignage de Gabriel Cohen dans le Matin, 27 avril 1980, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 531.

ارادة السلام اليهودية تريد شرطا مسبقا وكذا الأمر بالنسبة الى مصر اذ لا تريد التفاوض لكن في جميع الحالات فاذا ما قوبل هذا الشرط ، فان هذا سيترتب عليه موقف عدائي. ولا أدري اذا كنت مفهوما أم لا ؟))(١) .

أما اليومية الأردنية " القدس " فقد قامت في اليوم الموالي بنشر رسالة مفتوحة الى سارتر من طرف شاب لاجيء اسمه خليل صواعرة جاء فيها : ((لماذا كل هذه التنازلات أمام كل هذه الأطروحات الصهيونية ؟ فهل نسيت بعد ذكرى زيارتك المؤلمة الى معسكر لاجيء غزة المحرومين ؟))(٢) وبعد أقل من خمسة أسابيع من زيارته التي انتهت في ٣٠ مارس ١٩٦٧ انفجرت حرب ١٩٦٧ والتي عرفت بحرب الستة أيام .

وفي شهر فيفري من عام ١٩٦٩ قام الصحافي " كلود شوناز " باستجواب مع سارتر حول قضية الشرق الأوسط . وخلاصة ماجاء فيه ، ورغم التطورات ، فان سارتر بقي دائما يحافظ على **موقفه المساند لحق الكيان الصهيوني** في اقامة دولة يهودية على الأرض الفلسطينية تحت تغطية ما أسماه " بالحياد " فقال : ((انني مناصر لسلم يقوم على التفاوض . وهذا في نفس الوقت لأسباب سياسية ولأنني صديق الطرفين))(٣) .

والتفاوض هذا يعني عنده أن تعيد اسرائيل جل الأراضي التي احتلتها بعد ١٩٤٨ مع الاعتراف بسيادتها وأن تطرح القضية الفلسطينية في أول لقاء للتفاوض . الى جانب هذا أن جدوى التفاوض لا تكون الا اذا كان التفاوض مباشرا بين الطرفين ودون وساطة لأنه : ((اذا اعترفت - يقول سارتر - لأبناء وأحفاد اليهود الذين هم مقيمون في اسرائيل بحق البقاء في وطنهم وليس من الواجب علينا طردهم ، فانني أعترف للفلسطينيين، وانطلاقا من نفس المبدأ بحق العودة الى وطنهم))(٤) .

وأما الاستجواب الذي قام به " أرتيروسوارز - Arturo Schwarz " فهو استجواب لايعدو أن يكون تكرارا لما كان قد قاله سارتر لا في الاستجواب السالف

---

١) Cohen-Solal (Annie), Sartre 1905-1980, P 532.
٢) Idem , P 533.
٣) Sartre (J.P), Situation VIII, Gallimard, Paris 1972, P 335.
٤) Idem , P 341.

الذكر ، اذ فيه سوى مرة أخرى بين غاصب ومغتصب وأن لكل منهما مبرراته وأنه لا ظالم فيهم ولا مظلوم . وسارتر وهو يقف الى جانب اليهود ، يقول الى مبدأ الحرية الذى طالما تغني به : انك سلاح لا تحمر الا في وجه الأعداء أما اليهود فهم أصدقاؤنا حتى وهم يغتصبون أوطان الآخرين . ؟

لقد برر كل مواقف اليهود الامبريالية ولجوئها الى الدول الامبريالية منها على وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية ، ورأى أنه شيء مبالغ فيه اذا ماوصفنا اسرائيل على أنها دولة امبريالية وذلك لان وجودها مرهون بوجودهم أو على الأقل باليهود المقيمين هناك ، كما برر بالمقابل ومن باب ذر الغبار في العيون مواقف الغرب بوجود الآلاف من الفلسطينيين المشردين خارج وطنهم ، فقال : ((بالنسبة لي فانه يستحيل في الوقت الحاضر أن نقوم بشيء آخر غير القول باستمرار ، للبعض : "انهم ليسوا امبرياليين بل هم ضحايا الامبريالية " . وللبعض الآخر : " انهم فقط مسلحون ، ولم يكن هذا الأمر من أجل التسلط العسكرى ولا لأسباب دينية وانما لأسباب أعمق))(١) . وفي الأخير نتساءل: لماذا يستمر في مساندته لليهود وتبرير مواقفهم رغم التطورات الأخيرة ؟

في اعتقادنا أن الأمر يعود الى جملة من الأسباب منها أولا ماكنا قد أشرنا اليه سابقا والمتمثل في الجو العائلي الذى كان يعيش فيه سارتر اذ جل أفراد ه كانوا من اليهود وذلك بدءا من رفيقته الى أصدقائه الى عمال جريدة " الأزمنة الحديثة " والناشرين فيها . وثانيا قد يعود الى الاعتقاد الاوروبي بأن اليهودية الحديثة هي ضحية أوروبا ، وأن على أوروبا هذه أن تتجند وراء كل مشروع يهودى وتتناسى الاوروبيون بهذا جميعهم أنه :((ينبغي أن يدرك أنصار الصهاينة ، وخاصة منهم بعض أعضاء الأحزاب اليسارية أنه ليس من العدل في شيء أن يقع عبء التفكير عن الذنب الذى ارتكبه الأوروبيون بتقتيلهم لليهود ، أن يقع ذلك العبء على الفلسطينيين))(2) .

I) Sartre(J.P), Situation VIII, P 350.

2) أحمد طالب الابراهيمي ، من قضية الاستعمار الى الثورة الثقافية ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢ ، ص ٦٥

ان قضية فلسطين هي القضية الوحيدة ربما التي لم يقف فيها سارتر الى جانب الشعب الذي اغتيلت حقوقه وطرد من أرضه وذلك بعد أن عودنا في كثير من المواقف الجريئة في الدفاع عن الشعوب المضطهدة ، والمغلوبة على أمرها وهذا مايدفعنا بالضبط الى القول بأن سارتر قد خان مبادئه وتنكر لها وهو بهذا لم يفلح حتى في أن يكون منطقيا مع نفسه .

واذا كان سارتر وهو يقف هذا الموقف الجائر يثبت لنا عن تعاطفه اللامشروط مع اليهود وموالاته لهم فهو في المقابل يكشف لنا عن عدائه الخفي للشعب الفلسطيني العربي المسلم كما يكشف لنا من جهة أخرى أن فلسطين رمز العروبة والاسلام ليست هي بولغاريا ولا الفيتنام ولا كوبا وكل من نحا نحوهم ، والى هذا يشير نبيل زكي فيقول : ((ان موقف سارتر من اسرائيل كان منذ البداية موقفا خاطئا لأنه كتب في ابريل عام ١٩٤٨ مقالا يأخذ فيه بريطانيا انسحابها من فلسطين لأن ذلك يعرض اليهود لهجوم مباشر من جانب العرب الذين يفوتونهم في العدد والعدة ، وطالب بضرورة تسليح اليهود أو السماح لهم بشراء الأسلحة لحماية أنفسهم))(١) .

---

١) مجلة الطليعة القاهرة ، عدد ابريل ١٩٦٧ نقلا عن : أحمد أبو زيد ، جان بول سارتر ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ، وزارة الاعلام ، الكويت ، سبتمبر ١٩٨١ ، ص ١٥ .

الفصل الثاني : منشورات سارتر حول الثورة الجزائرية

ان سارتر مثله مثل الكثير من المفكرين الفرنسيين الذين كانت لهم منشورات حول الثورة الجزائرية غير أن لكل وجهة نظر فيها أو لكل أطروحاته . فما هي منشورات سارتر اذن حول هذه الثورة وماهي الأطروحات التي تنطوي عليها ؟

لعل أول مايشد انتباهنا من مجموع مانشره سارتر حول الثورة الجزائرية هي مجموعة المقالات التي جمعت في كتاب تحت عنوان : " عارنا .. في الجزائر"[1] وقد صيغ هذا الكتاب على شكل ثلاثة فصول وخاتمة :

أما الفصل الأول فهو : نظام الاستعمار في الجزائر .[2]

ان المستعمر الجديد بطرقه وأساليبه الحديثة ليس مثله مثل المستعمر القديم الذي كثيرا ما اعتمد في استطانه وبقائه على القوة . ومن هنا ،وأول مايبدأ سارتر به هذا الفصل هو تقديمه لنا تحذيرا خطيرا يتمثل في أن هذا الاستعمار الجديد كثيرا ما يلجأ الى طرق وحيل جد ماكرة يضلل ويخدع بها الشعوب المستعمرة والرأى العام معا . وتضليله هذا أو خداعه يتسلل من وراء فكرته القائلة أن ثمة نوعين من المستعمرين مستعمرون صالحون (طيبون) ومستعمرون أشرار ، ومن هنا فان حالة المستعمرات انما ساءت بسبب هؤلاء الأشرار .

ولذا ، وحتى لاتقف عقبة في وجه النظام الاستعمارى الفرنسي في الجزائر وفي الوقت نفسه ترفض الانضمام الى الثوار الجزائريين يحاول هذا النظام الاستعمارى أن يعمق فيك هذه الفكرة الى درجة التحذير ويقنعك بل يخدعك بأنه : ((من أجل (المستعمرين الأشرار) حمل أفضل الجزائريين السلاح بعد أن باتوا لايطيقون هذا الوضع ،وليس من أجل المستعمرين الصالحين أو الطيبين)) .

ومتى اقتنعنا وانخدعنا وذلك بعد أن أوهمونا بأن بؤس الشعب الجزائرى مصدره المستعمرون الأشرار قلنا أن المسألة الجزائرية انما أصلا تعود الى مشكلة اقتصادية

---

١) سارتر (جان بول) ، عارنا .. في الجزائر ، تر : عايدة وسهيل ادريس ، ط ١١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٢) سارتر (جان بول) ، نظام الاستعمار في الجزائر ، عارنا .. في الجزائر ، من ص ٥ الى ص ٣٣ .

أولا وينبغي تقديم اصلاحـــات حكيمـة حتى نقضي نهائيا على المجاعة • وثانيا الى مشكلـة اجتماعية ومن ثمة علينا كمثال توفير العدد اللازم من الأطباء والمدارس • وأما ثالثـا فهي تعود الى حالة بسيكولوجيـة اذ العامل الجزائري متى شبع واشتغل وعرف القراءة فانه يقضي على " مركب النقص " تجاه " أسياده " • وبهذه الاصلاحات جميعها نجد من جديد الأخوة الفرنسية الاسلامية القديمة • وبعد هذا التضليل ينقلنا سارتر الى تضليل ثان وهو الخلط بين الاجراءات السياسية المحضة وبين ماسبق عرضه كجانب اقتصادي واجتماعي واقعي اذ لا جـدوى من أن يشترك المرء في الانتخابات اذا كان يموت جوعا • وكوضع حد نهائي لكـــــل التبريرات الاستعمـــارية ذهب سارتر الى حد تبني لما قالته جبهة التحرير الوطنـي : ((انا سنحـــارب ، حتى ولو كنا ســعداء في ظل الحـــراب الفرنسية)) ، بل عمق الفكـــرة أكـــثر ليقـــول : ((ان الانسان لا يستطيع الا أن يكون شقيا في ظل الحراب الفرنسية)) •

واذا كان سارتر لا يخفي أن معظم الجزائريين هم يعيشون في بؤس مدقع وأنهـــم فعلا في حاجة الى اصـــلاحات فان هذه الاصلاحات لا يريدها أن تكون الا من طرف الشعـــــــب الجزائري نفســه وبعد أن يسترد حريته • ومن هنا أخلص الى فكرة هي أن الاستعمار ليس هـو نتيجـــة تعدادية لألوف المـــشروعات الفردية •• بل هو نظام أقيم حوالي منتصف القـــرن التاسع عـــشر وقد دخل في طور الانهيار عقب الحرب العالمية الأولى •

وبعد أن عرفنا سارتر ببعض حيل هذا النظام الاستعماري وبأسسه التاريخيـــــة ينقلنا ليعرض علينا مجموع نواياه وخططه في شمال افريقيا على وجه الخصوص وعلى يـــــد الاستعمار الفرنسي • وكانت أول خطة هي صب ماكانت تنض به فرنسا واسبانيا من أفقر فلاحيها في الجزائر • غير أن هذه الخطة لم تنجح نتيجة الأوبئة التي فتكت بمعظمهم بعد أن جـــيء بهم الى الجزائر • ثم تلتها عملية اسكان ـ أو تضييف كما يرجح سارتر ـ عمال عاطليـــن كثيرا ما أقلق وجودهم " قوات الأمن " • لكن ، ومرة أخرى ، فان معظم العشرين ألف شخـــص الذين نقلوا الى الجزائر هلكوا بحميات الكوليرا ، أما من بقي منهم حيا فقد أعيد الـــى بـــــلاده •

وبعد هذا التردد الاستعماري في عهد " الامبراطورية الثانية " ، ومع انتشار الصناعة والتجارة ظهرت الخطة جليا اذ أصبحت النزعة الرأسمالية هي النزعة الاستعمارية ، النزعة التي كان " جول فيري " Jules Ferry قد جعل من نفسه لسان حالها وبعد أن صرح : ((ان لفرنسا التي استفرغت كثيرا من رؤوس الأموال واصدرتها الى الخارج بكميات كبيرة مصلحة في أن تنظر الى المسألة الاستعمارية من هذه الزاوية . انها قضية الأسواق ، بالنسبة لبلاد كبلادنا ، مدعوة ، بسبب من طبيعتها نفسها وصناعتها ، الى أن تصدر صادرات عظيمة .. فحيث السيادة السياسية ، تكون سيادة المنتوجات ـ السيادة الاقتصادية)) . وها هو اليوم النظام الاستعماري في الجزائر ـ يلاحظ سارتر ـ ، وبعد ثلاثة أرباع القرن ينادي بنفس ما كان ينادي به " جول فيري " وهو " العامل السياسي أولا " . ومعناه أن يجب أولا احباط كل مقاومة وتحطيم اطاراتها وكل اخضاع وارهاب ، وفيما بعد ، فقط ، يقام النظام الاقتصادي . غير أن هذا النظام الاقتصادي لا يكون منتجا الا في فرنسا بينما الجزائر ستكون مجرد سوق يعرض فيها المنتوج الصناعي . وهكذا في نهاية المطاف يكون الأمر كالتالي : البائع هو " المتروبول "(١) والمشتري هو المستعمر وأما الضحية هي أملاك المسلمين . ومن هنا بدأت الخطط الفرنسية التدميرية للشعب الجزائري . فعمدت الى تفتيت الملكية القبلية لتنتهي في الأخير بالاجراءات المعقدة والمبهمة الى افلاس جميع الملاك . وهذا ما سمح لتجار الأملاك الأوربية بشراء كل الأراضي وبثمن لقمة خبز . وكان من نتائج هذه العملية أن تم ، وفي ظرف قرن واحد سلب ثلث أراضي الشعب الجزائري . وهكذا فان النظام الاستعماري قد أصبح قائما على ما أريد له : ان الدولة الفرنسية تسلم الأرض العربية الى المستعمرين لتخلق لهم طاقة شرائية تتيح للصناع في الوطن الأم أن يبيعوا هم منتوجاتهم ويبيع المستعمرون لأسواق المتروبول ثمار هذه الأرض المسروقة .

---

١) المتروبول : تعني هنا فرنسا الأم أو الوطن الأم .

أما النتيجة الثانية لهذا النظام الاستعماري أنه قد وفر يدا عاملة جزائرية رخيصة وذلك بعد أن التهم جل الأراضي الجزائرية ومنه ، كما لاحظ سارتر ، يكون قد حول الشعب الجزائري الى بروليتاريا زراعية ضخمة . ولكنهم ، وبكل بساطة ، بدلا من أن يملكوها وجدوا أنفسهم عبيدا لمن يملكها . أما حسابيا فاننا نجد في الأخير أن المستفيد الأول هو " فرنسيو فرنسا " لأن المستعمر عليه أن يصدر ليدفع ثمن مايستورده ، بينما الشعب الجزائري فقد ذهب به الى حد احرامه حتى من غذائه الرئيسي (الحبوب) لما زرعت أراضيه بالكروم التي وصل تعدادها الى نصف مليون هكتار . وعلى اثر هذا يقول سارتر : ((فهل سترانا نطلب من الجزائريين أن يقدموا لبلادنا الشكر لأنها أتاحت لأبنائهم أن يولدوا في البؤس ويعيشوا عبيدا ويموتوا جوعا ؟)) . ويواصل بعدما سارتر عرض بعض المواقف الاستعمارية التي في مجملها لم تزد المسلمين الا فقرا والاوروبيين عموما الا غنى .

ولعل ماهو أغرب من هذا كله هو أن المستعمر لما تربع على كرسي الملكية ودخل مجال التصنيع فانه يجعل من اليد الجزائرية العاملة الرخيصة هذه أغلى مما ينبغي ! وهكذا ينتهي الأمر بنزع حتى حق العمل من السكان الأصليين ولا يبقى للجزائري ، وهو في بيته وأرضه ، وفي بلد مزدهر ، الا أن يموت جوعا . وهنا يتساءل سارتر : فأين الأمل في الاصلاحات التي تريد فرنسا في تطبيقها ؟ ثم يتبين سارتر الأمر ويؤكد أن هذا النظام لا يقبل الرحمة ، وأن فرنسا مادامت قد رفضت ومنذ الوهلة الأولى أن يكون الشعب الجزائري كتلة قابلة للتمثل فان كل ماانجز في الجزائر فهو لصالح المستعمرين ، أما عن الصحة والثقافة والتعليم فحدث ولا حرج . فعلى سبيل المثال قد بلغ عدد الجزائريين الاميين ثمانين بالمائة (٨٠٪) . ولما كانت المطالب القومية في أوروبا تعتمد دائما على وحدة اللغة ، فقد حرم على المسلمين استعمال لغتهم بالذات اذ أصبحت تعتبر لغة أجنبية منذ عام ١٨٣٠ م ... ويخلص سارتر بعدها الى نتيجة جد منطقية هي أن بؤس الجزائريين ويأسهم كانا النتيجة المباشرة والضرورية للاستعمار وأنه لايمكن ازالتهما اطلاقا مادام الاستعمار قائما . فكان أن أقر جميع الجزائريين قول ذلك المسلم : ((خطوة الى الأمام ، وخطوتان الى الخلف : ذلك هو الاصلاح الاستعماري)) .

وحتى يتحكم المستعمر في الوضع أكثر نجده قد عمل كذلك الى تجهيل الفلاحين الجزائريين من الناحية التكنولوجية وذلك حتى يحافظ على قلة انتاجه وارتفاع اسعاره ثم أن التعليم مهما كان ومن حيث أتى هو خصوصا وسيلة للتحرر. بل حتى ، كون الحكومة يمينية ، فهي - يلاحظ سارتر - ترفض تعليم فلاحينا في فرنسا بالذات . كل هذا يجعل الاصلاحات المرادة جميعها عديمة الجدوى . زد على هذا كله أن الاستعمار لم تعد له وسيلة للبقاء غير وسيلة القوة ، ونظرا لعدد أفراده القليل احتاج الى قوة المتروبول فوقع في تناقض صارخ ، فبينما الفرنسيون ينشدون الجمهورية في فرنسا نجدهم يطالبون بالفاشية في الجزائر باسم الجيش الجمهوري . ونظرا لكل هذه النتائج الجالبة للعار استطرد سارتر يقول : ((... ان الاستعمار يعمل الآن على تهديم نفسه ، ولكنه مايزال ينتن الجو ، انه عارنا ، ويهزأ بقوانيننا ويظهرها بمظهر كاريكاتوري ... وأن مهمتنا هي أن نساعده على الموت .)) والى هذه النتيجة المحتومة انتهى سارتر وبها انهى فصله هذا الرافض كل استبداد وعبودية من جهة والى كل عار من جهة أخرى .

أما في الفصل المقدم تحت عنوان " مجندون يشهدون "(١) ، فاننا نجده يحلل فيه بعض شهادات المجندين الفرنسيين في الجزائر حول الممارسة المطلقة للعنف في الجزائر ومنه يخبرنا سارتر أنه قد تم أخيرا نشر مجموعة من الشهادات عن الطرق التي تتبعها فرنسا في الجزائر لاحلال السلام وذلك في كتاب عنوانه " مجندون يشهدون " ، وفيه يكشف عن ألوان من السلب والنهب والاعتداء على أعراض النساء وأنواع من الانتقام الوحشي من السكان المدنيين ومن الاعدام بالجملة وبلا محاكمة ، الى جانب اللجوء الى التعذيب المبرح لانتزاع الاعترافات والمعلومات . ويلخص سارتر بعدما هذا في أن بلاده هي واقعة ضحية ما أسماه القانون " عملية قتل المعنويات " والحق أن قتل المعنويات انما يقوم أساسا بحط أخلاقيات شعب ما ، وهو الشيء نفسه الذى وقع مع فرنسا الاستعمارية حينما ألقت بشعبها في مغامرة عسكرية استعمارية حقيرة فكانت النتيجة أن وضعت في نفوسهم ،

---

١) سارتر جون بول ، " مجندون يشهدون "، عارنا .. في الجزائر ، من ص ٣٤ الى ص ٤٥ .

من الخارج ، شعور بالذنب الاجتماعي . أما ما أدى مباشرة الى قتل معنويات الشعب الفرنسي انما هو - كما لاحظ سارتر - الجهل : فحين يقوم الثوار بقتل أسرة أوروبية فان الصحافة لاتوفر على جمهورها شيئا من أخبار هذه المجزرة . حتى ولا صور الأجساد المقطعة ، ولكن حين لايجد محاكم مسلم أى ملجأ من جلاده الفرنسيين الا الانتحار فان الخبر يشار اليه بثلاثة أسطر " مراعاة " لحساسيتنا . ومن نتائج هذا الجهل أن وجدنا الشعب الفرنسي يعيش في غفلة تامة اذ في الوقت الذي يتماسك فيه الفرنسيون بالأيدى ويرقصون فاننا نجد في الجزائر رجالا أشداء ، جلادين لايعرفون للراحة طعما طيلة يومهم بل ولا حتى في أيام العطل والأعياد وهو الأمر الذى دفع سارتر الى القول : ((والواقع أننا لسنا سليمي الطوية . اننا قذرون .)) غير أن هذه القذارة يبين لنا سارتر بأنها لم تكن تلقائية انما كانت مستهدفة من طرف الحكومة الفرنسية لأنها كانت تريد أن تشرك شعبها في الجريمة تحت ستار جهل مزيف . لقد عرف مفسدو المعنويات ، في رأى سارتر ، كيف يخططون بدقة فاذا كان الناس جميعا قد سمعوا بما يحدث في الجزائر كما تسربت بعض الأنباء الى الصحف الكبيرة رغم كل شيء ونشرت بعض الصحف الصغيرة والشريفة شهادات مختلفة وعاد جنود يتحدثون ... فان كل هذا في حقيقة الأمر يخدم هؤلاء المفسدين وهذا لا لشيء الا لأن كل شيء يضل أو ينبت في الكثافة الاجتماعية .. ثم ينعطف الدرب وتموت الأنباء . ومتى تم هذا أصبح الشعب الفرنسي في متناول الحكومة خاصة وأن الصحافة تدعم الغطاة وتثبتها اذ تقوم بمغازلة هذا الشعب حتى تجعله يؤمن بأنه طيب وفي هذا يكمن الكذب وتبرير الكذب: فأما الكذبة الأولى هي أن يصير الفرنسيون أشباه مفسدى المعنويات ثم الانقياد لهم . وأما الثانية فتدخلهم في الشرك باللجوء الى انشاء ماأسموه " بلجنة " الحماية في الجزائر . وهنا يتساءل سارتر : ما فائدة لجنة حين تتكاثر الجرائم والمذابح في طول الجزائر وعرضها ؟ من الذى ينبؤها في مدينة الجزائر عما يجرى في الريف ؟ ومن الذى يستشيرها ؟ وفي أى شيء ؟ وهل تزويد الوزير ببضعة مستشارين سيمكنه من القضاء على هذه الأعمال ؟

وبعد أن أدى كل هذا بسارتر الى أن يرفع كل ثقة من هذه الحكومة الفرنسية ومن اللجنة المشار اليها نتيجة الطرق المستخدمة في وضعها يخلص الى التآمر القائم بين الحكومة والشعب فيقول: ((انهم جميعا مجرمون، مجرمون مرتين)). ويعلل هذا الحكم مبينا بأنه في الامكان أن تتنوع حلول القضية الجزائرية بتنوع آراء الأصدقاء. ولكن ما القول في الاعداء ملته بالجملة ؟ وما القول في أساليب التعذيب ؟ أمن الممكن الاحتفاظ بشعور الصداقة تجاه من يقرها ؟ لقد أصبح الفرنسيون من جراء هذا كله ذوا ضمائر فاسدة وهذه الضمائر هي التي تجعلهم مجرمين ، حتى أصحاب الأصوات التي اهتزت كالارغن يوم أن تدخل الاتحاد السوفياتي في المجر فهي فاسدة والا فلماذا لم تلتزم بأن تقول كل شيء للشعب الفرنسي عن نفسه خاصة اذا كانوا هم يعرفون كل شيء ولهس لهم حتى عذر الجهل . ومن هنا انهى سارتر الى العمل على افطان الشعب الفرنسي وتنبيهه الى أن ماجاء في كتاب " مجندون يشهدون " هو حقيقة (حقيقة) طالما خفيت عنه فقال : ((من أجل هذا وجدت ضروريا أن أدل الجمهور على كتاب المجندين العائدين . فهنا الحقيقة . وهنا الهول ، هولنا : فنحن لن نستطيع أن نراه من غير أن ننتزعه من أنفسنا ونسحقه)). وخلاصة القول هنا هي أن سارتر سعى الى توعية الشعب الفرنسي من غفلته المزمنة حول مايجرى في الجزائر وأن عليه أن لايصدق الأنباء والأخبار التي تفتقر الى حقائق وشهادات ودلائل، وهي أخبار في حقيقة أمرها جميعها تهدف الى التضليل والخداع وجعل الشعب الفرنسي كله يشترك في الجريمة. ومتى وجد نفسه شريكا ووقع في الفخ المنصوب صار مثلهم مجرما والمجرم لايدعمه الا مجرم. وبعبارة أخرى يريد سارتر أن يقول : ((لا لجعل الشعب الفرنسي شعبا مجرما ويكفينا عارا أن تكون حكومتنا مجرمة)). ومن أجل هذا دعا شعبه لأن يقرأ كتاب " مجندون عائدون " لأنه كتاب يحتوى على حقائق وشهادات نقلت من عين المكان ...

أما الفصل الثالث فقد خصص للجلادين[١] الذين كانوا يمارسون أبشع طرق العذاب في الجزائر. لقد عاش سارتر أيام الاستعمار الألماني ورأى أو سمع اخوانا له يصرخون نتيجة

---

١) سارتر جان بول ، " الجلادون" ، عارنا .. في الجزائر ، من ص ٤٦ الى ص ٦٦ .

العذاب المسلط عليهم من طرف المستعمر ومن هنا قال سارتر : ((... ومع ذلك فان شيئا واحدا كان يبدو لنا مستحيلا . أن يكون باستطاعتنا أن نجعل رجالا يصرخون يوما بسببنا)). ويلاحظ سارتر من جهة أخرى أن فرنسا قد عمدت في الجزائر ومنذ عام ١٩٥٨ الى التعذيب المستمر المنتظم ، ومع أن الكل كان يعلم ذلك ، من " لاكوست " الى مزارعي" لافيرون" الا أننا لم نجد ولا أحدا من الفرنسيين يتكلم عن ذلك بل حتى أن فرنسا لم تكن تحت الاحتلال الألماني أبكم مما هي عليه الآن . ولما كان كل شيء قد تم في ظل الغفلة التامة والاستسلامات غير الملحوظة فان النتيجة كانت بالنسبة للشعب الفرنسي عموما جد مفاجئة اذ يقول سارتر: ((وعندما رفعنا رؤوسنا ، رأينا في المأساة وجها غريبا ، بغيضا : وجهنا)). ثم ينبه سارتر الى أنه قد تدور الدائرة ووقتها يصبح الفاعل مفعولا به والمفعول به فاعلا فكان منه أن وضع الشعب الفرنسي جيدا أمام الأمر الواقع عندما أشار مبينا أنه اذا كانت خمسة عشر سنة كافية لتحويل الضحايا الى جلادين فذلك لأن الظرف هو وحده الذي يقرر: فحسب الظروف يستطيع أي كان وفي أي وقت أن يصبح ضحية أو جلادا . ويذهب سارتر الى أبعد من ذلك عندما يرى أن الفرنسيين قد أصبحوا أمام أنفسهم وأمام الآخرين يعكسون صوتين في صورة واحدة لهم هما ، صورتا الضحية والجلاد معا ، فيقول مستوحيا الفكرة من " بودلير " : ((نحن " الجرح والسكين ")) . ويختم سارتر قوله هذا بأن مثل هذه الوظيفة الفرنسية سترمي بهم لا محالة في حضن الحقارة ، اذ أصبحت أفكارهم جميعها تستمد من أن الانسان هو لا انساني . لكن وبعد هذه اللوحة اليائسة ، يعيد سارتر الأمل الى نفوس الفرنسيين وفي الوقت نفسه يخبر الانسان الغير فرنسي بأن سكوتهم (الفرنسيين) أمام ما يجري في الجزائر فهو لا يعني قبولهم له . ثم يقدم لنا سارتر ، وكدليل على ذلك ، كتاب " الاستجواب " لمؤلفه " هنري عليق" H . Allog . وفيه يرى المؤلف، وبدقة مدهشة ، " التعذيب " الذي تعرض له على يد الجلادين الذين اعتمدوا في ذلك على أبشع وأحدث الطرق منها اللجوء الى التعذيب بالماء وبتقنياته المعاصرة الى جانب التعذيب بالنار والعطش وماشابه ذلك . ولكي يعبر عن تعطش الجمهور لمثل هذه الحقائق يقول سارتر أنه بالرغم من العدد الهائل الذي سحب من هذا الكتاب (٢٠ألف) ورغم طبعه

....

للمرة الثانية فان الناشر قد عجز على أن يلبي الطالب ، اذ وصلت بعض المكتبات الى أن تبيع من الخمسين الى المائة نسخة يوميا • وأما عن الشهادات فيقول سارتر : ((وكانـوا يصفون لنا ساديين منحنين فوق مزق من اللحم • وما الذى كان يميزنا عن هؤلاء الساديين ؟ لاشـي • مادمنا نسكت •••))• أما "هنرى عليق ": ((فقد عذبوه باسمنا ، وأننا لنسترد بسببه بعضا من فخرنا : اننا فخورون بأن يكون فرنسيا • ان القراء يتجسدون فيه بشغف)) •

وبعد أن بين لنا سارتر كيف أن الشعب الفرنسي قد استرد بعض فخره في موقـف هنرى عليق ينتقل بنا سارتر الى مشهد ثان ليبين لنا كيف أن هذا الشعب قد ضيع البعـض الآخر من فخره مع جلادى الشعب الجزائرى فيتساءل : من هم الجلادون الذين حدثنا عنهـم " عليق " ؟ فيجيبنا بأنهم أناس مرهقون ومرعبون لكونهم مثقلون بالاعمال (التعذيـب المتواصل)، وهم أصناف : منهم الجلادون الأصغر سنا ، الذين يضطربون أمام ضحيتهم، ومنهم من هم في طور التدريب اذ لم يشتركوا بعد في العمل ودورهم المؤقت مسك المساجيـن ونقلهم •• وأما الصنف الثالث فانه ذلك الأشقر القادم من المنطقة الشمالية ، ويقـول فيه سارتر على وجه التحديد : ((يستطيع أن يتحدث عن جسات التعذيب التي أخضع لهـا " عليق " كما لو كان يتحدث عن مباراة يذكرها ويهنأ بها من غير مشقة))• والى جانب كل هـؤلاء يضاف الصنف الذى يتسلى برؤية الانتفاضات التي تعلو معذبا بالكهربا • وان كانوا لا يحتملون سمـاع ضراخه ••• وكل هذا العمل هو عمل وراثي متعاقب بتعاقب الأجيـال وسيبقى قائما مادامت الحرب قائمة،وبعد هذه اللوحة المشحونة بسادية الجلادين ينتقـل سارتر بالمواطن الفرنسي ، على وجه الخصوص ، ليبين بأنه اذا كان هناك من يعتقد أو يوهم بأن تنديدات التعذيب هذه هي تنديدات تستهدف الجيش وهذا أمر لا يخلو من الغرابـة ، فيقول : ((وينبغي أن نسأل مرة أولى وأخيرة هؤلاء الكلاب الصغيرة :" مادخل الجيش هنا" ؟ ان ما هو مؤكد أن التعذيب يقوم أيضا " في الجيش" وأن " لجنة الوقاية " لم تخف ذلـك في تقريرها لهزيل • وبعد ذلك أهو " الجيش" الذى يعذب ؟)) • ومن أجل أن يضع سارتـر النقاط على الحروف كشف عن رئيس الجلادين وبعد أن كان قد سماه المجلس الوطني كله : انه

....

السفـــاح " لاكــوست روبير" Robert Lacoste صاحب السلطات المطلقة. فكل شيء يتم من خلاله وبواسطته سواء في " بون " أو في " وهران "، بل حتى جميع الناس الذين ماتـــوا من الألم والهول في مبنى "الأبيار" وفي مقصورة "س" انما ماتوا بارادته .

ولم يكن التعذيب ليتم ، حسب بعض الاشاعات ، على مستوى الجزائر فحسب، بل نقـل الى حد سجون فرنسا ، ولعل ما قد يعطي الاشاعة مصداقيتها هو أن النائب العام الفرنسي ،في قضية " ابن صدوق " ، قد سأل المتهم جهرا اذا كان قد عذب ، وبالطبع ، وكما لاحظ سارتر، فقد كان الجواب معروفا مسبقا . غير أن سارتر هنا ، وتجنبا ربما لجعل التعذيب عقـــدة فرنسية ، راح يبرر هذه المواقف التعذيبية بسبب أن التعذيب اليوم هو وباء يكتسح العصر كله شرقه وغربه وذلك بدءا بالهيتليرية وبتعذيب" فاركاس" للمجرمين مرورا بالشرطـــة البولونية فاستالين والاتحاد السوفياتي ليضاف بعدها الى هذه الحلقة حلقة قبرص والجزائر غير أنه ، وفي اعتقادنا ، فان وجه الشبه بين جل هذه الحلقات هو ضعيف بداء . معـــلوم أن الجلادين يبررون أفعالهم التعذيبية بأن الاعترافات يمكنها أن توفر مائات من الأرواح لكن سارتر يرى في ذلك نفاقا واضحا والا كيف نفسر موقفهم من " عليق " الذي لم يكـــن ارهابيا ومن السيد " أودين " - " M . Audin " فيقول : ((أفمن أجل أرواح بشريـــة أحرقوا له ثدييه وشعر عضوه التناسلي ؟ لا : لقد أرادوا أن ينتزعوا منه عنوان الرفيـق الذي آواه - ولو تكلم ، لوضعوا شيوعيا آخر وراء القضبان الحديدية : هذا كل ما في الأمر)). وبناء على هذه المقدمات ، يخلص سارتر الى أن التعذيب هو مؤسسة سرية أو نصف سريـــة مرتبط ارتباطا وثيقا بسرية المقاومة أو المعارضة . ولعل ما كان سببا في اللجوء الـــى الاستجواب أو الاستنطاق ، في رأي سارتر ، هو كون فرنسا بعددها ومالها وأسلحتها فهي لـــم تستطيع أن تواجه جيش التحرير الذي كان يعتمد أساسا ، ونظرا لظروفه القاسية ، علـــى الهجومات الخاطفة والمفاجئة ثم الاختفاء ، ومن هنا وجدت نفسها تقارع خصما سريا صعب المنال أو القضاء عليه فلم يبق أمامها غير الاعتقال هنا وهناك وبالمصادفـــة .

...

وسارتر لايخفي وحشية الجلاد الذي يسعى الى أن يجعـل من الضحية جنسـا لا انسانيا ، جنسا مهيمنا ومنه فمن استسلم للاستجواب فلايكون قد استنطق بل يكون قد طبع عليه والى الأبد باللانسـاني. ان العلاقة القائمة بين الجلاد والضحية تتم كما لو أنهما لاينتميا ن معا الى الجنس البشري .. انه عذاب مريب ، ولعل هذا كله يعود، في نظر سارتر ، الـى ارادة الانسان في أن تكون حرة لم تكن أقوى مما هي عليه الآن ولا أعمق وعيا . وبعبـارة أخرى فانه على قدر الرغبة في الحرية كان الاضطهاد . لقد سلب الفرنسيون المسلميـن الجزائريين كل شيء وحرموا عليهم كل شيء حتى استعمال لغتهم الخاصة . ولا شك أن الغايـة في هذا كله هو أن يصبح الجزائري لا انتماء له ومن ثـم يسهل القضاء عليه جذريا ونسـي الفرنسي أنه كثيرا ما تهب الرياح بما لا تشتهيه السفن ، فيقول سارتر : ((فاذا هـم (الجزائريون) يطرحون قيمنا وثقافتنا وتفوقنا المزعوم ، واستوى عندهم أن يطالبوا بصفة الانسان وأن يرفضوا الجنسيـة الفرنسيـة)).

وخلاصة ما ذهب اليه سارتر هو أن الاوروبيين في الجزائر كانوا هم الذين دفعـوا بالجزائريين الى المقاومة ورفضهم جذريا وذلك باعتمادهم أسلوبا حقيرا سعوا من ورائـه الى تفقير المواطن الجزائري وجعله لا يتعدى مرتبة العامل الرخيص وذلك بافشائهم البطالة حتى يفرضـوا الرواتب التي يشاءون ... أما التعذيب الناشيء عن ضعف مواجهة المقاومـة ففيه تجلي الحقد البشري اذ بلغ حد العنصرية مما دفع بالأوروبي الجزائري الى الاعتقـاد بأنه جـنس متفوق على المسلم الذي يراه لايسمـو الى مقام الانسانية ، غير أن الحقيقـة ، وبهذه الكيفية، انما يراد تهديم الانسان نفسه بكل صفاته الانسانية كالشجاعة والارادة والذكاء والأمانة .. وهي الصفات نفسها التي تطالب بها المستعمر . وان كان الغضـب قد استخف بالاوروبي الى درجة أن يحتقر صورته نفسها فذلك لأنه عربيا كان قد عكس هذه الصورة..

لكن الثوار الجزائريين ومن مد لهم يد العون قد أبطلوا كل مخططاتهم وكانوا هم الصخرة الصلبة التي تحطمت عليها كل أحلامهم وهو ماجعل سارتر يرى في هنري عليق ذلـك الفحل الذي دفع أغلى ثمن من أجل حق بسيط ، من أجل أن يظل انسانا بين البشر ، وان لم

....

يكن قد فكر في هذا فان عبارته شاهدة على ذلك اذ يقول : ((واحسستني فجأة فخورا وفرحا بانني لم استسلم ، وكنت على يقين من أنني سأقاوم مرة أخرى اذا أعادوا الكرة ، وسأجلد حتى النهاية ، وانني لن أسهل لهم مهمتهم بأن أعمد الى الانتحار)). ثم يختتم سارتر كلامه بشيء من الحكمة والانصاف فيقول : ((واذا كنا نود أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكئيبة ، وأن ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم، فليس أمامنا الا وسيلة واحدة : أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام)). وبهذا فكأني أراه يقول لكل فرنسي : علينا أن ننهي نهجعليه حتى نسترد كل فخر فرنسا الذي هو في طريق الضياع الكلي ان لم نستدركه .

وقد نشر سارتر كذلك ، في مجلة الأزمنة الحديثة ، موضوعا تحت عنوان: ((نحن جميعا قتلة))(١). جاء فيه على وجه الخصوص أنه في نوفمبر من عام ١٩٥٦ قام " فرناند ايفيتو - Fernand Yveton " ، وهو عضو ينتمي الى مقاتلي جبهة التحرير ، بوضع قنبلة في محطة توليد الكهرباء بالحامة . وهي محاولة تخريبية لايمكن لنا بحال من الأحوال أن نلحقها بفعل ارهابي . وقد تم على اثرها القبض على " ايفيتون " وحكم عليه بالاعدام . وتم التنفيذ دون تسجيل أي تردد : لقد صرح هذا الرجل وأثبت بأنه لم يرد قتل أحد ولكن نحن - يقول سارتر - قد أردنا موته وتحصلنا عليها دون تقصير .

وبعد مدة قصيرة من الزمن عرضت قضية " الشركاء "، جاكلين Jacquline وعبد القادر قروجي . أما " قروجي" فهو مسؤول سياسي يقوم بالربط بين مقاتلي جبهة التحرير من جهة وقيادة الجبهة من جهة أخرى . وأما " جاكلين " فهي من بورجوازي "المتروبول" الصغار والتي أرادت أن تعيش لحظات الخطر أو المغامرة وهذا لاقتناعها بأعمال زوجها . وبعد دخولها في الحركة ، كلفت من طرف رؤسائها المباشرين في نوفمبر١٩٥٦ بأن تنقل الى " ايفيتو" التعليمات الخاصة بعملية التخريب المستقبلية . وقد لبت الطلب لأنهم قدموا لها ضمانات بأن الانفجار سوف لايحدث أية جريمة انسانية .

---

(١) Sartre(J.P), Nous sommes tous des assassins, in Les temps modernes, N° I45, Mars I958, P.P I574-I576.

ومن يعرف منطق المحاكم العسكرية فانه يعرف أنه مادام "ايفيتو" قد اعـــدم وأن قروج وزوجته هم شركاؤه فان النتيجة تكون اما العدول عن الحكم واما اعدام الزوجين لقد تم التأكيد على مثل هذه التوقعات منذ البداية : لقد طلب مفوض الحكومة رؤوس المتورطين دون أن يعيرهم أدنى اهتمام . وتمت الموافقة على طلبه . وكشفا للجور واللامبالاة يتساءل سارتر على لسان المواطن : ان مشاركة قروج عبد القادر لم تثبت ؟ وبعد؟ ان عدلنا ، في الجزائر ، يفضل اذهال العالم بقساوة أحكامه مثلما يذهله بنوعية امتحاناته التـي يدعمها . وبعد أن أثار قضية "ايفيتو" والزوجين " قروج " ، يضيف سارتر - بأنه اليـوم واذا كان مسموحا له بالتوجه الى السلطات العليا للجمهورية الرابعة ، فانه ، وبكـــل احترام ، يلفت انتباههم الى شيء هو أنهم لم يعودوا اليوم يعيشون جو ١٩٥٦ الجميـــل. فمنذ محاكمة قروج الى اليوم قد وقعت حادثة ، وبالتأكيد فهي مجرد عرقلة ، ومع ذلك يقول سارتر فانه لا يمكن لها أن تمر علينا دون أن نلفت الانتباه الى طريقتنا المتبعة فـي اعادة العدل الى أصحابه ونخص بالذكر العدل العسكري، انها حادثة ساقية سيدي يوســف : لقد تم تفجير قنابل في الساقية مثلما تم ذلك في محطة توليد الكهرباء بالحامة . فقـط هذه القنابل لم تكن موقوتة زد على ذلك أن المسؤولين لم يبلغ بهم الحمق الى درجـــة أنهم يوجهون العملية باتجاه مجرد تخريب في العتاد . فبالنسبة الى الساقية فان الوقت والعملية قســه تم حــسابهما بالدقيقة : لقد كان يوم سوق . فعلا ان ايفيتو لم يكن لـه هدف آخر غير اغراق مدينة في الظلام ، بينما هدف طائراتنا كان اغراق مدينة في المـــوت فلو أردنا الحفاظ على صرامتنا الملائكية لكان لزاما علينا ربما البحث على المجرميــن و - من يدري ؟ - محاكمتهم . ولكن لا . فان السيد" قايار M.Gaillard " قد حـــاول تغطية الحدث ... غير أن العملية لم تنجح : فالعالم كله اليوم يشاهد الاحجار وهي تدخن تحت نور الشمس . فقط فان السيد " قايار " هو نحن ، هو فرنسا ... ومن هنا صحف أصدقائنا في الخارج قد بدأت تتساءل وبكل جدية اذا لم نكن قد أصبحنا كلابا مسعورة .

....

وبعدها يتوجه سارتر الى الجمهورية متسائلا : هل كان في نية قتلنا للزوجين قروج فائدة بالرغم من أن غايتهم لم تكن لتسفك أرواحا ؟ ليختم كلامه في الأخير قائلا : ((انه يجب علينا يوميا تذكير ضعفاء العقول الذين يأملون في تخويف العالم وذلك باظهارهم باظهارهم له " الوجه المخيف لفرنسا " : ان فرنسا لاتخيف أحدا ، فهي ليس لها حتى وسائل التخويف ، لقد بدأت ترعب الآخرين فقط ، ففي نية تطبيق حكم الاعدام على الزوجين" قروج" وهذا اذا ماتم ذلك ، فانه لاأحد يرى أو يتأمل في صلابتنا الملائكية بل يفكرون فقط في أننا قد أرتكبنا جريمة أخرى .

وفي سبتمبر عام ١٩٦٠ وبعد العصيان المتكرر في الأوساط الفرنسية هنا وهناك صدر منشور لمجموعة من الكتاب الفرنسيين تحت عنوان " بيان ١٢١ "(١) والرامي الى مطالبة الجنود الفرنسيين على الخصوص بحق العصيان والتمرد على الحكومة الفرنسية للتعبير عن مقاطعتهم للثورة الجزائرية ، وكان من بين هؤلاء الفيلسوف جان بول سارتر الذى لم يكتف ، كما كان معتقدا (٢) ، بامضاء النداء فحسب بل ذهب الى حد المشاركة في تحريره وقد بُدئ النداء بحصر بعض الحقائق الخطيرة والملتبسة أولاها أن المنعطف الخطير للثورة الجزائرية ينبغي عليه أن يكشف لا أن يطمس عمق الأزمة الفرنسية التي كانت قد ظهرت منذ ستة سنين . وثانيها تتمثل في سجن واعدام الأشخاص الذين كانوا قد تفطنوا لهذه الأزمة : فمنهم من رفض المشاركة في الحرب ومنهم من ساعد الثوار الجزائريين . وأما ثالثها هي أن الثورة بالنسبة للجزائريين ستبقى مستمرة مهما كلفهم الأمر لكونها حربا وطنية تحريرية في الوقت الذى هي بالنسبة الى الفرنسيين حرب قامت في وجه رجال كثيرا ماتكلفت الحكومة واعتبرتهم فرنسيين ونسيت أن هؤلاء انما قاموا من أجل ابطال هذا الاعتقاد نفسه . ثم يواصل الكتاب سلسلة الحقائق ليكشفوا على أن ارادة الجيش اليوم هي التي تغذى وتغتني بهذه المعركة الاجرامية والعابثة ، وأن هذا الجيش كثيرا مايتحرك بعنف وفي العلانية بعيدا عن كل شرعية وهو بهذا يخون الغاية التي أودعه

---

١) Hamon Hervé, Rotman Patrick, "Le résistance Française à la guerre d'Algerie", Les porteurs de valises, Edit AlbinMichel, 1979,P.P 393-396.

٢) في أعقاب الاستقلال ، صرح سارتر بأنه لم يشارك في تحريره وسنتعرض لهذا بالتفصيل في الفصل القادم .

اياها الشعب ومن ثم فهو يعرض حتى الأمة للخطر ويهدد بفسادها وتدنيس شرفها . وهو بهذا يؤسس لنظام تعذيبي جديد في أوروبا بعد أن سقط وهذا منذ خمسة عشرة سنة مع سقوط النظام الهيتليرى . من هنا يقول الكتاب أن كثيرا من الفرنسيين جاءوا ليعيدوا النظر في معنى القيم والالزامات التقليدية ومنه فما معنى المدنية عندما تصبح ، في بعض الظروف ، انقيادا مخجلا ؟ اليس هناك حالات يكون فيها العصيان واجبا مقدسا وحيث " الخيانة " تعني الاحترام الشجاع لما هو حقيقي ... ؟ ويرى الكتاب أن ظهور هذا الضمير لدى بعض الفرنسيين والذى صاحب ظهور الثورة قد تسبب في نمو وتطور حركة حرة مقاومة غايتها البحث عن هياكل عمل ووسائل مقاومة تتوازى والوضعية الجديدة التي تجاهلتها كل الأحزاب المتواجدة في الساحة الفرنسية بما في ذلك الصحف الاخبارية المتواطئة معها . وفي الأخير رأى موقعوا هذا البيان أن عليهم أن لايتخذوا الحوادث المستقبلية على أساس أنها حوادث عادية وأن من واجبهم التدخل في مثل هذه الحالات لا من أجل اعطاء نصائح لهؤلاء الذين تصرفوا ، ومن حقهم ؤ بمفردهم تجاه مشاكل جد خطيرة انما من أجل مطالبة الذين يحاكمونهم بأن يحترزوا من الوقوع في فخ الكلمات والقيم الملتبسة أو المشبوهة . ووفقا لكل ماسبق انتهى الكتاب الى حصر تصريحاتهم فيما يلي :

ـ اننا نقضي بأن قرار رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائرى هو أمر له مايبرره ونحن نحترمه .

ـ اننا نقضي بأن تصرفات الفرنسيين الذين يرون أنه من واجبهم تقديم المساعدة والحماية للجزائريين المضطهدين وباسم الشعب الفرنسي هي مواقف مبررة ونحن نحترمها .

ـ ان قضية الشعب الجزائرى والتي تساهم وبطريقة جدية في القضاء على النظام الاستعمارى هي قضية كل الرجال الأحرار .

ومن الكتاب البارزين الذين أمضوا هذا النداء نجد : جان بول سارتر ، أندرى بروتون A.Breton ، ألان روبي ـ قريبي A.Robbe-Grillet ، هنرى لوفافر H. Lefevre ، فاركور Vercors ، سيمون دى بوفوار S.de Beauvoir وآخرين .

....

ومما كتب سارتر أيضا نجد المقدمة الهامة التي وضعها لكتاب " فرانس فانـــو" Franz Fanon تحت عنوان ((معذبو الأرض))(١) ، وقد بدأ كلامه بالاشارة الى أسلـوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب ومجال استخدامه ، فلاحظ أولا أنه ومنذ زمن قريب كـان سكان الأرض يصل عددهم المليارين منهم مـليار وخمسمائة مليون فقيرا • فأما الفئـــة القليلة فتكسب الفعل وأما الفئة الأخرى فتستعيره • وعلى ضوء هذا يبين لنا كيف أن هناك العديد من رؤساء القبائل ومن الأشراف وأبناء الأشراف يستعملون كوسائط ويتم من خلالهم اعارة فعل المتروبول • كيف يتم ذلك؟ يقول سارتر : ((اننا نختار شبابا ونكتب عـــلى ناصيتهم ، بالحديد الأحمر ، مبادئ الثقافة الغربية(•••) وبعد أن نتجول بهم في شوارع " المتروبول" نرسلهم الى بلـدهم الأم وهم مغشوشون فلم يعد لهم شيء يقولونه لاخوانهم غير أنهم يكررون ما نرسله اليهم نحن من باريس ولندن وأمستردام ••)) ولا شك أن أمثال هؤلاء في الجزائر هم كثيرون وعلى رأسهم ما يسمى "الطابـور الخامس" •

واذا كانت بلادنا لا تخلو من الببغوات فانها كذلك لاتخلو من الرجال العظماء الذين رأى فيهم سارتر نهاية عصرهم الذهبي ، اذ الأفواه لم تعد تفتح بأمر من المتروبول ولم تعد تتحدث الأصوات " الصفـراء" أو " السوداء " عن انسانية الأوروبيين وانما عـن لا انسانيتهم • وحتى لايقضي سارتر على الأمل نهائيا في نفوس الفرنسيين من جهة ويحذرهم مـن جهة أخرى لاحظ أن " فرانس فانو "عندما قال أن أوربا هي متجهة نحو الفشل فليس معنـــى ذلك أنه قد انتهى أمرها وانما هو لاحظ فقط أنها تعيش لحظات الاحتضار أو لفظ الانفـــاس الأخيرة دون أن يحكم عليها بالفناء ودون أن يقدم لها وسائل الانقاذ فكان بهذا كتابـــه عبارة عن فضيحة كبرى وفيه يكشف عن جرائم أوروبا في كل من "سطيف" "وهانوي" "ومدغشقــر" • ثم ينتقل سارتر من هذا ليوضح لنا كيف يعامل المستعمر مستعمريه • انه يطرح مبدءا زائفا هو أن المستعمر لايعدو أن يكون مجرد قرد متطور ومن هنا أخذ يبرر معاملاته الحيوانيـــة معه وسعى الى سلب انسانيته فهو لم يدخر شيئا من أجل أن يقضي على ثقافة المستعمـر دون

١) Fanon Franz, Préface de J.P Sartre, Les damnés de la terre, François Maspéro, Paris, 1961, P.P. I-18.

أن يمكنه من ثقافته هو ، وما بقي لديه يؤتى على نهايته بالتخويف • يقول سارتر:((اننا نوجه بنادقنا باتجاه الفلاح من أجل أن يقيم المدنيون في أرضه ثم يجبرونه بالسوط على أن يخدم الأرض لصالحهم وان قاوم أطلق عليه الجنود الرصاص وان حدث العكس وخضع للأجير الواقع أطوامن قيمته ولم يعد انسانا ويصبح الخبل والخوف يطبعان جميع تصرفاته •))
وهي الفكرة نفسها التي سبق وأن بلورها في مقاله "البلادون" وأما الحكم الذي يؤول اليه سارتر هنا هو أن على المستعمر أن يوقف أسلوبه هذا لأن المستعمَر لم يعد لا انسانا ولا حيوانا بل فقيرا متربا • وأما الأوروبي و ان كان ما زال يترأس فهو قد خسر الحرب دون أن ينتبه الى ذلك لأنه لا يعرف بعد أن هؤلاء ~~المتبرر~~ /الأهالي (Indigènes) هم فقراء مزيفون
و من هنا يرى سارتر أن ثمة أمر جد مهم قد فات هذا المستعمر فيقول:((لقد أهمل دور الذاكرة الانسانية و الذكريات التي لا تمحى ، و بعده و على الخصوص فان هناك أمرا آخر و الذي ربما لم يكن قد عرفه قط : فاننا لا نصير الى ما نحن عليه الا انطلاقا و بواسطة السلب الذاتي و الجذري لما كانوا قد فعلوه بنا •)) و من معنى هذا أن الثورات التحريرية في حقيقة أمرها ليس هي الا انتاجا للأسلوب أو النظام المطبق من طرف المستعمر اذ الاعتداءات المتكررة تجعل من أبناء الوطن الأصليين يعيشون في تناقضات لا يمكن تحملها فيثيرون و تنعكس الأمور ويصبح ما كان يضعف " الفقراء " هو مصدر قوتهم و أن ما كان يسلبهم انسانيتهم صار يكسبهم اياها ومن ثم أمسى الحقد على المستعمر هو كنزهم الوحيد •
أما وأنهم صاروا كسلاء مخربين يخفون الحقيقة ويسرقون فهذا بالطبع وانه يسجل بداية مقاومة ليست هي بعد منظمة بل كثير منهم من أصبح يواجه الأسلحة وهو فارغ الأيدي ومنهم من يصوّر نفسه انسانا بقتله لأحد الاوروبيين • انها البداية وبعدها التصعيد • يقول سارتر:
((بادئ ذي بدء فان عنفهم هذا هو عنفنا المنعكس (•••) اننا نعيش في زمن الانفجار (•••) في الجزائر كما في " أنغولا" انهم يقتلون الاوروبيين كلما شاهدوهم (•••) انه عنفنا المنعكس الذي بلغ المرحلة الثالثة من تطوره ، انه الآن يضربنا •)) لقد اعترف "الليبيراليون " بأنهم لم يكونوا متأدبين بما فيه الكفاية مع . " ~~الفقراء~~ /الأهالي " ، لكن

هذا الاعتراف لم يكن كافيا ليجنبهم تسيل جزائهم بعد الانفجار.. أما اليسار المتروبولي، ومتى تعلق الأمر بالوطن الأم ، فان المفاهيم عنده تنقلب . فهو لم يدن ولم يستنكر الحرب، وكيف يفعل وهو يعرف أن بلاده هي التي تسببت فيها بل ذهب الى أبعد من ذلك وأعتقد أن هناك حدودا وعلى هؤلاء الثوار أن يتظاهروا بنوع من النبل والظرف، وهي في نظرهم الوسيلة المثلى ليبرهنوا بها على أنهم رجال ، وهنا يقول سارتر : ((أحيانا فهو (اليسار) يوبخهم: " أنتم تتقدمون أكثر من اللازم ، فاننا لا نساندكم بعد اليوم ")) . ثم يضيف سارتر: ((. ان موقف اليسار هذا لم يكن ليغير من عزيمتهم (...) فلم يعد أمامهم غير واجب واحد وهدف واحد : طرد المستعمر بشتى الوسائل (...) ان السلاح المقاتل هو الذي يعكس انسانيته)) .

لقد كان هدف " فانو " في هذا الكتاب واضحا ومحددا اذ عمل على انارة الطريق " لرفقائه " وطالب بتوحيد القارة الافريقية ضد كل شقاق محتمل . ولو أراد أن يصف وصفا ضمنيا الواقع التاريخي للتمرد لكان لازما عليه أن يتحدث عن الاوروبيين ، لكنه لم يفعل وهو مادفع بسارتر الى القول : ((ان هذا الكتاب لايحتاج الى مقدمة منه لأنه لا يتوجه الينا ..غير أنني وضعت له هذه المقدمات وذلك حرصا مني على أن أساير الجدل الى نهايته : انهم يحرروننا كذلك نحن رجال أوروبا : هذا يعني أننا نقلع وبواسطة عملية دامية المستعمر الذي هو متواجد في كل واحد منا . فلننظر الى أنفسنا اذا كانت لدينا الشجاعة ولنر ماذا يحدث لنا)). ان أول شيء يتبغي للأوروبيين أن يواجهوه هو هذا التعري الفضيع للانسانية الأوروبية التي لم تكن من قبل غير ايديولوجية كاذبة . لقد تحالف الرجل المتروبولي مع نظيره في الجزائر وهذا لأنهما سويا اغتنما فرصة الاستغلال الاستعماري واشتركا في الجريمة . يقول سارتر : ((ان قيمنا الغالية قد فقدت أجنحتها ، ولو نظرناها عن قرب لوجدناها جميعها مضرجة بالدماء . واذا كنتم في حاجة الى مثال فتذكروا هذه الكلمات العظيمة : كم هي كريمة ، فرنسا . نحن كرماء ؟ وماذا عن مدينة سطيف؟ وعن ثمانية سنين من الحرب الوحشية التي كلفت الجزائر أكثر من مليون جزائري ؟

لقد تحولت فرنسا وجيرانها المستعمرين الى موضوع للتاريخ بعد أن كانوا فاعلين له ، وأن موازين القوى قد انقلبت والتحرير سائر الى غايته وكل مايستطيع مرتزقو أوروبا فعله هو تعطيل النهاية ، خاصة اذا ما علمنا أن الحالة البسيكولوجية للجنود ، رغم تضاعف عددهم ، قد صارت جد متدهورة . يرى سارتر أن مجد " بيجو Bugeaud " القديم والمشكوك فيه لم يكن ليتجدد اليوم في الجزائر رغم تضاعف عدد الجنود وهذا لأن مفهوم العنف أصبح غير الذى كان من قبل . فبالأمس كان يتم دون مشقة واقتصر على تفرقة الآخرين . أما اليوم ، ومن خلال جنود فرنسا ، فان العنف نفسه قد انعكس على فرنسي المتروبول ووصل الى حد ذواتهم ثم امتلكهم . وعندما بدأ العدد التنازلي يقول سارتر : ((فبينما بدأ المستعمر يجمع شمله ، فاننا ، نحن ، متطرفون وليبيراليون ، مستعمرون و " متروبوليون " بدأنا نأخذ في الانحلال والتفرق ، وقد انكشفا الآن الخوف والغضب الشديد : بل انهما يظهران عاريين في أزقة الجزائر (...) : وفي الوقت الذى نجد فيه المزامير تردد " الجزائر فرنسية " ، نجد الأوروبيين يحرقون المسلمين أحياء)) . ثم وبعد هذا العرض السريع للوضع الذى آل اليه الاستعمار الفرنسي على وجه الخصوص في الجزائر ، يوجه سارتر في الأخير شبه نداء الى الفرنسيين يوضح لهم فيه أنه لم يعد هناك مجال للاختيار غير أن يختارون بين الصراع أو التعفن داخل المعتقلات ، وأنهم يعيشون المرحلة الأخيرة من الجهل . واذا كانوا هم قد أخذوا يندددون بهذه الحرب فهذا لايكفي في رأى سارتر ماداموا هم لايستطيعون بعد أن يعلنوا عن تضامنهم مع الثوار الجزائريين . لكن هذه قصة أخرى ، يقول سارتر ، قصة سيصنعها رجال غير أننا سننظم وبكل تأكيد الى الذين سيصنعونها .

أما خلاصة ماذهب اليه سارتر في هذه المقدمة هي أن الثورة الجزائرية جذليا هي ثورة ، شاء الفرنسيون أم أبوا ، سائرة لصالح الجزائريين وأن مايفعله الفرنسيون هو تعطيلها فقط والأجدر كان عليهم أن يعجلوها حتى تكون لهم لا عليهم .

....

والى جانب هذه المواضيع التي نشرها سارتر نجد سلسلة أخرى من المواضيع التي خصت للثورة الجزائرية وكانت قد نشرت في فترات زمنية متلاحقة وكلها بامضاء " مجلة الأزمنة الحديثة " وكان أول موضوع نشر عام ١٩٥٥ تحت عنوان : " رفض الانقياد "(١) أما الهدف من ورائه فكان اشعار فرنسا بأنه لم يعد أمامها اليوم غير اختيارين تجاه شمال افريقيا : اما أن تحكم وتفرض وجودها عن طريق الرعب واما أن تنسحب .

أما الرعب ، فهو اذا كانت الحكومة تجهل أو تتجاهل كيفية قبول الانسحاب الضروري وذلك بأن تتفاوض في الوقت الذي هي تملك القدرة على التفاوض والاعتراف باستقلال الجزائر والمغرب فان الأمر في نهاية المطاف حتما سيؤدي الى الدخول في امتحان القوة. وقد أخذت بوادر القوة تظهر الى الوجود مع ظهور بعض عبارات رجال الشرطة الخالدة المعروفة لدى كل مستعمري العالم : " متمردون " ، " خارجون عن القانون " ، "ارهابيون" .. انها بداية الحرب ، ولو يستمر التراجع في أخذ القرار لأسابيع أخرى فان أي حوار سيصبح ممتنع الحدوث . وقد وصل الحال بالمجلة الى حد التهكم والتعجب أمام تصور الموقف الذي سيقفه ممثل فرنسا في الأمم المتحدة فتقول : " انه ينبغي لممثلنا أن تكون له وقاحة فريدة من نوعها وأسلوب فكاهي لكي يتمكن من أن يقدم ، ومن دون أن يضحك الحاضرين ، أطروحته القائلة بأن الجزائر " هي فرنسية بقدرما هي كذلك " جزيرة - فرنسا " أو اقليم " أفارن " ")) . ثم تشير المجلة الى أن الاضطهادات والقاءات القبض والتعذيب المستمر وتزوير الانتخابات ومنع ظهور الأحزاب والجرائد الديمقراطية ، كلها ماهي الا تعبير عن تفرقة جذرية وما وضع القوانين وتعليق الآمال الا لعب ولهو . ان الجزائر في حقيقة أمرها ماهي الا مستعمرة جعلت منها ادارة ، همها الوحيد الربح الأقصى ، مورد استغلال لها . وتصعّد المجلة موقفها أمام الحكومة الفرنسية فتشعرها بأن الذين يسمونهم " متمردين " أو " خارجين عن القانون " هم اليوم يمثلون عساكر مقاومة وجدت في الشعب كله كل حماية ومساندة ، ثم تتساءل اذا كان من الممكن اعتبار ماحدث في قسنطينة من انفجار في عام ١٩٤٥

---

١) Refus d'obeissence, éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes, N° II8 Octobre I955, P.P 386-387.

وحيث قتل مايزيد عن ٢٠ ألف جزائري قد حدث من باب الصدفة ، وكذلك مايحدث اليوم من تقتيل اذ عساكر النظام الفرنسي تقوم بحصد مدن بكاملها . فعندما يضاف الى آليات الاستغلال الاقتصادي احتقار كبير، وفي الأخير يُرفض حتى الحوار والتفاوض فانه في هذه الحالة ينبغي علينا أن لانتعجب مما سيتكلم به الغضب ، هذا الغضب الذي سيدفع ثمنه من الجانب الفرنسي - في نظر المجلة - الجنود الاحتياطيون الشباب . واذا كان هذا الاختيار هو اختيار سياسي فان هذه الحرب ماهي الا نتيجة سياسية أرادت أن تساند نظاما يرفضه كل انسان حر . ولم تكتف المجلة بعرض هذه المعطيات السالفة الذكر فحسب بل ذهبت الى حد البحث في ذاكرة التاريخ لتكشف لهذه الحكومة أن أمر سقوطها هو حتمية تاريخية لاجدال فيها فتقول: ((اذا كان الماريشال "جوان - Juin "له بعض الأعذار في النسيان فان الجينيرال "كنيغ - Koenig " يستطيع أن يتذكر : ان الجمهورية الرابعة، بعد كل شيء، قد ولدت نتيجة " رفض الانقياد "أو مايمكنن تسميته بالعصيان .

أما في عددها ١١٩ فقد نشرت موضوعا تحت عنوان: الجزائر ليست هي فرنسا(١)، توضح فيه أنه اذا كانت " الجزائر هي فرنسا "، فانه أولى ومن باب المنطق أن ينظم ١٢٠ مندوبا مسلما الى المجلس الوطني وأن كل تمييز ينبغي له أن يزول . أما اذا كانت الجزائر ليست هي فرنسا فانه يقتضي حذف الحكومة العامة أولا ثم خوض الحوار مع المواطنين ثانيا فالاعتراف للشعب الجزائري في حق تسيير ذاته بذاته ثالثا . لكن ومن أجل التملص ، اخترعت الحكومة كلمة " الاندماج " وهو المفهوم الذي لم يقدر وزير الداخلية آنذاك حتى على تعريفه فاذا كان الاندماج يشمل في مفهومه أن لا يفرض على الجزائريين كلل ماهو واجب على الفرنسيين مع الحرص على أن لا تعطى لهم أية حقوق ، فان المجلة تتساءل عن الفرق بين ما جاء به هذا الوزير من جديد وبين الوضعية الحالية السائدة ؟ لتجيب : ((فعلى وجه التحديد ، ليس هناك فرق)) ثم تستنتج المجلة أن فرنسا ، ومن خلال أعمالها ، لم تتوقف على تكذيب المبادىء التي تعرضها ، وما دام العنف هو سلاحها فانه لايرد على العنف الا بمثله ، ولأجل هذا تقول المجلة : ((لقد حمل الجزائريون السلاح)) .

---

١) L'Algerie n'est pas la France, éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes, N°II9, Novembre I955, P.P 577-579.

وبعد اندلاع الثورة تطاولت الألسن لتنددبها وبعواقبها ونسيت في الوقت نفسه وعلى العكس من ذلك أن الثورة قد حطمت حلقة الاستعمار وثقبت ستار الخداع وستار صمته وأجبرت بلدا غير واع ، وحكومة متواطئة معه على أن ينظر وجها لوجه الى الجرائم التي كانا قد اقترفاها معا ، ثم أن الاهتمام بالجزائر لم يأت الا بعد أن تكلمت البنادق .

وبعد أن بينت لنا المجلة كيف أن الجزائر ليست هي فرنسا تكشف لنا عن اهتماماتها اليومية والمستقبلية المتعلقة بالثورة الجزائرية والمتمثلة في محاولة كشف مغالطات هذه السياسة الحاكمة ومقابلة حقائق العلاقات الاجتماعية بالمخادعات الايديولوجية ثم توضيح كيف أن فرنسا ، ومن كل قطعة مشتتة ، قد أوجدت هذه المقاومة التي هي آسفة عليها اليوم ، وفي الأخير ، البحث عن الحلول الممكنة . والمجلة تقبول هذا وهي متيقنة من أنه سيأتي يوم تنكشف فيه الحقائق وهو يوم سيقبل على الجزائر كما أقبل نظيره من قبل على الفيتنام ... وأنه اذا كانوا بالأمس قد أوقفوا مرة أخرى " روبار بارات - Robert Barrat " لأنه فقط التقى " بالمتمردين " فانه ، غدا ، على طريق الأوراس سيكون ، ربما ، دور المجندين الشباب ، فيلتقون معهم ويكون لقاء الاخاء.

وجاء في العدد ١٢٣ من نفس المجلة موضوع تحت عنوان : ((أحكام " خاصة "))(١) وهي أحكام جعلت خصيصا لمواجهة الوضع في الجزائر . وقد تم الانتخاب عليها - كما جاء في المقال - بالاجماع بما في ذلك الحزب اليساري الفرنسي وأن هذه الأحكام وان كانت لافائدة منها فانه لايستغنى عنها من أجل مواصلة وتصعيد الحرب . ومن هنا ترى المجلة أن هذه العملية ليست الا فضيحة غير مبررة وغامضة . أما الغموض أو الالتباس فهو يعود لتورط اتجاهات مختلفة في هذا الانتخاب وأن الفضيحة فلأنه انتخاب غير قابل للتبرير . لقد انتخب على هذا المشروع أمثال العميد" رينود " M.Reyneaud " الذي يريد الحرب ولا يخفي موقفه والسيد " هارني " - M.Hernu " وهو مفضلي التفاوض ، والسيد " سوستال M.Soustelle " الذي يرى أن التفاوض يعني الاختصار ، والسيد " ديكلوا - M.Duclos " الذي يعلن عن

---

١) Pouvoirs " Speciaux ", éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes N°I23, Mars-Avril I956, P.P I345-I353.

ضرورة الاعتراف أولا بالواقع الوطني الجزائرى وبالاشتراكيين الذين يولون ثقة للحكومة المستفيدة من هذه الأصوات المتناقضة • ((والمسألة ، كل المسألة - تقول المجلة - هو أن نعرف من الذى يكون الجازم : السياسة المنبثقة من النص أم المنبثقة من تفكك الأصوات ••• ؟)) ثم تجيب المجلة على أن هذه العملية في جوهرها ليست الا مغالطة من المغالطات العديدة التي كانت قد تمت من قبل واذا استطاعت الأحزاب أن تخفي معنى الأحكام التي سمحوا بها للحكومة فهل تعتقد بأن الجزائريين سيغالطون بهذا ؟ فرغم أن المشروع يعلن اصلاحات هامة على المستوى الاقتصادى والاجتماعي الآن هذا لايجدى نفعا ، وكيف لا وأن كثيرا من الوعود قد ذهبت من قبل هباء منثورا • ونتيجة لهذا كله فان وعود الحكومة الفرنسية اليوم كاذبة ولو صدقت والحق مع من اتهمها بالكذب ، وان كان الحكوميون قد صدقها ترى المجلة ، أن صدقهم هذا لدليل على حماقتهم لأنهم تصوزوا أن المشكل الجزائرى هو أولا مشكل اقتصادى واجتماعي فانهم قد تغاضوا على أن هذا يعني أن قضية الاستعمار هي أمر لايمس • من هنا ترى المجلة أيضا أن المشكلة هي قبل كل شيء سياسية : انها قضية سيادة • والحكومة لايمكنها أن تتجاهل ذلك ولو لاه لما ارتمت في مثل هذه التصريحات البهلوانية • فعندما يصرح السيد "مولي - Mollet " "باحترام الشخصية الجزائرية" فهذا حتى لايتكلم عن" الواقع الوطني الجزائرى " • والحقيقة - تضيف المجلة - أن المجتمع الجزائرى وان كان في حاجة الى اصلاحات فان هذه الاصلاحات لايكون لها بعد الا في اطار آمال الاعتراف بحق الاستقلال ، وأن جعل الاصلاحات من الاولويات العاجلة فهذا يعني أحد الاحتمالين. اما الحديث من أجل ألا نقول شيئا واما ، وهذا منطقي جدا ، أن من خلفيات الأمور أن انتصارا عسكريا عاجلا - وهو مايعني تكثيف الحرب - هو الوسيلة الوحيدة التي بها يضمن تحقيق هذا الأمر العاجل وهذا مايفسر وحده رفض هذه العملية في الوقت الذى يتم فيه اقرارها على أرض الواقع اذ بمجرد أن تم الانتخاب على هذه "الأحكام " فان التدابير العسكرية هي وحدها التي تم اتخاذها • وبعبارة أخرى فان المطالبة قبل عودة السلم ماهي الا تصعيد للحرب • وقد فصل في هذه القضية فان السؤال الوحيد الذى بقي هو : هل السلم

....

هذا سيأتي نتيجة القمع المستمر أم أنه نتيجة حوار صعب ولكنه أمين ؟ أما في الحالة الأولى فان احتمال وقوع الاصلاحات فهو ضئيل • وأما في الحالة الثانية فان الاصلاحات ستكون من صنع جزائري • ان كل تصرفات السيد " مولي " فهي تعكس لنا نواياه السيئة :ففي الجزائر نجده يخضع لفتنة المتطرفين ، وفي باريس ، فهو يمنع التظاهرات التي تقام ضد الحرب وخلصت المجلة بعد هذا الى نتيجة هي أن مايمكن أن ينتظر من هذا الرجل انما هو ماكانت قد أسمته المجلة نفسها وقت انشغالها بالهند الصينية بتعفن النزاع ، وحتى وان كان هناك انتصار عابر فهو جالب للعار ، وأن منطق الواقع يثبت يوما بعد يوم أن الفرنسيين في مواصلتهم للحرب سيخسرون كل شيء ، بينما المفاوضات ستفتح لهم باب المستقبل وهي لا تعني أبدا الاستسلام كما يعتقد " سوستال " انما تسوية مانعتقده هضما للحقوق ولا تفاوض الا بعد ايقاف الحرب ثم الاعتراف بالواقع الوطني الجزائري وهو اعتراف ان لم تكن قد أثبتته الحرب بالخلف • وتختم المجلة موضوعها على شكل نداء موجه خاصة الى اليساريين قائلة : ((فلنتحمل اذن تقسيم مسؤولية عمل لم تعد قبضتنا عليه محكمة • انها مجازفة ونتمنى أن لايكون خطأ)) •

وأما العدد ١٢٤ فقد احتوى على مقال عنوانه : ((من الذى يضعف معنويات الجيش ؟))(١) وهو مقال كتب خصيصا بمناسبة توقيف " كلود بوردى - C . Bourdet " وذلك بحجة أنه " يعمل على اضعاف معنويات الجيش " ليتم اطلاق صراحه فيما بعد مع ابقائه تحت المراقبة • و أمام هذا التصرف القمعي الحكومي اغتنمت المجلة الفرصة لتقول :((اننا مصرون على أن نقول هنا قولا هو أكثر مما نعبر به عن سخطنا : اننا في توافق كامل مع سياسة "بوردي" تجاه الجزائر • هذه السياسة التي كلفته اليوم هذا الاتهام •)) ثم تستنتج المجلة أن هذا التوقيف عار حكومي له معنى أكثر خطورة من العار ذاته • انه يعني أنه ما دامت الحكومة تتابع "بوردي" فهذا ليس الا من أجل تكثيف الحرب و ارسال جنود احتياطيين آخرين الى الموت و من ثم الدفع بالبلد المخدوع في مغامرة هند صينية

---

١) Qui démoralise l'armée?, éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes, N° I24, Mai-Juin I956, P.P I535-I536.

جديدة ... و بعد كشف هذه الحقيقة يتساءل أفراد المجلة : لكن من هم المذنبون : هؤلاء الذين يكشفون عن الجريمة، أم هؤلاء الذين يرتكبونها ؟ تفترض المجلة أنّه لو كان وزير يميني هو الذي يقوم بحرب استعمارية لكان أمينا مع نفسه أما " مولي"[1] فهو خائن لأنه يعرف بأن الجزائر ستحرر وعساكرنا الاحتياطيون يموتون عبثا وأنه سيتفاوض في يوم ما مع رجال المقاومة . انه لم يحدث أن طبق رئيس مجلس و ضد مناصريه سياسة أعدائه. ان في " قاي مولي" لحماقة وسذاجة لدرجة أنه يريد اغراق مسؤولياته في دماء الآخرين وتكميم من يندّدون بسياسته ، من هنا أصبح جبنه جريمة ولا تهم نواياه :ان أفعاله تحكم عليه .

وجاء في العدد ١٢٥ موضوع آخر عنوانه : ((مثقفون فاسدون يخاطبونكم))[2] وهو يدور حول اعلان صرح به " قاي مولي "جاء فيه على وجه الخصوص أن اعادة السلام ليس هو الحرب وفيه ترى المجلة أن مولي قد جعل الحقيقة فيه تمشي على رأسها والأصح هو قلب العبارة : الحرب ، هذه الحرب التي تدمر الجزائر ليست هي اعادة السلام، ان مفهوم "اعادة السلام" فهو يعني ليس أكثر من أنهم في مواجهة بعض المرتزقة وهم لايعكسون موقف الجزائريين الذين يفضلون الحياة الفرنسية . ومن هنا أخذوا ينشرون العساكر هنا وهناك ظنا منهم أن هذا الانتشار سيمكنهم من اعادة السلام ونسوا أن هذا النوع من السلام هو مؤقت مرهون بوجود العساكر . ان مايحدث في الجزائر ليعكس تماما ماجاء في عبارة " كلوز فيتش "Clausewitz" القائلة أن الحرب هي استمرار للسياسة وبوسائل أخرى . وان كانت الاصلاحات لايمكن لها أن تتم الا في اطار سلم حقيقي جزائري فكذلك الأمر بالنسبة للانتخابات الحرة التي يتعهد بها "مولي":((ان هذه الانتخابات ـ يقول المجلة ـ لاتتم أو أنها ستكون مغشوشة مثلما كانت الاصلاحات خاوية المعنى وهذا اذا مارفضنا كل فكرة سلم تقوم على الحوار ، هذا الرفض الذي تعبر عنه وبكل وضوح عبارة " مولي " هذه : ((لا هي دولة اسلامية ، ولا هي دولة عربية ، ولا هي اقليم فرنسي ، فالجزائر لها ميزة خاصة ، فريدة في العالم...)) وأكثر من هذا عندما يصرح وزير الخارجية على أنه ينبغي منح تنازلات لكل من المغرب وتونس حتى نتمكن من تركيز وحشد الفصائل العسكرية في الجزائر . وأمام هذه التطورات يرى أفراد المجلة أنه

---

١) Secrétaire général de la S.F.I.O. de 1946 à 1969 et Président du conseil en 1956-1957.

٢) Des " Intellectuels dépravés " vous parlent, éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes, N° 125, Janvier-Juin 1956, P.P 1729-1732.

اذا كانت الحكومة ترى الصواب في مواصلة متابعة وسجن من يحارب سياستها ، واذا كانت الصحافة التي وجدت في الحرب فرصة اضافية في وضع "الدم في الواجهة" ترى أنه بعدما أن تنادى الى الاضطهاد وتسجل الضحايا ، فان الرأى السديد يحتم عليهم ويجعلهم يعقدون النية على اظهاره، ومتى استطاعوا الى ذلك سبيلا ، " فسادهم الثقافي "اذا كان طبعا في مطالبة رد الحقوق الى أهلها والعمل على تخليص البلاد الأم من الوقوع في الهاوية فسادا. وجاء أيضا في العدد ١٤٠ موضوع عنوانه : " أزمة مفيدة ؟"(١) ومفادها أن الأزمة التي وقعت فيها حكومة "قاى مولي" عموما بما فيها اليساريون قد تكون أزمة مفيدة اذا ما أحسن استغلالها . وتستهل المجلة موضوعها بأن سياسة " مولي- لاكوست" هي مبدئيا تعني العلاقة بين اعادة السلام والاصلاحات أو هي القمع الذى آل اليه مفهوم اعادة السلام. وهي حقيقة كان قد ندد بها البعض وطالب بها البعض الآخر باظهارها على حقيقتها ولعل هذا الحدث في حد ذاته يمكن اعتباره تطورا أو تقدما نحو الوضوح نحو الاعتراف الصريح بالنزاع الذى لا يمكن الخروج منه الا باحدى الطريقتين: القوة أو التفاوض. وتبعا لهذا تطالب المجلة مناصرى اتجاه القوة أن يظهروه دون التباس .

وفي هذا الاطار، ترى المجلة ، من جهة أخرى ، أن القوانين- المؤطرة(٢) لم تكن الا مجرد تمويه ولم تكن لتقنع الجزائريين. ومن ثم لايقال لنا بأن انتخاب أغلبية اليسار عليها سوف يغير من طبعها وأنها بداية تحول. فاذا كان الشيوعيون وكل من يطالب بحل سلمي قد قبلوا المشروع فان الحكومة كونها عجلة من خضوعها هذا ولكي تتدارك هذا تحت نظرات اليمين قد لاتفكر الا في تصعيد القمع .

لقد جاء في جريدة "لوموند" أن جبهة التحرير الوطني قد أثبتت بعدا سياسيا عندما قبلوا بالنظام المقترح . وعندما تساءلت المجلة لتقول:" فمن أين جاءتهم هذه الثقة المفاجئة ؟ " لترد بعدها أن هذه الحجة قد قدمت وقت أن اخترع السيد "مولي" خدعته ذات الأبعاد الثلاثة : وقف اطلاق النار ، انتخابات حرة ، تفاوض. وقد تساءلت المجلة أيضا عندما

١) Une crise utile ?, éditorial signé "T.M", in Les Temps modernes, N° I40, Octobre I957, P.P 569-572.

٢) ترجمة لكلمة : Loi - cadre

اعتبر القانون ـ المؤطر أنه ليس الا ذا مظهر خاطئ فقالت : "اذا كان كذلك ، فلماذا رفض من طرف مجموعة من اليمين ؟ ثم أى صراحة مفاجئة جعلتها ترفض هذا التمويه ؟ لا شك أن هناك منافسات شخصية ومناورات سياسية داخلية قد لعبت بالفعل دورا كبيرا ، والا لماذا كذلك وجد السيد "تكسيي ـ فينيانكور Tixior-Vignancour " نفسه مدفوعا لأن يهدئ من روع السيد "مولي"؟ فهو لايفكر في هذا ربما الا اذا كان يخشى انقلابا اشتراكيا ." لكن ـ ترى المجلة ـ أن الملاحظ اليوم لأحد يخشى وقوع هذا الاحتمال. وهنا نلمس السبب الحقيقي لهذه الأزمة : فكل حكومة تتبع السياسة التي جسدها كل من السيد مولي ولاكوست تكون طعمة لليمين . ومتى تم رفض هذه السياسة الليبرالية فان النظام ـ المؤطر يكون قد تغير وجهه وأصبح منطويا على احتمالات كانت من قبل غير مشكوك فيها ! ولكن الى أي شيء تنتهي هذه الكوميديا المثيرة للشفقة ؟ وخلاصة القول ـ في نظر المجلة ـ هي أن هذه السياسة القائمة على فكرة اعادة السلام هي سياسة قد تجعل الاشتراكيين يغرقون أكثر في الوحل الذى هم فيه يتخبطون منذ سنين . ومن هنا فالحكومة القادمة لا تكون الا على شاكلة سابقتها بل وزيادة . ان السيد "مولي" يعرف جيدا أنه لو يعاد انتخابه على رأس الحكومة لركّز كل اهتماماته على الحرب ثم التناحر فقط حول وسائل دفع الفاتورة . وبعد هذا ـ تقول المجلة ـ فهل هو صعب علينا ادراك عبثية الوضع ؟ وبعد هذا ، وسعيا من المجلة الى لفت انتباه الاشتراكيين على وجه الخصوص ، وتوضيح الرؤية أمامهم ، تسترسل متسائلة : ثم ألا يستطيع الاشتراكيون معرفة ، اذا ماكان مصير السياسة التي تورطوا فيها والتابعة في الأخير للمائة وعشرين مندوبا من اليمين ومن اليمين المتطرف تقريبا (١) ، أنها سياسة فيها شيء مناقض للعقل والحقيقة ؟ وأنه إذا كانت هذه الأقلية تلعب مثل هذا الدور فهذا لأنهم هم بقوا مكتوفي الأيدى؟ واذا كان ائتلافهم هذا قادرا على أن يجعل الآخرين ينادون بحرب غير محدودة الآجال ، أليس هو دليلا على أنه ليس هناك حل آخر غير التفاوض وقبول الاستقلال ؟ بالتأكيد ، ان الأهواء والفوائد لتضغط بثقلها الكبير ، وان الأمر لا يتعلق فقط " بالفهم" . ولكن بالفهم هذا أيضا يتعلق الأمر .

---

١) Moin de cent en fait, puisque les poujadistes ont voté contre.

أما في العدد ١٤٦ـ ١٤٨ فقد جاء موضوع آخر عنوانه : " خسرت الجمهورية معركة "(١) ويتلخص في أن الجمهورية الفرنسية عندما سقطت انما في حقيقة الأمر كانت قد تعثرت وأن سقوطها هذا لايعني أنها قد خسرت الحرب بل مجرد معركة .. والحرب مستمرة . فبعد سقوط حكومة " قيار " تلتها حكومة " بفيليملا " " Pflimlin " لتنصب في الجزائر الجينيرال " سلان ـ Salan " الذي كان قد دخل في صراع مستمر مع " لجنة انقاذ الشعب " لأن هدف هذه الأخيرة كان اسقاط حكومة " بفيليملا ". أما السياسة المتبعة من طرف هذه الحكومة ترى المجلة ، أنها ليست الا سياسة " مولي ـ لاكوست " في ثوب جديد مادامت ترى أنها لا تقبل بأي سلام في الجزائر مالم يتم عن طريق النصر . بيد أن ماجعله يستحق الحكم هو ايحاؤه الى أنه سيقبل بالتفاوض مع جبهة التحرير الوطني وفي الوقت نفسه كان قد منح متطرفي الجزائر عذر مواقفهم فكان بهذا قد أعطى لنفسه الفرصة لأن تكون له الضربة القوية. ولعل هذا ماجعل الحكومات في باريس تخضع لتهديداته المتمثلة في اثارة البلبلة والفوضى في الشارع الجزائري. أما اليوم وقد حدث مايسمى بالضربة القوية ، فان البلبلة قد عمت الشارع. ومنه ، فبعد التنازل المستمر تجنبا لوقوع ماهو أسوأ ، وقد حدث اليوم فان المتطرفين صاروا مدفوعين اما الى التمرد الكلي واما الى الانفصال .

أما الجينيرال " ديغول ـ De gaulle " فهو كان جمهوريا يوم أن كان الجمهوريون يحكمون . فهو رجل عسكري يميل حيث مالت القوة ومال الحكم . ومنه فهو جمهوري مع الجمهوريين ومشاغب مع المشاغبين. ولهذا السبب أيضا فان الفكرة القائلة بأن ديغول في وسعه أن يجد حلا في الجزائر هي كذلك فكرة تعد مغالطة . فالرجال الذين يساندهم ديغول اليوم هم رجال الحرب الذين يتكلمون اليوم كثيرا عن الاندماج ويثيرون فكرة " الاخوة " الفرنسية ـ الاسلامية . لكن ما معنى أن تقف الجزائر خرساء أمام هذا الاندماج وأن " اللجنة الجزائرية لانقاذ الشعب " لا تعيره أدنى اهتمام أو قيمة ؟ ان مايعنيه هذا وبكل وضوح هو رفض استقلال الجزائر ، وأن فكرة " الاخوة " هذه هي فكرة مصطنعة بكيفية محكمة ... من هنا

١) La républiquo a perdu une batailllo, éditorial signé "T.M", in Les Temps modornos, N° I47-I48, Mai-Juin I958, P.P I9I3-I9I6.

تساءلت المجلة: فلماذا تتعجب من ديغول ، بعد هذا ، عندما يقوم بتصرفات تخريبية في صفوف اليسار الفرنسي وفي أوساط الجماهير الجزائرية ؟

صحيح أن ديغول يقترح سلاما لكن وفق شروطه هو وأن من يعارضه فهو يعتبر "منفصلا" ومن هنا ترى المجلة كذلك ، لو عاد ديغول الى الحكم وأقام السلم فهذا دون شك سيكون جميلا بالنسبة للجزائريين لكنه ، ومع هذا كله ، يبقى عندنا أنه ضروري أن نستمر في محاربة ديكتاتورية ، لذا فالسلم لايمكن له أن يبرر "النظام "الديغولي" بعد كل هذا ، لا شك أن مصير اليسار الغير شيوعي هو بين يديه : فهو لا يمكن له العيش الا اذا رفض الخضوع ورفض معه ديغول، كما عليه أن لا يترك هذا الاهتمام ، وهذا الشرف ، وهذا الضمان للمستقبل فقط للحزب الشيوعي وحده . ان حكومة " بفيليملا" لم تقم بشيء من أجل أن تكشف الوجه الحقيقي للديغولية بل هي تفاوضت في الكواليس مع أولئك الذين لم يكونوا يفكرون غير في أخذ مكانها ، من هنا فان ديغول قد أصبح على حافة الحكم [1] ولم يبق الا معرفة اذا ماكان اليسار ، باهمال منه أو تنازل، سيمكنه من أن يظهر في صورة ذلك " الحاكم المطابق" والمنقذ للوضع ، أو أنه سيجبره ، وذلك بأن يبقى حتى النهاية ، معارضا له على أن يظهره في نهاية الأمر على حقيقته : جينيرالا متمردا سيصعد ، رغم تطلعه الى العظمة ، فرنسا الى صف احدى ديكتاتوريات جنوب امريكا من القرن الأخير ، رجل السيارات النجومية في مواجهة مشاة الجمهورية .

والخلاصة أن هذا الموضوع كان بمثابة دق أجراس الخطورة الديغولية وفضح تواطىء حكومة " بفيليملا" الذي عجل في تتويج هذا الخطر الذي يعتقد أنه لن يأتي الا ليعطل أو يرفض التفاوض مع الجزائريين ورفض استقلالهم . هذا ، ونشير في الأخير الى أن هناك مواضيع أخرى لسارتر تتطرق الى الثورة الجزائرية بطريقة غير مباشرة وقد يطول بنا المقام هنا لو حاولنا تلخيصها ، لكن هذا لا يمنعنا من أن نشير الى أنها تدور كلها تقريبا حول اعادة انتخاب ديغول وحول من مهد له الطريق الى الحكم ثم انعكاسات هذا الانتخاب وهذه العودة الديغولية على الثورة الجزائرية وما بعدها ، وهي مواضيع أعيد نشر جلها في "مواقف" [2] تحت العناوين التالية : تأسيس "اللامبالاة" ، "ضفادع تطالب بملك" ، "تحليل الاستفتاء" ، "النائمون أو الفاشلون" (Les somnambules)

1) ((لقد كان هناك لقاء بين " بفيليملا" وديغول في "سان كلود" يوم ٢٦ ماي ٥٨ و في ٢٨ ماي استقال بفيليملا من منصبه ليصبح بعدها وزيرا في حكومة ديغول)) .

2) Sartre(J.P), Situations V, Gallimard, Paris, 1964, P.P 102-166.

((... لأنني لا أستطيع أن أكون حرا اذا كان كل الناس ليسوا أحرارا ...))(١)

بهذه العبارة المدوية لخص سارتر محاضرته التي كان قد ألقاها في خريف ١٩٦٠ حول الجزائر بروما رفقة السيد " بولحروف " ممثل جبهة التحرير الوطني ، وكان الهدف منها رفع النقاب عن وجه أولئك الذين كانوا قد وقفوا ، في فرنسا ، ضد الثورة الجزائرية . وهي عبارة تعكس لنا ، ومنذ الوهلة الأولى ، مضمون محتوى مذهبه الفلسفي القائم أساسا على مبدأ الحرية : ((لا أستطيع أن أجعل حريتي هدفي مالم أجعل حرية الآخرين بالمثل هدفي))(٢). ويرى سارتر أن هذا المطلب هو مطلب انساني لا يمكن له أن يتحقق ولا أن تقوم له قائمة الا اذا صار الانسان انسانا ملتزما ، لأنه في الالتزام وحده يجد الانسان نفسه مجبرا على ارادة حرية الآخرين في نفس الوقت الذي يريد فيه حريته . وعلى ضوء هذا المفهوم ، كنا قد تتبعنا في فصل سابق ، موقف سارتر من الثورات التحررية في العالم . ورأينا كيف أن سارتر كان قد أنظر إلى أنه لا التزام الا في النظام الاشتراكي ، وأن كل موقف أو دعم خارج هذا الاطار فهو موقف أو دعم باطل وهذا لاعتقاده أن مستقبل الانسانية مرهون بالاشتراكية الحرة ، وكان بهذا - في اعتقادنا - هو أول من قضى على الحرية بمفهومها السارتري وهو يحدد لها المجال الاشتراكي فقط كمجال تمارس فيه نشاطها . من هنا ، ووفق هذه التحاليل ، وبعيدا عن كل تأويلات ذاتية محضة ، أدركنا خطورة الموضوع الذي نحن قادمون على بحثه وتحليله في هذا الفصل وهو موقف سارتر من الثورة الجزائرية .

ولعل من أهم التساؤلات التي تواجهنا في هذا الصدد وأكثرها الحاحا هي :

أولا : ماهو موقف سارتر من الثورة الجزائرية ؟ ثانيا : ماهي بواعث وأهداف هذا الموقف؟ ثالثا : هل كان موقف سارتر من الثورة غاية في حد ذاته أم أنه كان مجرد وسيلة استخدمها لبلوغ غايات أخرى ، وماهي هذه الغايات؟

---

١) Didier Julia , Dictionnaire de la philosophie, Lib.larousse, Paris, 1964, P 231.

٢) جان بول سارتر ، الوجودية مذهب انساني ، تر: د/كمال الحاج ، منشورات مكتبة الحياة بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٨٢ .

ان من نتائج الحرب الألمانية على الشعب الفرنسي أنه قد أذاقته مرارة الخضوع ومرارة الذل والهوان • ولكن مع كل هذا فان كنا قد وجدنا البعض منه قط اتعظ فان الكثير منه لم يتعظ بل اتخذ من الوجه النازى وجها له في الجزائر ومنه استمد ابشع الطرق وأبغض الوسائل في التعذيب والتنكيل والتقتيل فكان بهذا أشرس استعمار عرفه القرن العشرون على أرض الجزائر • أما من بين الطوائف التي كانت تبدو أكثر اتزانًا واحتياطا فاننا نجد نفرا منها قد أخذ على عاتقه ومنذ مطلع عام١٩٤٦ بما في ذلك مجلة اسبري Esprit مسؤولية المطالبة بحق الشعوب في استقلالهما وتقرير مصيرها ، هذا النفر هو نفر مجلة الأزمنة الحديثة بقيادة الفيلسوف جان بول سارتر •

لقد كان يشير مؤشر التاريخ الى قرن وربع قضتهما فرنسا في نهب خيرات الجزائر واستعباد أهاليها لما تساءل سارتر عن نوع الديمقراطية التي تطبقها حكومة بلاده وعن التشكيك في مدى صدقها وتقدمها فكتب يقول:((••• من يضمن لي بأن الديمقراطية اليوم لا تسير في الاتجاه المعاكس؟ فهل لي أن أعرف كيف تطبق في الجزائر ، في "جاو – GAO "أو فقط في "كروزو – Creusot "))(١) غير أننا نلاحظ من خلال هذا النص يتحدث عن الجزائر وكأنها اقليم من أقاليم فرنسا تحتاج فقط الى العناية الديمقراطية • أما وقد حل خريف ١٩٥٤ فان أكبر وأهم قضية أصبحت تشغل مجلة الأزمنة الحديثة هي مصير الجزائر أمام الحكومات الفرنسية المتعاقبة وكانت البداية مع " بيار مندس فرانس – P.Mendes France ". عندما تلقى على يدها نقدا عنيفا حول سياسته المطبقة في الجزائر • وفي أكتوبر ١٩٥٥ ، خصصت المجلة موضوعا لها تحت عنوان : " رفض الانقياد "(٢) وفيه تكشف عن حقيقة طالما أخفاها النظام الاستعمارى وغذتها أفكاره القائمة أساسا على أن " الجزائر فرنسية " وهذه الحقيقة هي أن الشعب الجزائرى ليس هو كما تدعي فرنسا وأنه اليوم شعب ثائر لدرجة

---

١) Sartre(J.P), Sommes-nous en démocratie "Les Temps modernes, 1952, P I730.

٢) "Refus d'obeissance", éditorial signé "T M", Les Temps modernes, Oct I955, n° II8. P.P 386–387.

أن الاستعمار لم يعد أمامه غير اختيارين : اما الحكم عن طريق الرعب واما الانسحاب • وأمام هذا الوضع الخانق فان الحكومة الفرنسية لم تترك أمام الشعب الجزائري غير منفذ واحد هو منفذ القتال • ولما أصبح القمع الجماعي ، والتفرقة والتعذيب وتزوير الانتخابات ومنع الجرائد وظهور الأحزاب الوطنية هي الصورة الحقيقية التي تعكس الوجه الفرنسي في الجزائر فقد خلصت المجلة الى موقف معارض لتقول:((اذن فلمثل هذه الحرب ، فاننا نقول لا))(١) .

ولم تقف المجلة عند هذا الحد فحسب بل تشجعت أكثر لتصرخ من جديد وأمام الملأ أجمع بأنه قد آن الأوان لكي يعاد الحق المغتصب الى أصحابه كما أنه قد آن الآوان لأن يوضع حد لحلم فرنسا الأسطوري القائل بأن الجزائر هي فرنسا ، لتقول له : لا •• " الجزائر ليست هي فرنسا "(٢). ومن خلال هذا الموضوع اتخذت المجلة موقفا صريحا تمثل في المطالبة بالتفاوض والاستقلال ثم توالت بعد ذلك الأحداث وتنوعت في الجزائر بتوالي وتنوع الحكومات الفرنسية فكان أن توالت وتنوعت معها كذلك مواقف أفراد المجلة وعلى رأسهم دائما الفيلسوف جان بول سارتر • فمن نشر الشهادات المتعددة حول الحرب في المجلة مرورا بهجوم ونقد الانتخابات على الحكم المطلق لـ " قاى مولي - G. Mollet "الى الانضمام "للجنة المثقفين للعمل ضد متابعة الحرب في الشمال الافريقي" • وفي ٢٧ جانفي ١٩٥٦ أقامت اللجنة تجمعا بقاعة " وقمرام - Wafram " تدخل على اثرها جان بول سارتر بوصفه عضوا في اللجنة ليثير قضية الاصلاحات التي زعمت الحكومة الفرنسية تطبيقها في الجزائر فقال :((ستأتي هذه الاصلاحات في وقتها • وأن الشعب الجزائري هو الذى سيتولى تطبيقها • والشيء الوحيد الذى يمكننا فعله ويجب علينا - لكن ماهو أساسي ينبغي فعله اليوم - هو الكفاح الى جانبه لنخلص دفعة واحدة الجزائريين والفرنسيين من الاستبداد الاستعمارى))(٣). لقد حاولت الحكومة الفرنسية أن توهم الجزائريين والرأى العام بأن الاضطرابات الناشبة

---

١) IDEM , P 387.

٢) "L'Algerie n'est pas la France", Editorial signé"T.M", in Les Temps modernes n° II9, Nov I955, P.P 577-579.

٣) Burnier Michel-Antoine, Les Existentialistes et la politique, P. I09.

في الجزائر هي نتيجة لوضع اقتصادى مترد يحتاج الى اصلاحات ، هذه الاصلاحات التي أقر سارتر ضرورتها لكنه في الوقت نفسه رأى أنه لا يمكن أن تكون هناك اصلاحات مالم يكن مصدرها جزائريا وبعد الاستقلال .

واذا كان موقف اليمين المتواطيء مع الحكومة القائمة منتظرا ، فان سارتر يبدو أنه ، لم يكن يتوقع أن يتخذ اليسار الذى يدعي التحرر موقفا مشابها له :((ان بنية الحزب الشيوعي الفرنسي هي في تعارض تام مع سياسته . (...) وباعتبار هذا الحزب عملاقا يعد ويجمد خمسة ملايين من الأصوات ويعطل الطبقة العاملة ويتخلى بهذا من النشاط الجماهيرى للمناورة البرلمانية فاننا نجده يندد بالحرب الجزائرية لكن بكل فتور وهذا حتى يدخر الاشتراكيين من أجل اللاشيء ...))[١] أما وقد أقيم تجمع عام ١٩٥٦ تحت عنوان : " من أجل السلم في الجزائر " فقد تدخل سارتر وقتها ليلقي كلمة كان عنوانها : " المستعمر هو مجرد نظام "[٢] وترجمة سهيل ادريس" بالنظام الاستعمارى في الجزائر" وحواه كتاب : "عارنا ... في الجزائر " وفي هذا التدخل يظهر سارتر موقفا معاديا صريحا لتواجد الاستعمار الفرنسي في الجزائر اذ بعد أن كشف لنا أنه ليس ثمة مستعمر صالح ومستعمر شرير كما يدعي المستعمر نفسه فيقول: ((هناك مستعمرون وحسب ، فاذا أدركنا ذلك ، أدركنا لماذا يحق للجزائريين أن يهاجموا سياسيا قبل كل شيء ، هذا النظام الاقتصادى والاجتماعي والسياسي ، وكيف أن تحريرهم (...) لا يمكن أن يخرج الا من انهيار الاستعمار))[٣] ووفق تصرفات هذا المستعمر العرس رأى سارتر أنه من باب التعجب اذا ما حاول الفرنسيون أن يطلبوا من الجزائريين أن يقدموا لبلادهم الشكر وهي التي أتاحت لأبنائهم أن يولدوا في البؤس ويحيوا عبيدا ويموتوا جوعا . وقد يتحدث البعض على ابقاء الجزائر تحت قبضة الفرنسيين - وحدث هذا بالفعل - مع اجراء بعض الاصلاحات على المستوى السياسي والاقتصادى والاجتماعي ومن ثم التمكن في اخماد لهيب الحرب والقضاء عليها في المهد وربما الى

---

١) Sartre(J.P), Le fontôme de staline, in Les Temps modernes, P 696.

٢) Sartre(J.P), Le colonialisme est un système, in Situations V, Gallimard, Paris, 1964, P.P 25-48.

٣) جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ، ص ٨

الأبد وبهذا يكونون قد نسوا أو أغفلوا شيئا خطيرا هو أن مايعتقد أرض فرنسية ما هو الا مخادعة تاريخية وأن ماأخذ بالقوة ، وسواء طال الأمد أو قصر ، سيرد بالقوة : ((ولا شك في أن الذين يتحدثون عن ترك الجزائر هم بلهاء . فليس لنا أن نترك مالم نملكه قط))(١) . لقد لجأت فرنسا الى أبشع الطرق كما هو معلوم في تعذيب الجزائريين وامتدت يد التعذيب الى كل من أعان أو سولت له نفسه اعانة الثوار الجزائريين في حربهم التحريرية ، ولعل " هنري عليق " بكتابة " الاستجواب" لدليل ساطع على مانقول . وأمام هذه الأعمال الوحشية تحرك قلم سارتر مرة أخرى ليقدم لنا في مارس ١٩٥٨ مقالا تحت عنوان : "انتصار"(٢) وهو النص نفسه الذى ترجمه وصنفه كذلك " سهيل ادريس" في كتاب : " عارنا .. في الجزائر " تحت عنوان : "الجلادون"، وفيه يخلص سارتر الى موقف يضع فيه الرأى الفرنسي العام والخاص أمام حل فريد فيقول : ((واذا كنا نود أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكئيبة (...) وننقذ الجزائريين من الجحيم . فليس أمامنا الا وسيلة واحدة : أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام))(٣) وهذا لأنه كان يدرك كل الادراك أن الجزائرى لا يقبل عن وطنه المستقل بديلا .

لقد وقع تباعد في خريف عام ١٩٥٦ بين " فرانسيس جانسون " وسارتر على اثر سوء التفاهم الذى حدث بينهما حول التدخل السوفياتي في المجر . وكان جانسون قبل هذا بعامين قد انشأ شبكة فرنسية لمساعدة جبهة التحرير الوطني فوق التراب الفرنسي من بين هذه المساعدات تسهيل عمليات التنقل للمناضلين الجزائريين، توفير أماكنا للقاءات وغرفا للايواء ، احضار جوازات السفر عند الحاجة وجمع التبرعات للمنظمة القادمة من العمال والتجار الجزائريين القائمين في فرنسا ... الى جانب كل هذا يقوم جانسون باصدار نشرة اخبارية سرية حول الثورة الجزائرية تحت عنوان:

---

١) هنري عليق " HENERI ALLEG " : كان مدير صحيفة " الجزائر الجمهورية " وهو أصلا صحافي من يهود الجزائر واعتقل أثناء الحرب وعذب ونشر كتابه "الاستجواب" وهو فرنسي الجنسية والآن يواصل نشاطه الماركسي في باريس في " L'Humanité "

٢) Sartre(J.P), Une victoire, in Situation V, P.P 88-74.

٣) جان بول سارتر ، عارنا .. في الجزائر ، ص ٦٦.

" حقائق لأجل ..."(١). وفي هذه الأثناء أحس جانسون بضرورة وقوف سارتر الى جانبه . ومع مطلع ١٩٥٩ ، ورغم الخلاف القائم، قرر الاتصال به : ((وفي صبيحة أحد الأيام فان نفاذ صبري أمام مقاومة الانفصال قد همس الي هذه الحجة المقنعة : ليس لي الحق في أن أعارض بين القضية التي نخدمها وبين أحد الذين هم قادرون على مساندتها .(...) اننا في حاجة الى سارتر : كان واجبا علي أن أتوجه اليه ولا يهمني اذا ما أعرض عني))(٢) ولكي يتم هذا اللقاء أولا اختار " جانسون " احدى السيدات اللواتي ينتمين الى الشبكة ولها علاقة عميقة مع سارتر اسمها " مارسولين لوريدان " Marceline Loridan ".

وفي انتظار عودة مرسولته بالنتائج يقول جانسون:((لقد بقيت وحدي انتظر في الشقة المتواجدة بالقرب من مسرح " هيبارتو - Hebertot "(...) وعندما دق جرس البيت كنت أعرف أنه لم يبق لي غير الاستماع من " مارسولين " الى الشروح المؤسفة ، لكنه حدث عكس ما توقعت اذ فوجئت بسارتر يدخل الى القاعة وهو يقول : ((كنت متوقعا أن الأمر متعلق بك . اذن ، كيف حالك؟)) وبعد ، - يقول جانسون - ومن دون أن يترك لي وقتا للرد أضاف قائلا : ((اعلم انني موافق مائة في المائة على العمل الذي أنتم تتابعونه . استعملوني أو استغلوني كيفما شئتم : لي أيضا أصدقاء وهم لا يطلبون أكثر من أن يكونوا تحت تصرفك ، فأفصح لي عما أنت في حاجة اليه))(٣) . وبمجرد أن أستمع جانسون الى كلام سارتر عرض عليه استجوابا يود نشره في جريدته السرية فقبل منه العرض بالرغم من خطورته ، وكان موقفه أن أعلن وبدون تحفظ عن تضامنه مع الفرنسيين المتحررين الذين هم يساعدون جبهة التحرير الوطني فقال : ((... ان العمال الفرنسيين هم اليوم متضامنون مع الثوار الجزائريين(...) انني في اتفاق تام مع " حقائق لأجل " وهي تحاول أن تكون جماعات مناضلة التي

---

١) "حقائق لأجل" ، ترجمة ل : " Verités pour "

٢) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 2I4.

٣) IDEM , P 2I4.

بفضل العمل تستطيع أن تنقل المسألة الى القاعدة ثم الدفع بعملية ازالة الخداع الى أبعد الحدود الممكنة))(١) .

أما "أندري ملرو" André Malraux " ، الكاتب الفرنسي المشهور فقد عرف من جهته برحلاته عبر العالم وفي ٢٧ جويلية ١٩٥٨ تم تنصيبه وزيرا مكلفا "بنشر واشاعة الثقافة الفرنسية " . ولهذا الغرض ، قام في صائفة ١٩٥٩ برحلات دعائية وترويجية كبيرة الى دول أمريكا اللاتينية منها : الأرجنتين ، الأرغواي ، البيرو ، المكسيك والبرازيل . وهناك ألقى محاضرات وأدلى بتصريحات وكتب مقالات راح يبرر من خلالها السياسة الديغولية حيثما نزل ، كل مساعدة كانت تدعم وجود القوة الفرنسية في الجزائر . وكان من تصريحاته : ((ثمانمائة ألف فرنسي ومليون عربي قد اختاروا فرنسا في مقابل ثلاثين ألف فلاقة " Fellagas " يعتقدون أن الجزائر هي جبهة التحرير الوطني (...) ان ترك الجزائر يعني السماح بقتل أولئك الذين هم أوفياء لنا))(٢) .

وفي مقابل كل هذا قام سارتر برحلة الى البرازيل ليرد على الدعاية المضللة التي نشرها مالرو قبله اذ أثبت للشعب البرازيلي اليساري على وجه الخصوص كيف أن " ديغول " ماهو الا سياسي مغالط ومخادع أما " مالرو " ماهو الا وزير للملك ومن هنا فهو ليس بوزير ، بل الثقافة لا تحتاج الى وزير .

ومن بين المواضيع الحديدة التي ناقشها سارتر من خلال محاضراته أو جلساته نسجل موضوع الثورة الجزائرية وهو الموضوع الذي أخذ منه حصة الأسد اذ كان يتكرر بانتظام مع كل القاء محاضرة أو اقامة جلسة ، ولعل هذا ما دفع بممثل الحكومة المؤقتة للجزائرية في البرازيل الى أن يطلب لقاء سارتر وكانت النتيجة ايجابية ، يقول سارتر : ((لقد تحدثنا حول استعمال الدعاية لصالح

---

١) Les Ecrits de Sartre, P.P 723-729, Cité par : Durnier Michel-Antoine, les Existentialistes et la politique, P I57.

٢) Lacouture Jean , André Malraux, Le Seuil, I973, P 366.

الجزائريين وكنا على اتفاق تام))(١) . ومن هنا وحيث ما حل سارتر الا وأثار وبقوة قضية الثورة الجزائرية ، ففي " ساوبولو - São Paulo " صرح يقول: ((ليس هناك غير حل واحد ونهائي بالنسبة الى الجزائر : انه الاستقلال ، وأن تقرير المصير ، ربما أيضا ، هو أحسن وسيلة لحل المشكل شريطة أن تتلقى جبهة التحرير الوطني ضمانات حقيقية)) وقال في "ريودي جانيرو - Rio de janhiro ": ((ان حرب الجزائر تغذيها جماعات هي متصلة جدا بالمستعمرين ، وهؤلاء السكان هم يشبهون تماما مزارعي العهد القديم في كوبا (...) ولهذا الغرض ، وبوصفي فرنسيا ، فاني أحدثكم عن عيب وطني والذي هو ليس من حقنا أن نسكت عليه ، نحن الآخرين ، شيوخ أوروبا ، اذا ما أردنا أن نبقى أصدقاء الشباب الوطنيين فانه يجب علينا استرداد تقاليدنا الدولية ، بينما الدول المتخلفة فهي لا تستطيع أن تنمو الا اذا أثبتت وطنيتها))(٢) ولعل ما دفع سارتر هنا الى اثارة أهمية الوطنية والتأكيد على ضرورة ايجادها خاصة لدى الدول المتخلفة كشرط لخروجها من التخلف هو من جهة تخوف اليسار الفرنسي من ظهور الوطنية الجزائرية ومعارضتها ومن جهة أخرى لأنه يقف مخاطبا يسارا برازيليا لم يحرك ساكنا من أجل أن تنتصر القضية الجزائرية بل ولم يندد حتى لموقف حكومتهم في الأمم المتحدة المساند للحكومة الفرنسية حول هذه القضية الرئيسية .

وفي هذا الوقت الذي كان يحاول فيه سارتر قلب الموازين التي وضعها " مالرو " في البرازيل كان هناك في فرنسا أمر جد خطير يتبلور ويتحين الفرص ليطفو بعدها الى السطح .. انه أمر محاكمة شبكة جانسون وما يخفيه من مفاجآت .

في ربيع ١٩٦٠ ، بينما نجد عدد المجندين الشباب في الجزائر الذين اختاروا العصيان يزداد ، تطالع الأخبار الأوساط الفرنسية بأنه عن قريب بالضبط يوم ٦ سبتمبر من عام ١٩٦٠ سيفتح ملف قضية الشبكة السرية التي تدعم جبهة التحرير

---

١) Beauvoir(S.de), la cérémonie des adieux, Gallimard, Paris, 1981, P 465.

٢) Depêche A.F.P. Le Monde, 1° septembre 1960, Cite par:Cohen-Solal Annie, Sartre 1905-1980, P.P 517-518.

الوطني : ((وعلى اثر هذا ، يقول " شوستر Jean Schuster " : كان لـ " ديونيي ماسكولو - Dionys Mascolo " أن جاءته فكرة نشر تصريح أو **بيان** جماعي ، وهم يتخذون من هذه القضية ذريعة لهم ، يساندون من خلالها ويبررون كل مواقف أولئك الذين رفضوا أن يحملوا السلاح في وجه الشعب الجزائري بما في ذلك أولئك الذين يساعدون عمليا هذا الشعب من أن يتخلص من مستعمريه))(١) وبالفعل تم في الأخير تحرير هذا **البيان** ثم عرض على مفكرين وكتاب وصحافيين فرنسيين للامضاء وكان من بين هؤلاء الفيلسوف جان بول سارتر .. انه **البيان** الذي عرف " بنداء ١٢١ " ، حدث هذا لما كان سارتر يستعد لزيارة البرازيل . ومن خلال هذا **البيان** يكشف لنا سارتر مرة أخرى عن موقفه المساند للثورة الجزائرية بل ذهب الى حد المطالبة بمواقف الآخرين التي يريدها مدعمة لا معارضة هذه الثورة ويظهر هذا جليا من من خلال التنديد بغياب الأحزاب السياسية المتواجدة في فرنسا تجاه حرب الجزائر وعلى رأسهم الحزب الشيوعي الفرنسي .

أما عن ردود فعل هذا **البيان** فقد جاءت كثيرة ومتنوعة منها هذه العبارة التي تصدرت احدى المجلات الفرنسية : ((جان بول سارتر ، سيمون سينوري ومائة أشخاص آخرين يعرّضون أنفسهم لخمسة سنين سجنا))(٢) .

بقي أن نشير هنا الى أن هناك الكثير ممن رفضوا توقيع هذا النداء نذكر منهم على سبيل المثال : " لفي - ستروس - Lévi-Strauss- " ، مارلو بونتي M.Ponty ، " أودري - Audry " ، " موران - Morin " وآخرون .

لقد تم القبض على عدد كبير من عناصر الجمعية السرية التابعة لجانسون وذلك في شهر فيفري من عام ١٩٥٨ منهم ستة (٦) جزائريون وثمانية عشر فرنسيون ليقدموهم يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٠ أمام المحكمة العسكرية الدائمة . وكان **من بين** المحامين الذين جندوا للدفاع عن هؤلاء المحبوسين المحامي " **رولون** ديما - Dumas

---

١) La voix, 4 Octobre I960, Cité par Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980, P 536.
٢) Citée par : Hamon Herve, Rotman Patrick, Les porteurs de valises, P 289.

" Roland "* الذي كان يرى في سارتر الورقة الرابعة التي جعلته يقتنع بأنه بهذا يستطيع أن يجند العديد من مثقفي فرنسا : ((في الوقت الذي انطلقت فيه المحاكمة، كان تأثير نداء المائة وواحد وعشرين في الرأي العام قد بلغ مبلغا وذلك بمقدار بجملة يتماشى ووجود شبح سارتر الكبير الذي كان بمثابة ستار أو درع رائع . وكان اسمه لوحده كافيا لأن يرجح الموازين ويجر وراءه مفكري اليسار الفرنسي ويطلق صراح الرأي العام المعاكس))(١) .

كان رئيس المحكمة يتلقى يوميا ، وأمام الملأ ، كلمات مثل حرب الجزائر، التعذيب المستمر وما شابه ذلك ، وكلها تهدف الى نقل حقائق كانت الجزائر يومها مسرحا لها . وقد عمق المحامون في هذا الى استعمال شهود لهم وزنهم في الساحة الفرنسية منهم على سبيل المثال " بول تيتجان ـ P. Teitgen " والكاتب الفرنسي " فاركور ـ Vercors " .

ونظرا لوزن سارتر ، رجل الحرية . في هذه المحاكمة كان كلما تكلم محامي الا ورد اسمه خاصة اذا علمنا أن هذا أصبح كافيا لاثارة غضب رئيس المحكمة :((ينبغي اعادة النظر من جديد في كل القضية واستحضار السيد سارتر الى هنا ـ قال أحد المحامين ـ . فرد رئيس المحكمة وهو يستيقظ فجأة على سماع هذا الاسم : "احذروا، فلا أريد سارتر هنا "))(٢) .

كان الشهود يتعاقبون أمام الحاضرين وكان دور " كلود لونزمان ـ C.Lan-zmann " وفور انتهاء هذا الأخير من تقديم شهادته تدخل المحامي " ديما Dumas " ليعلن عن جديد طالما رفضه البعض وانتظره البعض الآخر فقال :((لقد تلقيت الآن رسالة وتلغراما بعث بهما سارتر المتواجد بالبرازيل والمشغول بالقاء مجموعة من المحاضرات هناك . أما التلغرام فيطلب فيه محتكم له عن عدم حضوره.

---

* رونالد ديما : رجل تقلد مناصب كثيرة في الحكومة الفرنسية وهو اليوم يشغل منصب وزير خارجية فرنسا .

١) Témoignage de Roland Dumas, rencontre avec A.C.S. Le I5 Octobre I984 , Cité par: Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980, P 540.

٢) Le Monde, 25-26 Septembre 1960, Cité par: Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980, P 542.

وفيه يصرح كذلك " بتضامنه الكامل " مع المتهمين • فهل تسمح لي الآن ، سيدي الرئيس ، أن أقرأ لكم ماجاء في الرسالة ؟))(١) وبعد موافقة الرئيس ، أخذ " ديما " وبكل ثبات يسمع الحاضرين ما حوته هذه الرسالة السارترية •

فماذا عن هذه الرسالة ؟ وهل جاءت لتحدث تغييرا في موقف سارتر تجاه الثورة الجزائرية ؟

ان من أهم ما يلخص موقف سارتر هو ماجاء فيها على وجه الخصوص اذ كتب يقول : ((••• في الواقع ، انه لقليل أن نعلن عن " تضامننا الكلي " مع المتهمين : فهل نحن في حاجة الى تبيين ذلك ؟(•••) انه لصعب علي بالفعل سيدي أن أتصور وعن بعد الأسئلة المحتمل طرحها علي من طرف المحكمة العسكرية • ومع ذلك اعتقد أن واحدا منها قد يشير الى الاستجواب الذى اقترحه علي فرانسيس جانسون لينشره في جريدته السرية " حقائق لأجل " وكنت قد أجبت عن أسئلته دون أى التباس (•••) كما استقبلته وأنا على وعي تام بالموقف (•••)• وكان جانسون لا يعتقد بوجود أعمال شريفة وأخرى قبيحة في هذا الميدان ، ولا بأن هناك أنشطة خاصة بالمثقفين وأخرى لاتليق بمقامهم لقد كان أساتذة " السوربون " أيام المقاومة لا يترددون في ارسال الظروف والقيام والقيام بالاتصال •

لو أن جانسون طلب مني أن أحمل الحقائب أو اسكان الثوار الجزائريين وكنت أستطيع أن أقوم بذلك دون أن أعرضهم للخطر لفعلت ذلك دون تردد •••))(٢) أما عن ردود الفعل ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة • فمن الجرائد من وصف هذه الرسالة " بالقنبلة " وأخرى " بالعبارات الخارقة " وكل تساءل اذا ماكان سارتر لا يلتمس بهذا تهمة أو حتى تعريض نفسه للسجن ••• وعلى العكس من هذا نجد من وقف من من الجرائد الى جانب سارتر مشيرين الى أن الوقت اليوم هو وقت نضال وأن هذه

---

١) Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980, P 542.

٢) Le Monde du 22 Septembre I960, Citée par: Hamon Hervé/Rotman Patrick, Les porteurs de valises, P 30I.

الوقفة السارترية تستحق الامضاء .. وجاء بعد ذلك دور الأصوات الكبيرة وكان من بينها صوت " اندري مالرو " الذي قال : ((من الأحسن أن نترك سارتر يصرخ " تحيا جبهة التحرير الوطني " في ساحة " لا كونكورد " من أن نوقف سارتر ، ونتجنب بذلك الوقوع في أكثر من خطأ واحد))(١) .

أما "ديغول" وأثناء اجتماع مجلس الوزراء الذي كان قد حدث على اثره العقوبات المسلطة على موقعي نداء ١٢١ ، فكان قد أدرك خطورة تسليط العقوبة على سارتر من جهة كما عرف أن يخرج من جهة أخرى من هذا المأزق وذلك لما اهتدى الى التفريق بين من أسماهم " بخدام الدولة " وبين من أسماهم " بالمثقفين " أمثال " فيلون - Villon " ، " فولتار - Voltaire " وروما ن رولن R.Rolland " فقال : ((هؤلاء الرجال قد سببوا بالفعل متاعبا للحكم العمومي أيام وجودهم لكن هذا لا يقلل ضرورة من أن تبقى حرية التفكير والتعبير للمثقفين محترمة وفق ما يناسب الخضوع لقوانين الدولة والحفاظ على وحدة الأمة))(٢) وهو ما حمل في نفس اليوم جريدة " باري - جور " أن تقدم عنوانا : " ديغول : "أتسامح مع فولتير ولكن ليس مع خدام الدولة " . ولما اتهم ثلاثون من موقعي البيان صرح سارتر اثر ندوة صحفية في شهر ديسمبر من نفس السنة ، بأنه قد شارك في تحرير النص وجمع التوقيعات .

ونظرا للمواقف سارتر المتنوعة المجال والتي هي ، بطريقة أو بأخرى ، لصالح الثورة الجزائرية فان أعداء هذه الثورة وعلى رأسهم أصحاب المصالح المباشرة في الجزائر لم يكونوا لترضيهم هذه المواقف فحاولوا التخلص من سارتر . يقول جانسون: ((استقر سارتر في الطابق الرابع الكائن بشارع " بونابرت " ، رقم ٤٢ . وبقي هناك الى غاية عام ١٩٦٠ ، الى حد الساعة التي حاولت فيها الحركة السرية المسلحة (O.AS) أن تعصف به نتيجة مواقفه الرامية الى استقلال الجزائر والمدعمة لجبهة التحرير الوطني))(٣) .

---

١) Temoignage de Roland Dumas, Rencontre avec A.C.S. le I5 Octobre I984, Cité par: Cohen-Solal(Annie), Sartre I905-I980, P 547.

٢) Paris-jour, 2 Octobre I960, Cité par: Cohen-Solal(Annie),Sartre I905-I980, P 547.

٣) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P I66.

وفي نواحي عام ١٩٦١ التقى سارتر " بفرانس فانو " - Frantz Fanon
وكان من نتائج هذا اللقاء أن وضع سارتر مقدمة لكتاب " فانو " الذى يحمل عنوان " معذبو الأرض " . وفي هذه المقدمة يبين لنا سارتر كيف أن موقفه المساند للثورة الجزائرية هو موقف جدلي وعلى من لم يقفوا نفس الموقف فهم مجبرون في يوم لا حق على أن يقفوه خاصة اذا ما علمنا أن المستعمر نفسه هو الذى يحطم سفينته ويحملها على الغرق ، فكتب يقول : ((انها لحظة الجدل الأخيرة : انكم تحكمون على هذه الحرب أو تستنكرونها ولكنكم لم تستطيعوا بعد أن تعلنون تضامنكم مع الثوار الجزائريين . (...) ان الوقت الذى سننضم فيه الى هؤلاء الذين يصنعون التاريخ اليوم هو قادم وأنا متأكد من ذلك))(١).

ولما وقف سارتر ، أيام الانتخابات الرئاسية ، في وجه " ديغول " فهو لم يخف قلقه اتجاه ماسيترتب عن هذا الانتخاب ، اذا ما كان لصالح " ديغول " ، من نتائج سلبية وانعكاسات وخيمة على الثورة الجزائرية ، فسمح لنفسه يقول : ((اذن نستطيع أن نتساءل اذا ما كان الانتخاب سينتهي ، في الواقع ، الى تبرير ابقاء الجيش الفرنسي في الجزائر وفي الوقت نفسه مضاعفة مميزات عمله))(٢) .

لا شك في أن نشاطات سارتر ، خاصة بعد عودته من البرازيل ، قد تضاعفت تجاه الثورة الجزائرية لدرجة أن التراجع فيها بات مستحيلا وهذا في مقابل تصرفات الحزب الشيوعي الفرنسي الذى استنكر الموقف المتخذ من طرف ١٢١ وفي مقابل تصرفات الشرطة العسكرية التي تقبض على أعضاء من جبهة التحرير الوطني لتتركهم فيما بعد فريسة بين أيدى " الحركتى " لينزلوا عليهم أشد العذاب(٣) . وهكذا ، فبعد المظاهرات الجزائرية التي أقيمت يوم ١٧ أكتوبر عام ١٩٦١ نظم سارتر رفقة " لورنست شوارتز - Laurent Schwartz " و " جمعية مريس أودان - Maurice Audin يوم ١ نوفمبر ١٩٦١ مظاهرة صامتة احتجاجية ضد القمع البوليسي القاتل

---

١) Fanon Frantz, "Préface de Jean Paul Sartre", Les damnés de la terre, P 26.
٢) Sartre(J.P), L'Analyse du Référendum, in Situations V, P I48.
٣) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 220.

ليشارك فيما بعد في المظاهرات الجماهيرية الكبرى التي تمت في نهاية عـــام ١٩٦١ و بداية عـام ١٩٦٢ : في ١٨ نوفمبر شارك في المظاهرة التي نظمها كل من الشبـــاب الشيوعـي و الاشتراكـي الموحد ( ) ، و في ١٩ ديسمبر في تلك التي قررهـا النقابيون بتدعيم من الحزب الشيوعي الفرنسي و الحزب الاشتراكي الموحد ، و أخــيرا و في يوم ١٣ فيفري عام ١٩٦٢ في المسيرة الضخمة التي جاءت لترد على المجزرة الــتي قتل فيها تسعة(٩) من المتظاهرين المناهضين للفاشية من طرف الشرطة الفرنسية • كــل هذه الأعمال لم تكن لتمر دون أن تجلب أخطارا خاصة للفيلسوف جان بول سارتر منـهـا ، و للمرة الثانية على التوالي ، أنه في عام ١٩٦٢ تم تفجير بيت سارتر بالمـــــواد البلاستيكية من طرف المنظمة السرية المسلّحة • أما اليمين المتطرف فما أقـــــام مظاهرة ، الا و نادى مطالبا : ((أقتلوا جان بول سارتر))(١).

و اذا كان هذا هو موقف سارتر من الثورة التحريرية الجزائرية أثـــنـاء الثورة فان موقف تلقيه نبأ استقلال الجزائر لم يكن ليغاير موقف فرنسا الرافضـــة لهذا الاستقلال، و لا شك . أن فرنسا في عام ١٩٤٥ ، و بعد أن تم انتصار الحلفاء علـــى الألمانيين قد تنفست وقتها الصعداء • و كانت فرحتها كبيرة لأنها تخلصت من آلامــــها الناتجة عن ذلك الاستعمار ، أما وقد تخلصت الجزائر من نفس هذه الآلام و ربما أشــد فان فرنسا لم تكن مستعدة لتبارك الجزائر عيدها الوطني هذا و لكن فرض عليها فـرضا ، فكيف لا و نحن نجد أحد ضمائرها الواعية - وهو سارتر- يقول:((ينبغي أن نقــول أ ن الفرحة لم تكن لتقبل : لقد كانت فرنسا و لمدة سبع سنوات كلبا مسعورا يجرّ وراءه قدرا حديديا كان قد شدّ الى ذنبه و هو كل يوم يزداد رعبا و هلعا نتيجة ذلك الضجيــج المزعج المنبعث من ذلك القدر• فلا أحد يستطيع اليوم أن ينكر أو يتجاهل أننا قـــد أتلفنا و جوعنا و قتلنا شعبا فقيرا من أجل أن نجعله ينحني على ركبتيه• لـــكــن - و مع كل ذلك - فهو لـم يـنحـن و بقـي واقـفـا ، رأســه الـى الـســمـاء))(٢)

---

1) Burnier(Michel-Antoine) ,Les existensialistes et la politique,P.P I40-I4I
2) Sartre (JP),Lessomnanbules , in Situations V, P I6I .

لا شك و أن موقف سارتر ، و من خلال ما عرضنا ، الى حد الآن ، يبدو لنا موقفا شجاعا و مناصرا للثورة الجزائرية ، موقفا تجسد في القلم و الفعل معا ، و لم يستسلم لا أمام مناضريه و لا أمام تخويفات النظام القائم بل و لا حتى أمام تهديدات المنظمة السرية التي حاولت أكثر من مرة القضاء عليهم .

أما وقد اطّلعنا على موقف سارتر من الثورة الجزائرية وفق طرق و مقاييس موضوعية ، ترى أننا قد وصلنا الى نقطة لا نعتبرها نتيجة بقدر ما نعتبرها نقطة انطلاق ظاهرية الى نقاط أخرى عديدة ورائية لا تتسنى لنا الا بالبحث العميق أو الغور في أغوال الكلمات الموحية أحيانا و المفخخة طورا . ولعلّه السبيل الوحيد الذي يجعلنا لا محال في نهاية المطاف نقف عند حقائق لم تكن لتطفو بالى السطح اذا لم نقم بمثل هذا البحث . و للوقوف على هذا كله ، فانه قد بقى أمامنا الآن أسئلة تواجهنا و تتلخص كلها فيما يلي :

ما هي بواعث و دوافع هذا الموقف ؟ ثم هل الموقف كان غاية في حد ذاته أم أنه مجرد وسيلة كان لا بد منها للوصول الى غاية أخرى ؟

لقد عرفت فرنسا أخيرا عدّة أزمات اقتصادية و اجتماعية و سياسية و كان من بين نتائج هذه الأزمات اللّجوء الى الحل الاستعماري ، و هو الحل الذي ما فتيء يتحقق حتى انقلب الى مصدر يغذي الأزمة بدل أن يضع حدا لها .

ان عام ١٩٤٥ اذا كان قد جاء ليقضي على آلام الشعب الفرنسي من جهة فهو من جهة أخرى قد توارى ليفسح المجال الى عالم جديد جاء لينمي بذور فناء أحلام الحكومة الفرنسية اللاشرعية ويدفع بشعبها الى شبح الخوف والمجاعة : انها الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تظهر من جديد و بقوة . تقول سيمون دي بوفوار :((هذه المرحلة لم تكن مفرحة ، لقد استولى عليّ فقر فرنسا بمجرد أن حطّت رحالها . فسياسة " ليبون بلوم "وقف الأسعار والأجور قد فشلت :لقد سجلنا نقصان الفحم و القمح

١

وترتب عن هذا انخفاض في حصة الخبز وأصبح يستحيل علينا أن نأكل أو نلبس دون أن نستغيث بالسوق السوداء غير أن أجور العمال لم تكن لتسمح لهم بذلك • ولكي يعبروا عن انخفاض مستوى معيشتهم فقد دخل عشرون ألفا (٢٠ ٠٠٠) عامل في مصنع رونو في اضراب يوم ٣٠ أفريل عام ١٩٤٦ • ولم يكن الأمر ليقف عند هذا الحد • فالمجاعة قد أثارت عدة فتن وتسببت في اضرابات أخرى - عمال الموانى ، عمال الغاز والكهرباء وعمال السكك الحديدية - والتي كان " رمادى - Ramadier " ينسبها الى قائد فرقة خفي • وعلمت وقتها بعض الانتقامات العسكرية التي أدت الى قتل ثمانين ألف شخص (٨٠ ٠٠٠) من المدغشقريين وأن الحرب في الهند الصينية قائمة •(٠٠٠) وقام الوزراء الشيوعيون بتدعيم اضراب مصانع رونو وانسحبوا في الوقت نفسه من الحكومة القائمة • في هذه الظروف ، ومن " برانفال - Bruneval " نطق " ديغول" ليعلن في " ستراسبورغ " عن تكوين حزب تجمع الشعب الفرنسي (R.P.F) ومعها ظهر الصراع الطبقي غير أن الحظوظ لم تكن الى جانب العمال ومعها أعادت البورجوازية تكوين منشآتها وكانت المناسبة تلائمها))(١) .

لا شك أن الحروب لا تقدم حلولا للأزمات بقدر ما تثقل كاهلها وتزيدها تعقيدا ، ولعل هذا بالضبط ما حدث لفرنسا لما دخلت في حروب عنيفة أبى مستعمروها الا أن يخرجوا منها ظافرين • لكن مع الأطماع الفرنسية امتدت الحروب وامتدت معها الأزمة فكانت الثورة الفتنامية والثورة الجزائرية الثورتين اللتين دفعتا بالحكومة الفرنسية الى عمق الأزمة فيما بعد • وكانت مجلة الأزمنة الحديثة هي المجلة الأولى التي شعرت بخطورة الوضع ، وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين : ((فمنذ مطلع عام ١٩٤٦ ، اتخذت مجلة الأزمنة الحديثة موقفا واضحا تجاه الحروب الاستعمارية ودافعوا عن المستعمرين ضد المستعمر • وكانت هي المجلة الأولى التي تفطنت لأهمية هذه المسائل بالنسبة لفرنسا ولليسار الفرنسي ، والأولى التي طالبت بالاستقلال الفوري لهذه الدول وبدون مقابل))(٢) .

---

١) Beauvoir(S.de), La force des choses I, P.P I82-I83.

٢) Burnier(Michel Antoine), Les Existentialistes et la politique, P 39.

ولم تكن القضية الجزائرية لتتصدر الأحداث وتشغل أقلام الصحافيين الفرنسيين والكتاب على وجه الخصوص لو لا الحرب المسلحة التحريرية التي اندلعت في أول نوفمبر ١٩٥٤ ، وكان جان بول سارتر وصحافيوا مجلته سباقين الى تغطية مثل هذه الأحداث والتنبؤ بنتائجها المستقبلية ومن ثم توجيهها وفق وسائلهم الخاصة نحو غاية تعود لا محالة في نهاية المطاف لصالح فرنسا ولصالح الشعب الفرنسي • وكانت القاعدة الصلبة التي انطلق كل واحد منها هي تلك التي كان قد وضعها سارتر أثناء تناوله الكلمة في التجمع الذي أقامته " لجنة المثقفين للعمل ضد متابعة الحرب في شمال أفريقيا " فقال : ((ان الشيء الوحيد الذي نستطيع وينبغي القيام به - لكن المهم منه هو القيام به اليوم - هو أن نكافح الى جانب الشعب الجزائري وذلك ، وفي الوقت نفسه ، من أجل تحرير الجزائريين والفرنسيين من الاستبداد الاستعماري))(١) •

وهنا نقف لحظة للتأمل متسائلين : لماذا رأى سارتر في كفاح الشعب الفرنسي الى جانب الشعب الجزائري تحريرا لكليهما ؟ ثم ما علاقة الاستبداد الاستعماري بالفرنسيين ؟ وهل كان سارتر مستعدا للمطالبة بالكفاح الى جانبهم وكان يرى أن نتائج هذا الكفاح ستكون مقصورة فقط على الجزائريين ؟ •

ان أول جواب قد يتبادر الى ذهننا هو أنه اذا ما انطلقنا من مفهوم " الوجود والعدم " للانسان ، ذلك المفهوم الذي يقدم لنا الانسان على أساس حرية محضة فاننا نستطيع أن نبرر موقف المطالبة بالكفاح الى جانب الشعب الجزائري انطلاقا من مقولته السالفة الذكر : " لا أستطيع أن أكون حرا اذا لم يكن الاخرون أحرارا " ، وان كان هذا التبرير يبدو سليما الى حد ما من الوجهة النظرية فهو ليس كذلك من الوجهة التطبيقية ، ولا نريد أن نخوض فيه الآن وسنعود اليه في وقت لاحق • أما ما نريد أن نتطرق اليه هنا هو موقف سارتر من الثورة الجزائرية في ضوء مرحلة ما بعد " الوجود والعدم " أو ما يمكن تسميتها بالمرحلة الماضية

---

١) Idem , P IO9.

من فكر سارتر السياسي وهي المرحلة أيضا التي تزامنت وموقفه هذا .

لقد رأينا في الباب الأول كيف أن سارتر كان في مواجهة مستمرة مع كل نظام ديكتاتوري وأكثر ما تمثل هذا الموقف في صراعه مع النظام الديغولي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وان كان هو يناشد النظام الاشتراكي فاننا وجدناه يعارض وبشدة النظام الاشتراكي الستاليني المغلق لأنه كان يريدها اشتراكية حرة . ومن هنا انتهى به المطاف الى أنه لا التزام الا في النظام الاشتراكي الحر .

ورأينا من قبل كيف أن سارتر كان قد اتخذ موقفا مناصرا للثورة الجزائرية ولكل من وقف الى جانبها .. فما هو اذن وجه الربط بين الموقفين وماهي الغاية من كل ذلك ؟

ان الأزمة في نظر سارتر قد جمعت بين الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومن هنا فالحروب الاستعمارية التي تسبب فيها النظام الاستعماري ماهي الا نافذة من النوافذ التي تطل منها هذه الأزمة . وللقضاء على هذه النافذة ينبغي القضاء على هذا النظام ذاته . ومن هنا أيضا كانت الثورة الجزائرية الوسيلة الأولى ، والوقوف الى جانب هذه الثورة هي الوسيلة الثانية خاصة وأن هذه الوسيلة الأخيرة لم تكن اختيارية بقدر ما كانت حتمية أملاها النظام الاستعماري القائم ، ولعل هذا ماجعل سارتر يقول بالضبط أثناء تدخله في تجمع أقيم في فرنسا تحت شعار : من أجل السلم في الجزائر : ((أريد أن أطلعكم على صرامة نظام الاستعمار ، ولزومه الداخلي ، وكيف لا بد له من أن يفضي بنا الى ما نحن عليه ، وكيف أن أطهر النيات ، حين تولد داخل هذه الدائرة الجهنمية ، تفسد على الفور ، هذا لأنه ليس صحيحا أن هناك مستعمرين صالحين وآخرين أشرارا . هناك مستعمرون وحسب . ومتى أدركنا ذلك ، أدركنا لماذا أن الجزائريين كان لهم الحق في أن يهاجموا سياسيا قبل كل شيء هذا النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ولماذا تحريرهم وتحرير فرنسا لا يمكن أن يخرج الا من

انفجـــار الاستعمـــار))(١) .

لقد كانت نتائج الاستعمار جد وخيمة ، في نظر سارتر ، ليس على الجزائـــر فحسب بل حتى على فرنسا . واذا كان الاستعمار قد سلب الشعب الجزائري كل حقوقــــه فهو بالنسبة للفرنسيين ما كان قد أعطاهم اياه باليمين فقد سلبه منهم باليســـار وزيادة . فعلى سبيل المثال يرى سارتر أن النظام الاقتصادي " لجول فيري " لم يكـن نافعا لفرنسا بقدر ماكان ضارا بها . وكان من نتائجه المباشرة اقامة الاتحاد الجمركي عام ١٨٨٤ وليبقى فيما بعد ساري المفعول . وهذا الاتحاد اذا كان من جهة يؤمّن احتكار السوق الجزائرية لصناعة فرنسية فهو من جهة أخرى يعرقل انتشارها في السوق العالمية لسبب يعود الى ارتفاع أسعارها الفاحـــش .

ولم يتف هذا الاستعمار عند حد الجانب الاقتصادي فحسب بل تعداه الى الجانب الاجتماعي ، يقول سارتر : ((انه ينشـر بيننا وباء العنصرية (...) وهو يفرض علـــى شبابنا أن يموتوا رغما عنهم من أجل مبادئ نازية نحاربها منذ عشر سنوات ، وهـــو يحـــاول أن يدافع عن نفسه بخلق فاشية في صـــميم بلادنا ، فرنســـا))(٢) اذن من هنا نرى جيدا كيف أن هذا الاستعمار هو عـــبء ثقيل على فرنسا وقد صار أثقل لما تسبـــب في اشعـــال لهيب هذه الحرب وصعدها وتمـــادى فيها : ((ففي هذه السنة - يقول سارتـر - ستكلفنا الحرب اذا ما استمرت ما يقارب ثلاثة مائة مليار (٣٠٠ مليار) ، وهـــو مايعادل العائد الاجمـــالي الجزائري))(٣) فكيف والحال هذه لا يطالب سارتر بالكفاح الى جانب الثـــوار الجزائريين خاصة وأنهم قرروا الموت أو الاستقـــلال .

والى جانب هذا كله نضيف الجانب البسيكولوجي الذي أوجدته هذه الحرب فـي أوسـاط الشعب الفرنسي اذ زرعت بينهم شبح الاتهام ، اتهام بعضهم البعض بما يجـرى في الجزائر من تعذيب وتقتيل يومي فكان أن تولد بينهم كذلك خوف المجاورة والتحدث الى

---

١) Sartre(J.P), Le colonialisme est un systeme, in Situations V, P 27.
٢) Idem , P 47.
٣) Ibid , P 46.

بعضهم البعض حتى لا تثار بينهم هذه الحقيقة ، فكانت النتيجة : ((ان الحذر يعلمنا عزلة جديدة : اننا مفصولون عن مواطنينا بدافع من خوف أن نحتقر أو نحتقر . والحق أن هذا شيء واحد ، لأننا جميعا متشابهون ونحن نخشى أن نسأل الناس لأن جوابهم يوشك أن يكشف عن انحطاطنا (...) ان الفرنسيين بكلمة واحدة ، ذوو ضمائر فاسدة ، وهذه الضمائر هي التي تجعلنا مجرمين))(١). (...) ((وبسبب هذا نحن " الجرح والسكين " ، فالهلع في أن نكون السكين ، والخوف من أن تصبح الجرح ، كلاهما يتبادلان التأثير والقوة))(٢) .

ومن المعلوم أن الثورة الجزائرية لم تنطلق وفق مبادىء اشتراكية ولم تظهر هذه المبادىء الا بعد مؤتمر طرابلس ١٩٥٦ . كما أن هذا التحول في المسار الفدائي لم يكن وليد الصدفة ولا هو نتيجة تأثيرات داخلية بقدر ما هي خارجية كان لليسار الفرنسي فيها الدور الرئيسي والفعّال وكانت البداية في شهر جويلية من عام ١٩٥٦ عند " بيار شولي - Piere chaulet " - الذي كان سبق له وأن وجه "كولات جونسون " الى اللجنة الثورية للوحدة والعمل - وزوجته " كلودين - Claudine - " حيث تم ادماج أو ضم الشيوعيين بصفة فردية الى جبهة التحرير الوطني(٣). ولم تكن عملية الضم هذه سوى خطوة أولى تمهد الطريق لخطوات أخرى لاحقة . انها محاولة تسعى الى أن تجعل من الثورة الجزائرية ثورة شيوعية في المبدأ والغاية وفي هذا الصدد يقول سارتر :- وهو يستحضر ما قاله أحد الضباط عقب الاستجواب الأول لهنري عليق - : ((قال ضابط بعد بضعة أيام : "لقد استقر في رؤوسهم منذ عشر سنوات ، منذ خمسة عشرة سنة ، انهم اذا قبض عليهم ، فيجب ألا يقولوا شيئا : ولا نستطيع أن نعمل شيئا يجعلنا ننزع هذا التصميم من رؤوسهم . لعله لم يكن يقصد غير الشيوعيين : ولكن أتراهم يظنون أن مقاتلا في جيش التحرير الوطني هو من غير هذه الطينة ؟))(٤) ولما اقتنع سارتر حسب ما بدى له بيسارية الثورة الجزائرية

---

١) Sartre(J.P), Vous êtes formidables, in Situations V, P.P 64-65.

٢) Sartre(J.P), Une victoire, in Situations V, P 74.

٣) Hamon Herve/Rotman Patrick, Les porteurs de valises, P 58.

٤) Sartre(J.P), Une victoire, in Situations V, P 82.

أو على الأقل أنها ثورة سائرة نحو تبني مبادئ يسارية أصبح يصارع على جبهتين: أما في الأولى ، فكان يعمل على التمكين السليم ، حسب اعتقاده ، للتيار اليساري في فرنسا الأم ، وأما في الثانية : فكان يعمل على استفاقة اليسار وتجنيده لمصالح الثورة الجزائرية تمهيدا لمستقبل يسترد من خلاله ما كان الاستعمار قد ضيعه بالامس.

بالفعل ، لقد كان لليسار الفرنسي دور سلبي بل وأكثر لما نرى أعضاءه يصوتون لصالح الحكومة الفرنسية في الجزائر ولم يترددوا حتى في اعلان تخوفهم من وطنية الجزائريين وهذا في اعتقادي لأنهم لم يريدوا أن يتصوروا الجزائر الا وهي مندمجة مع فرنسا تحت حكم يساري واحد . وقد سأل جانسون مرة سارتر حول هذه المسألة . وبعد أن أظهر تعجبه أمام تخوف هذا اليسار قال : ((ولكن ما يهمنا نحن هو أن جبهة التحرير الوطني تتصور الجزائر مستقلة في شكل ديمقراطية اجتماعية وأنها تعترف ، وأثناء الصراع ، بضرورة اصلاح زراعي . ومهما يكن أصل ثوارها (...) فان ظروف صراعها تجرهم نحو اليسار ومثلما فعلت ظروف مقاومتنا ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٥ : واذا كانت الوطنية الجزائرية تخيف بعض الجماعات اليسارية التي كان يجب عليها أن تعرف تجربتها وماضيها فاننا لم نتحول أبدا الى عالميين خالصين (...) والسبب العميق في ذلك يعود الى وطنيتنا (...) واليوم فالعمال الفرنسيين هم متضامنون مع الثوار الجزائريين وهذا لأنه في صالح الطرفين العاجل تحطيم أواصل الاستعمار)) ولهذا السبب أضاف قائلا : ((فأنا على أتم الموافقة مع " حقائق لأجل" لما تحاول أن تكون مجموعات ثورية تستطيع ، بالعمل ، نقل المسألة الى القاعدة لتدفع بهذا ولأبعد الحدود عملية ازالة الخداع))(١) .

ومما سبق يتضح لنا أن تحركات سارتر كانت كلها تنطلق من نقطة واحدة وهي ضعف اليسار الذى بقي ينتظر تعاقب الأحداث ، دون أن يحرك ساكنا ، تحت ذريعة أن الرأى العام لم ينضج بعد بالقدر المطلوب. وأمام هذا الوضع المزرى لواقع اليسار السياسي

---

١) Hamon Herve/Rotman Patrick, Les porteurs de valises, P I57.
(Entretien publie dans"Verités pour" , N° 9, 2 Juin I959)

لم يملك سارتر ، من جهة ، غير التشهير بضعف هذا التيار : ((لقد صرخنا ، ونددنا ووقعنا ، ووفق عادتنا في التفكير كنا صرخنا : " انه غير مقبول ..." أو " ان البروليتاريا لا تقبل بهذا ..." وفي الأخير نحن وصلنا الى هنا : اذن نحن قبلنا بكل شيء .(...) من استقالة الى أخرى ، فلم نتعلم غير شيء واحد : انه ضعفنا الأصلي))(١).
ومن جهة أخرى ، وحيث تراجع اليسار الفرنسي ، قرر التحرك حتى يحافظ أو ينقذ فرص تحقيق " صداقة " فرنسية - جزائرية مستقبلية وذلك بكفاحه الى جانب الثوار الجزائريين وتحريض الرأي العام الفرنسي حتى يقوم بواجبه ، لأن الأمر في نظر سارتر قد أصبح جد خطير لدرجة أنه : " ضاع كل شيء... " (...) غادر الرعب أفريقيا ليقيم هنا ، لأنه يوجد - مثلا - ثائرون عاقدون كل العزم على أن يجعلونا ندفع من دمائنا عار كونهم هزموا من قبل الأهالي السكان الأصليين ... " ، " وبدورنا نحن ، وخطوة بعد خطوة ، نحن نصنع الطريق الموصلة الى حالة الافتقار..."(...)" فيكفي اليوم أن يتقابلا فرنسيان للحصول على جثة مطروحة بينهما " (...)" فكل شيء قد ضاع الا اذا ... "(٢) - تداركنا الأمر وفهمنا - " أننا في حرب ، وعلينا أن ننتمي وبصورة موضوعية الى أحد الطرفين المتصارعين "(٣) فأمام كل هذا اذن تحرك سارتر وأمثاله حتى ينقذوا وضعهم الراهن آنذاك ويسترجعوا ما كان قد ضاع منهم نتيجة النظام الاستعماري. ومن هذا يمكننا أن نستنتج أن موقف سارتر وأصحابه الى جانب الثورة الجزائرية لم يكن مجرد موقف لذاته ولا مجرد موقف انساني بحت انما كان وفق شروط ومقاييس وغايات جد دقيقة اتخذ من عبارة " ماكيافيل "_ " Machiavel " الغاية تبرر الوسيلة " الاطار الأمثل والأنسب لنشاطه ؟

وما شهادة سارتر أثناء محاكمة شبكة جانسون الا دليل قاطع على ذلك إذ يقول : ((ومن جهة أخرى ، فان الفرنسيين الذين يساعدون جبهة التحرير الوطني فهم ليسوا مدفوعين فقط بعواطف كريمة تجاه شعب مضطهد ولا هم يجعلون أنفسهم في

---

(١) Sartre(J.P), Préface à Aden Arabie de Paul Nizan, Edition Maspéro,1960,P17.
(٢) Sartre(J.P), Préface aux Damnés de la terre de Frantz Fanon, P.P 14-25-26.
(٣) Péju(M.), Une gauche respectueuse , in Les Temps modernes, N° 169-170, Avril-Mai 1960, P 1525.

خدمة قضية أجنبية : انهم يعملون لصالح أنفسهم ، لصالح حريتهم ولصالح مستقبلهم ، انهم يعملون من أجل اقامة ديمقراطية حقيقية في فرنسا (...) . لقد كانوا في طليعة الحركة التي أيقظت ربما اليسار الغارق في حذر بائس ومكنته من تحضير أحسن لمواجهة امتحان القوة المحتوم مع الجيش والمؤجل منذ ماي ١٩٥٨))(١) .

لقد بات واضحا ، في نظر سارتر ، أن فرنسا الأمس ليست هي فرنسا اليوم ، وأن المفاهيم الكبيرة التي كانت تعكس مجدها أصبحت اليوم مجرد كلمات خاوية تخفي من ورائها كل معاني الاستعباد واللامساواة والغدر والتعذيب ... أنها النازية في الجزائر .

وأمام هذه التطورات الخطيرة والظهور المخيف لفرنسا فان الفرنسيين بهذا يكونون قد فقدوا كل مؤهلاتهم التي تبقيهم في مصاف الشعوب المتحضرة ، لقد انزلقوا الى مصاف اللاشعوب . وفي مواجهة هذا الوضع الفرنسي الرهيب تأتي الثورة الجزائرية لا لتقضي على آمال الفرنسيين ومستقبلهم ، كما ترى النازية الفرنسية ، انما لتمكنهم من فرصة قد تكون الوحيدة ، تعيدهم الى ماكانوا قد تخلوا عنه ، وكانت البداية مع وقف اطلاق النار اذ يقول سارتر : ((مازال الفرنسيون يحتفظون بفرصة تسمح لهم بأن يصيروا شعبا . فهم لم يعرفوا كيف يعملون بوقف اطلاق النار (...) ، انهم سائرون باتجاه مصيرهم وهم نائمون (...) ينبغي أن نعرف بأنه أمامنا اليوم هذه الفرصة الوحيدة لاصلاح أنفسنا : كسب ولاء الجيش ثم نتحد جميعا من أجل ضمان تنفيذ الاتفاقيات الموقعة . لهذا الشرط ، فان وقف اطلاق النار سيكون لنا أيضا بداية البداية))(٢) .

ان موقف سارتر الى جانب الثورة الجزائرية قد صار الآن في غاية الوضوح . فهو لم يكن أبدا ذا مصدر عاطفي انما كان وفق أبعاد سياسية مستقبلية اتخذت من فرنسا غاية ومن الجزائر وسيلة . ومن هذه الأبعاد السياسية ، والتي كنا قد أشرنا

---

١) Le Monde, 22 Septembre 1960, Cité par Hamon Hérvé/Rotman Patrick, Les porteurs de valise , P 301.

٢) Sartre (J.P), Les Somnambules, in Situation V, P.P 165-166.

اليها من قبل ، نستحضر بعد العلاقة الفرنسية ـ الجزائرية المستقبلية .

لقد بذل سارتر كل ما في وسعه حتى يفرق بين الاستعمار الفرنسي الذى هو وليد النظام الاستبدادى وبين الشعب الفرنسي الذى كان يريد أن يراه متحركا محققا للديمقراطية الاجتماعية الحقة . وما هذا الموقف الا ليشعر سارتر الشعب الفرنسي بضرورة الوقوف الى جانب الثورة الجزائرية من جهة ، ومن جهة أخرى الشعب الجزائرى بضرورة التفكير في العلاقة الجزائرية الفرنسية مستقبلا لأن الاستعمار الفرنسي ليس هو نفسه الشعب الفرنسي ، وكانت من أولى نتائج هذا الجهد ماجاء في ١٩٦١ على لسان رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة وهو فرحات عباس اذ قال : ((بالنسبة للجزائر ، فان نشاط شبكة جانسون كان مفيدا لأنه سمح لنا أن نضع كفاحنا في اطاره الحقيقي: كفاحا ضد النظام الاستعمارى وليس ضد الشعب الفرنسي . انها معركة وطنية خالية من كل معاداة للأجانب وليست لها أية ميزة دينية . فالفرنسيون الذين يساعدونكم هم دليل حي على أن تعاونا سلميا بين الشعب الجزائرى والشعب الفرنسي هو دائم الامكان))(١).

وهكذا نرى أن سارتر بالفعل استطاع أن يصيب بحجر واحد عدة أهداف وهي نفس الأهداف التي كان جانسون يسعى الى تحقيقها وكان قد عرضها في رسالة موجهة منه الى سارتر وبكل وضوح حيث قال : ((في الواقع ، كل المسألة هو أن نعرف اذا ما نحن نساعد الجزائريين بدافع الشعور بالذنب أو بدافع الرومانسية وذوق المغامرة أو بدافع اليأس أو بدافع روح الجد ، لأجل أغراض سياسية ... سواء اقتنعوا أو لم يقتنعوا ، فالأسباب الايجابية تصورها سهل : أولا : الحفاظ على فرص الصداقة الفرنسية الجزائرية ، ثانيا : ايقاظ اليسار الفرنسي مع تذكيره بدوره تجاه الرأى العام وبمن هم حلفاؤه الحقيقيين وأن مقاومة الاستعمار التي يتخذ منها مهنة له لا يمكنها أن تتم بالبقاء على حافة التماس من أجل احتساب النقاط فقط))(٢) .

---

١) Hamon Hervé/Rotman Patrick, Les porteurs de valise, P 272.

٢) Jeanson Francis, Lettre à Jean paul Sartre, Publiée par: Les Temps modernes, Mai 1960, et reprise par: Hamon Hervé/Rotman Patrick, Les porteurs de valise, P 59.

ووفق هذا المنظور أيضا أصدر جانسون العدد الأول من مجلته " حقائق لا جل " اذ أشار يقول : ((ارادتنا هي أن نثبت بالحقائق أن فقط نهاية الحرب الجزائرية يتبعها الاعتراف باستقلال الجزائر يستطيعان أن يقضيا على الخطر الفاشي ، وفقط اعتراف ايجابي وبناء باستقلال الجزائر ، مع فتح الطريق للعلاقات الأخوية بين الشعبين يكون قادرا على أن يضمن حضورا فرنسيا في الجزائر ، وأن الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من هذه النتيجة هي أن يتحد كل العمال الفرنسيين وكل قوى اليسار دون أي خصوص ...))(١)

واذا كان موقف جانسون موقفا متكاملا مع موقف سارتر فان " كامو" بحكم احتكاكه بالجماعة السارترية فهو لم يكن ليفضل مقعد المتفرجين . لقد عرف " كامو" بحبه الشديد للجزائر غير أن هذا الحب كان مقتصرا على مناظرها الجميلة وسواحلها ذات الرمال الذهبية وشمسها الساطعة مستثنيا بذلك سكانها الأصليين .

ان التاريخ لم ينكر لكامو تنديده بالمنكر في الجزائر وذوده عن الأبرياء الذين كثيرا ما كانوا يقعون ضحايا التعسف على يدي ممثلي السلطة الفرنسية غير أن هذا التنديد وهذا الذود لم يكونا ليرتفعا الى حد المس بمبدأ السيادة الفرنسية ومن هنا فلم يكن يرى الثورة الجزائرية سوى مجرد عراك بين أفراد العائلة الواحدة وأن الثوار الجزائريين ليسوا في نظره الا مجرد متمردين وتمردهم عابر . يقول جانسون في هذا الصدد : ((في نظر كامو ، لا يوجد في الجزائر أبدا " سوى عائلة واحدة " أفرادها يخنق الواحد منهم الآخر في ظلمة قدّرت عليهما بالتساوي . وهكذا فهل الحب الذي يكنه للأرض التي ولد فيها كان يمنعه من أن يتبين من أن هناك شعبا كان يعمل على استرجاع حقيقته ، الانسانية والسياسية ، على مدى مائة وخمس وعشرين سنة من الاضطهاد والاستغلال . ومن هنا كانت عبارته الشهيرة التي قالها كامو في " استوكهولم" أثناء تسلمه لجائزة نوبل : ((لو كان لي الخيار بين العدالة وبين أمي

---

(١) Citée par: Hamon Hervé/Rotman Patrick, Les porteurs de valise, P I25.

لأخترت أمي")) (١).

ومن هنا ، وبهذه المواقف الأنانية يكون " كامو " قد خرج من صمته ليكشف عن أوراقه بل أكثر من ذلك يوم أن استقبل وفدا من الطلبة المسلمين وكان من بينهم أحمد طالب الابراهيمي اذ جاء في ختام كلامه مايلي : ((أحذركم من الآن : لقد أوشكت اللحظة الحاسمة أن تصل . وهي اللحظة التي لا يجوز لأي كان أن يبقى فيها منعزلا على الهامش ، أو مترددا بين وبين ، أو مترفعا عن المعركة . واذا تمادى العنف واشتد فان الواجب يفرض على الانسان ، ويفرض علي أنا أيضا ، أن يعود الى بني قومه ، اذ لا مجال حينئذ للحياد أو للبقاء خارج المعركة)) (٢) .

ونظرا لهذا الموقف السلبي عمق سارتر صراعه مع " كامو " اذ رماه بالصمت والغموض تجاه قضية الجزائر ورأى أنه من المهم أن يخرج كامو من صمته وأن يصل الى قرار ونتيجة . ولكن ، وأمام جمود هذا الأخير المفرط لم يتمالك سارتر وذهب الى حد حشره في زمرة المثقفين المزيفين فيقول : ((ولقد قال الكثير من المثقفين المزيفين لدينا بصدد حربنا في الهند الصينية أو أثناء حرب الجزائر على سبيل المثال: " ليست طرائقنا الاستعمارية على ماينبغي أن تكون عليه ، وهناك قدر أكبر مما ينبغي من التفاوتات والتباينات في أقاليمنا فيما وراء البحار . ولكنني ضد كل عنف أنى يكن مصدره ، وليس بودي لا أن أكون جلادا ولا ضحية ، ولهذا أعارض تمرد الوطنيين على المعمرين " . وواضح بالنسبة الى فكر يشق طريقه الى مزيد من الجذرية أن هذا الموقف شبه الشمولي يعدل المجاهرة بما يلي :"(...) لكنني ضد العنف الذى قد يمارسه المستعمرون ليحرروا أنفسهم من المعمرين الذين يضطهدونهم ")) (٣).

والمتتبع لهذا الصراع القائم بين سارتر وكامو يستنتج أن أصل الصراع يعود في حقيقة أمره الى صراع ايديولوجي جعلهما يقفان على طرفي نقيض والا كيف نفسر

---

١) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 189.

٢) أحمد طالب الابراهيمي ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية ١٩٦٢ـ ١٩٧٢، تر : د/حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، بدون تاريخ ، ص ٢٥٠

٣) جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين ، تر: جورج طرابيشي،دار الآداب بيروت ، ١٩٧٣، ص ٤٤، ٤٥ .

رد "كامو" على سارتر مثيرا بذلك سكوت سارتر أمام اضطهاد الاتحاد السوفياتي لمسلمي آسيا الوسطى • وهو بهذا وكأني به يبين لسارتر أن موقفه لصالح الثورة الجزائرية لم يكن موقفا انسانيا عادلا انما كان من منظور شيوعي ولخدمة أغراض لم تكن الثورة الجزائرية سوى وسيلة لتحقيقها •

والحقيقة لو أعدنا سرد كل مواقف سارتر المتخذة لصالح الثورة الجزائرية لتبين لنا أن جل مواقفه هذه ، ان لم نقل كلها ، لم تكن بالارادية بل كانت مجرد مواقف خضعت لتيار الأحداث الجارف أنذاك ، وبعبارة أخرى فهي لم تكن نابعة من اقتناعات الذاتية فقط • بالفعل لقد امتاز نشاط سارتر أثناء الثورة الجزائرية بالكثافة خاصة خلال سنة ١٩٦٠ ، غير أنه ، وكما أشرنا من قبل لم يكن هو الفاعل الحقيقي والمباشر لهذه الأنشطة ، ومنها على سبيل المثال نشاطه الى جانب جانسون •

لقد تم تأسيس شبكة سرية مساندة لجبهة التحرير الوطني وكانت المبادرة جانسونية أما دور سارتر وبعد أن اتصل به جانسون اقتصر على تقديم تضامنه وتضامن زملائه الكلي • وما قيل عن شبكة جانسون يقال عن بيان ١٢١ • فسارتر وان كان سندا قويا لهذا البيان الا أنه لم يكن المبادر به انما مهمته تمثلت فقط في توقيعه على البيان (١) ووضع مجلته في خدمة هذا الأخير • والى جانب هذين الموقفين يضاف موقف ثالث لا يقل أهمية عنهما والذى تمثل في الرسالة التي نسبت الى سارتر وأوهم أنه بعث بها من البرازيل الى المحامي " رونالد ديما " محامي أفراد شبكة جانسون يعبر فيها عن تضامنه الكامل لهم والواقع أن هذه الرسالة لم تكن أبدا بقلمه •

فأمام خطورة المحاكمة رأى كل من " لوزمان وبيجي - Lanzmann et Péju " أن يتصلا بسارتر هاتفيا ، وبعد أن شرحا له أهمية شهادته في المحاكمة

(١) رغم تصريحات سارتر في بادئ الامر بأنه قد شارك في تحرير البيان الا أن الحقيقة غير ذلك وقد كشف هو شخصيا عن ذلك في حديث له مؤخرا : ((نعم ، ولكن العملية (بيان ١٢١) لم تكن صادرة مني بتاتا • الآن أستطيع أن أقول هذا • انهم رجال جاءوا للقائي وقالوا لي : " هل تتوقع هذا ؟" قرأته ثم قلت : " بالطبع " • لكن البيان قد تم تحريره في مكان آخر • وبعدها صرحنا جميعا بأننا اشتركنا في كتابته)) •

((Sartre(J.P), Un film réaliser par Alexandre Astruc et M.Contact, avec la participation de S.de Beauvoir, J.L.Boost, André Gorz et J.Pouillon (Texte integral), P I05.))

وافق سارتر في الأخير على أن يحررا هذه الرسالة باسمه ، أما الامضاء فقد تم تقليده من طرف الرسام "سيني - Siné "(١) . من هذا كله نستنتج أن دور سارتر في هذه المواقف لم يكن أكثر من مجرد درع وطني واق استخدمه وبطريقة حكيمة كل من أصدقائه وبعض المثقفين الفرنسيين الآخرين في صالح القضية الجزائرية التي هي بدورها ، وبالنسبة الى هؤلاء الفرنسيين ، ليست الا مجرد وسيلة لتحقيق غايات وأغراض فرنسية أخرى .

من هنا نقول في الأخير .. أن سارتر وأتباعه فان هم اختلفوا مع الديغولية والحزب الشيوعي الفرنسي في معالجتهم للقضية الجزائرية فانهم لم يختلفوا أبدا على أن غايتهم واحدة وهي تخليص فرنسا من أزمتها الخانقة والنهوض بها من جديد ..

---

١) Témoignage de Paule Thévivrin, Conversation téléphonique avec A.C.S. le 23 Octobre 1984, Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P.P 542-543.

الفصل الرابع : أثر سارتر في الرأي العام الفرنسي

ان المتأملين والدارسين للفكر الفلسفي المعاصر اليوم قد يجمعون على شيء هو أن المفكرين الفرنسيينن يكادون يتميزون عن غيرهم من مفكري العصر في أنهم يولون اهتماما كبيرا لكل مايجرى من أحداث داخل المجتمع الفرنسي وخارجه على حد سواء • وأن مما لا ريب فيه هو أن مشاركتهم الفعالة هذه في الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية وانشغالهم حتى بالحياة اليومية قد شاركت مشاركة فعالة لم يسبق لها مثيل في نشر وذيوع أفكارهم بين عامة المثقفين •

واذا كان هذا الحال ينطبق على المذهب البرغسوني بالأمس القريب وعلى المذهب البنيوى أو البنائي اليوم بقيادة ليفي ستروس Levi-Stauss وأتباعه فان المذهب الوجودى الذى سبق هذا الأخير والمقترن عادة بالفيلسوف جون بول سارتر يعتبر أدق مثال على هذا الذيوع والانتشار خاصة وقد لاءمه في ذلك الظرف التاريخي الذى كان يومئذ ورقة رابحة في يده •

لقد أفلحت الوجودية السارترية كحركة بحق في أن تجذب اهتمام الشباب الفرنسيين بعد الحرب العالمية الثانية ، شعارها في ذلك الانسان حرية محضة ، يصنع مصيره بيده • ولقد وصل بها الحد الى درجة أن الشاب الفرنسي صار يتخذ من أبطال روايات سارتر ومسرحياته مثالا يقتدى به ، وهو أمر كان قد تنبأ به جون بولان Jean Paulhan منذ أواخر ١٩٤٤ في رسالة له الى أحد أصدقائه جوهان دو Jouhan - deau ، اذ قال : ((ان سارتر هو آخذ الآن في التحول الى قائد روحي لمئات الشباب))(١) •

بالفعل لقد انتشرت الوجودية السارترية في الأوساط الفرنسية بشكل واسع جدا ولم تقتصر على الشباب فحسب بل تعدت ذلك الى الكثير من الكبار بما في ذلك المثقفين والحكام وأصبح بعدها سارتر الرجل أو الكاتب الذى لايخاف الكلمة مهما كان

---

١) Citée par; Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 294.

مدلولها خاصة وهو يتلقى الضوء الأخضر من الرجل الأول في البلاد وهو ديغول لما قال: ((اننا لانستطيع القبض على فولتير)) ، ولعل هذه المرتبة الاجتماعية هي التي دفعت بأحد السائلين في ١٩٦٨ وهو يحاوره عن المثقف الكلاسيكي الى القول : ((يمكن القول بأنك كنت الدليل والمرشد لجيل كامل من المثقفين في فرنسا ، ومع ذلك كنت من أوائل من أدرك ، على حين بغتة ، افلاس قسم كبير من ذلك الجيل ، وحاجة المثقفين اليوم الى سياسة جديدة ؟)) . فكان أن جاء في سياق رد سارتر مايلي : (((...) انني أعاين على سبيل المثال الأساتذة الذين عرفتهم والذين مايزالون مثقفين كلاسيكين ، فقد قام بعضهم بأعمال في منتهى الجرأة والشجاعة أيام حرب الجزائر ، وشاهدوا بأم أعينهم شققهم تنسف وتدمر بالبلاستيك ، الخ . بيد أن هؤلاء الناس لبثوا كأساتذة على نزعتهم الاصطفائية . وبذلك يكونون قد انضووا بجماعتهم تحت لواء الخصوصية ، في حين أنهم كانوا يناصرون بجماعهم في الوقت نفسه جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، ويؤيدون بالتالي التحرر العام الشامل ، ويرفعون بالتالي أيضا لواء الشمولية... كاملا غير منقوص))(١) .

ونحن مايهمنا في هذه الشهادة ليس انتقال المثقفين من الخصوصية الى الشمولية واعتناق سياسة جديدة انما الشهادة ذاتها والتي نستخلصها من سؤال كان بحق دليلا ومرشدا لجيل كامل من المثقفين الشامل للثورة الجزائرية ، لكن ما نريد أن نلفت اليه النظر أكثر هي ماهية العلاقة التي قامت بين سارتر وبين هؤلاء المثقفين أولا ثم بينه وبين باقي الرأى العام الفرنسي . وللكشف عن هذه القضية ينبغي علينا أن نجيب على السؤال التالي : هل فعلا كان لسارتر ، وبحكم مساندته للثورة الجزائرية ، تأثير بالغ في تحريك الرأى العام الفرنسي والدفع به الى أن يلعب دوره كاملا في تعجيل انهاء حرب الجزائر خاصة وأن هذه الأخيرة ما انفكت تؤزم الوضع الداخلي الفرنسي يوما بعد يوم وذلك على جميع المستويات ؟

---

١) سارتر جان بول ، دفاع عن المثقفين ، تر: جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٩٧

انه من المعلوم أن مفهوم التأثير هو أعمق من أن يفهم على أساس أنه عملية فعالة في اتجاه واحد دون رجعة وهو ينقسم الى شطرين : مباشر ، وغير مباشر ، أما المباشر ، فهو ينقسم بدوره الى تأثير ايجابي وآخر سلبي . ففي حالة التأثير الايجابي فاننا نجد المفعول به ينساق تمام الانسياق وفق الالتزامات والمبادئ التي يمليها الفاعل وأصدق مثال على هذا هو ما أشار اليه سارتر نفسه في مقدمته التي وضعها لكتاب " معذبوا الأرض " لفرانس فانو وهو يقدم لنا صورة كاملة عن المثقف الشرقي . غير أنه ، وفي حالة التأثير السلبي ، ولو أنه ومنذ الوهلة الأولى يبدو لنا هذا التأثير عملية عكسية تماما لسابقتها ، بحيث نسجل تنافرا كليا بين الفاعل والمتلقى للفعل ، فانه لا يمكن لنا أن نغفل فيه عن أمر مهم وهو أنه قد يكون لمثل هذا التأثير ايجابياته الفعالة بحيث يتحول هذا التأثير في يد المفعول به الى سلاح ذى حدين ، يصحح به أخطاءه في العمق ويخلط به أوراق الخصم في الظاهر وهو ما حدث فعلا ، وكما سنوضحه فيما بعد ، بين اليمين الديغولي واليسار السارترى .

بيد أن الشطر الثاني من التأثير وهو غير المباشر ، ولو أنه هو الآخر ينقسم بدوره الى ايجابي وسلبي ، فهو ليس بنفس الشدة والوضوح اللذين نلحظهما عند التأثير المباشر اذ نجد المتلقي للفعل ، في حالة الايجابي ، قد يتبنى بعض المبادئ والالتزامات من الفاعل دون الشعور بمصدرها ، وكذا في حالة التأثير السلبي غير المباشر ولو أن هذا الأخير أيضا قد يحدث بعض الايجابيات في العمق .

وخلاصة ما نهدف اليه من وراء هذا كله هو أن اجابتنا عن السؤال السالف طرحه في هذا الفصل الأخير والذى يدور حول أثر سارتر في الرأى العام الفرنسي ستكون وفق أبعاد هذا المفهوم (التأثير) المشار اليه أخيرا . لكن الملاحظ ، وأمام تعتيم الصحافيين ورقابة السلطة المشددة ، فان الحقيقة قد تتلاشى حتى من أمام أعين الايديولوجيين والمثقفين فيختلط عليهم الأمر وتشل جهودهم .

من هنا ، ووفق هذه الرؤية ، تحرك سارتر ليكشف هذه الحقيقة ويخرجها الى النور من جهة ويحرك من جهة أخرى كل غيور على مستقبل بلاده فكان أن رأى في مناصراتهم للثورة الجزائرية المخرج الوحيد لتحقيق هذا المستقبل المنشود فكانت البداية مع اليساريين .

لم تكن فرنسا تعتقد في أول الأمر أن الجزائر ستنال استقلالها بحد السيف وأن أول نوفمبر ٥٤ سيكون بداية ثورة تحريرية ليست بالقصيرة ولا بالسهلة وذلك رغم الانذارات العديدة التي سبقت ذلك آخرها ما حدث في سطيف ونواحيها عام ١٩٤٥ .

لقد كان بيار منداس فرانس P. Mendès France رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك (١٩٥٤ ـ ١٩٥٥) وأحد قادة الحزب الراديكالي يرى مثل وزيره للداخلية فرانسوان متيران Mittérand Francois ، أن قضية الجزائر لا تعدو أن تكون قضية اصلاحية ، ولو أنه اتهم من قبل بعض اليمينيين بالمتنازل عن حقوق فرنسا اذ أنه أنهى حرب الهند الصينية وقبل بالاستقلال الداخلي لتونس ... الا أنه لم يرض أن يتنازل ولو عن شبر واحد من التراب الجزائري : (((...) ولكن ، بالنسبة للحكوميين وبالنسبة لنسبة كبيرة من الرأي العام " فان الجزائر ، هي فرنسا " . انه الأمر الذي أكده فرانسوان ميتران ، وزير الداخلية لحكومة منداس فرانس أمام اللجنة الداخلية في المجلس الوطني ، في يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٤))(١). وأمام هذا الموقف المضلل تحركت مجلة الأزمنة الحديثة بمقال لها تحت عنوان : "الجزائر ليست هي فرنسا " وآخر تحت عنوان :" بيار منداس فرانس أو التباسات مارسال بيجو M . Peju " . وكانت مع هذا بداية الهجوم ومعها بداية التأثير بطريقة أو بأخرى .

أما قاي مولي Guy Mollet ، وبعد فشل منداس فرانس في تحقيق سياسة " الجزائر فرنسية " ، فهو الآخر ما فتئ ان استسلم للمتطرفين الفرنسيين أمثال

---

١) Evenо Patrick et Planchais Jean, La guerre d'Algerie, Laphomie, Alger, 1990, P 70.

روجي ليونارد Roger léonard الحاكم العام في الجزائر ، وجاك سوستال Boustelle Jacque فيما بعد ، فكان أن اشتد الكفاح أكثر وبقي الحال على تلك الوتيرة الى أن عاد ديغول من جديد الى الحكم عام ١٩٥٨ .

ومع عودة ديغول كثفت مجلة الأزمنة الحديثة وعلى رأسها جون بول سارتر نشاطها وطورته لا لتواجه الحكومة القائمة فحسب بل وحتى الأحزاب المعارضة المتواطئة كما أخذت تعمل على بث روح المعارضة النضالية في الأوساط الجماهرية ، وأمام هذا التصعيد بدأت ردود الفعل تظهر الى الوجود من بينها أعدام فرنوند ايفتون يوم ١١ فيفرى ١٩٥٧ اثر محاولة : ((لم يكن ايفيون يسعى من ورائها الى تفجير قنبلة قاتلة للفرنسيين انما أرادها كشهادة مساندة للجزائريين))(١) . وهو نفس الحدث الذى أعقبه سارتر بمقال له في مجلة الأزمنة الحديثة تحت عنوان : " اننا جميعا قتلة " . أما أكبر حدث والذى كان له دون شك الأثر الكبير في الرأى العام الفرنسي هو ما يمكن أن ندرجه تحت عنوان " سارتر وحملة الحقائب " .

ان فرانسيس جانسون ، اذا كان هو الرجل الأول في هذه المنظمة السرية ، فهو كذلك من أصدقاء سارتر الجادين والمفضلين لديه لدرجة أن جميع أعماله المستقبلية المساندة للثورة الجزائرية قامت على أساس فكرة سارترية منشؤها غياب اليسار في ساحة المواجهة .

لقد سبق لجانسون في عام ١٩٥٠ أن استدعى الى الجزائر وذلك من أجل القاء سلسلة من المحاضرات حول المسرح السارترى ، فكانت له فرصة عرف من خلالها البؤس الذى كان يعيش فيه الجزائريون . وكذا عملية الاذلال والتحقير المسلطة عليهم من طرف المستعمر الفرنسي ، ومن ثم تعرف كذلك على تذمر الجزائريين من هذه السياسة الفرنسية(٢) .

---

١) IDEM , P 193.

٢) Voir Hamon Hervé/Rotman Patrick, Les Porteurs de valise, P 34.

وبعد هذا الاكتشاف ، وبالضبط مع مطلع عام ١٩٥٩ أصدر جونسون رفقة زوجته كولات Colette.J كتابا عنوانه : " الجزائر خارجة عن القانون " وهو عبارة عن ملف مدعم بوثائق بين فيه عجز الاستعمار عن جعل " الجزائر فرنسية " ، متسائلا عن هوية أولئك الملقبين بالخارجين عن القانون والذين ما انفك الجيش الفرنسي يطاردهم يوما بعد يوم ، وعن الغاية التي ثار من أجلها هؤلاء الثوار فكان بذلك أول محاولة تحليلية حول الحركة الوطنية الجزائرية ، ودعمت مجلة سارتر هذا الموقف في نوفمبر عام ١٩٥٥ بمقال لها تحت عنوان " الجزائر ليست فرنسا " ، وبعد هذا كله : ((وفي خريف ١٩٥٥ ، تم انشاء " لجنة العمل للمثقفين ضد متابعة الحرب في الجزائر " ، وقد جمعت هذه اللجنة مثقفين ذوي اتجاهات مختلفة نذكر منهم على سبيل المثال المسيحي أندري مندوز André Mandouze وبعض المناضلين الشيوعيين القدماء أمثال ديوني ماسكولو D. Mascolo ، روبار أونتالم R. Antelme ، والعالم الاجتماعي ايدقار موران Edgar Morin الذي قال مرة : ((اننا نريد أن ننهض ضد مبدأ الحرب الاستعمارية ذاته ولصالح مبدأ حق الشعوب ذاته .)) والى جانب هؤلاء الأعضاء المؤسسين التحق بهم ، وعلى الفور كتاب آخرون هم : جان بول سارتر ، روجي مارتان دي قار R. Martin du Gard وفراسوان موریاك F.Mauriac))(١).

وبهذا الانضمام الى لجنة المثقفين ، قد أعطى سارتر دفعا قويا لهذه المنظمة خاصة وقد قدم يومها محاضرة حول الاستعمار في الجزائر قامت أساسا على التحليل الدقيق والاحصائيات المضبوطة .

أما جونسون فلم يقتصر على النظريات بل أخذ يقدم بعض الخدمات الى الثوار الجزائريين بفرنسا من بين هذه الخدمات تسكين بعض المناضلين الجزائريين ومساعدتهم على التنقل بالسيارات مع اقامة ممر سري على الحدود الفرنسية الاسبانية وقد اجمع " حملة الحقائب " على أن يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٧ هو التاريخ

---

١) Cohen-Solal(Annie, Sartre 1905-1980, P 477.

الحقيقي لتأسيس شبكتهم هذه ، وهو اليوم كذلك الذي صادف جمع تبرعات العمال الجزائريين المالية اذ صار كل شهر يجمع مبلغ يقدر بـ ٤٠٠ الى ٥٠٠ مليون فرنك قديم يحـول اما الى تونس أو الى سويسرا وذلك لحساب جبهة التحرير الوطني والى جانب هذا كلـه ، كان جونسون يصدر مجلة سرية تحت عنوان " حقائق لأجل "(١) .

وما كان عمل جانسون هذا الا ليتقوى أكثر خاصة وأن سارتر كان يقدم لـه الدعم باستمرار ، كلما طلب منه ذلك : ((لي أصدقاء أيضا ، يقول سارتر مخاطبا جونسـون ، لا يطلبون أفضل من أن يكونوا تحت تصرفك ، اذن قل لي ما هي حاجتك؟))(٢) .

ومباشرة بعد هذا الاستعداد السارتري ، سجل جانسون مع سارتر حوارا نشره في مجلته السرية ومفاده أنه اذا كان بامكان اليسار أن ينهض فان هذا النهوض مرهون بالجماهير ، ومن هنا كان لابد من تلقين الطبقة العاملة الوعي التطبيقي في عمليـة الدعم والوقوف الى جانب المناضلين الجزائريين . وبعبارة أخرى يعني أن الالتـزام الى جانب الثورة الجزائرية لا يكفي أن يكون نظريا فقط .. ، ومنذ ذلك الحـين : ((أدرك الاثنان أن الفيلسوف لايمكن له أن يكون من حملة الحقائب (...) وبالمقابل ، فهو يحرض أصدقاءه على أن يلتزموا بذلك))(٣) .

وبالفعل كانت النتيجة أن تجند كل أعضاء التحرير في مجلة الأزمنـة الحديثة لمناصرة القضية الجزائرية نذكر منهم برنار بانجو B.Pingaud ، مارسيل بيجي M. Peju وكلود لونزمان C. Lanzmann . ثم الى جانب هـؤلاء يضاف الكاتب فاركور Vercors صاحب كتاب " صمت البحر " الذي من جملة ماقاله وهو يعرب عن موافقته التامة والعميقة مع ماتصدره مجلة " حقائق لأجل " : ((عندمـا تموت الحريات (أو هي على فراش الموت ، والقضية قضية شهور) ، فلن يجد هنـاك غير حرية واحدة ، انها الحرية التي تمنحنا اياها الحياة السريـة))(٤) .

---

١) Voir Eveno P/Planchais J, La guerre d'Algerie, P.P 269-270.
٢) Jeanson Francis, Sartre dans sa vie, P 2I4.
٣) Hamon H /Rotman P, Les porteurs de valise, P I57.
٤) IDEM , P I58.

وكان فاركور أيضا يحضر بعض الاجتماعات التي كانت تقام باسم " جماعة لوديك" " Groupe le duc " بمنبرناس وحيث تم الاتفاق بحضور سارتر ، لودوك وآخرين على تكوين جمعية من المثقفين ضد الحرب في الجزائر غير أن هذه المبادرة ما فتئت توجد حتى انطفأت شمعتها .

وبعد عودة الجينيرال ديغول الى الحكم تم الكشف عن شبكة جونسون وألقى القبض على بعض العناصر من " حملة الحقائب " وهو الأمر الذى دفع بجونسون الى الابتعاد قليلا عن ساحة العمل ، غير أنه ، وأمام التعتيم الصحفي للحقيقة الجزائرية ، أبى الا أن يتولى الأمر بنفسه وفي قلب مدينة باريس أخذ يلقي محاضرة اعلامية حول حقيقة الحرب الجزائرية . وقد ألقي القبض على صديقه الكاتب جورج أرنود George Arnaud الذى لخص هذه المحاضرة في جريدة " بارى - براس "(١) .

أما مجلة الأزمنة الحديثة فقامت باعمال استهدفت تحريك الرأى العام وعلى رأسه اليسار المتحجر ، وكان أن نشر مارسيل بيجي مجموعة من المقالات تحت عنوان " اليسار المحترم " ، وهو عنوان ، لا محالة ، مستمد من العنوان الذى كان سارتر قد عنون به مسرحية " العاهرة المحترمة " قاصدا من وراء ذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن دون شك ، فان هذه الأحداث المتوالية كان لها الدور الفعال في تحريك الرأى العام وعلى رأسه ما سمي " باليسار الجديد " .

ففي ربيع ١٩٦٠ ، وفي الوقت الذى لوحظ فيه أن شباب الخدمة العسكرية الفرنسية قد اختار العصيان العسكرى ورفض التجنيد ، تم الاعلان ، وعن طريق الصحف ، عن اليوم الذى ستبدأ فيه محاكمة أصدقاء جانسون وهو يوم ٦ سبتمبر ١٩٦٠ فجاء هذا الحدث ليضفي على مشروع نداء " ١٢١ " شخصية صبغة خاصة : يخبرنا جون شوستر

---

١) Voir Eveno P./Planchais J., La guerre d'Algerie, P 271.

J.Schuster ، أنه على اثر الاعلان عن تاريخ هذه المحاكمة تبادرت الى ذهن ماسكولو Dionys Mascolo فكرة القيام بنداء جماعي وكان الهدف منه مساندة وتبرير كل من يرفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري بما في ذلك أولئك الذين يساعدونه على التحرر (١) .

هذا البيان الذي نشر بتاريخ ٦ سبتمبر ١٩٦٠ جاء ليلبي آمال كثير من المثقفين اذ وصل عدد الموقعين في بداية الأمر إلى" ١٢١ " وهو الاسم التاريخي الذي اشتهر به البيان ، ليضاف فيما بعد وعلى دفعتين متتاليتين " ٤٩ " موقعا ، وكلهم من رجال الثقافة . وبمجرد ظهور البيان توالت الهجومات الصحفية التهكمية ، أما الحكومة الفرنسية فقد اتخذت قرارات جد قمعية بل وقد صعد الموقف وزير العدل ايدماند ميشلي – E. Michelet بمضاعفة العقوبات لمن يحرضون الجنود على الفرار أو العصيان مستقبلا : ((هذا البيان الذي كان له – وكما كانت الأمنية – أثر القنبلة في أوساط الرأي العام الفرنسي ، قد ساهم ، وعلى مدى أوسع ، في ايقاظ قوى اليسار وتجنيدهم خلال السنتين الأخيرتين من حرب الجزائر))(٢) .

ولم يكن تصادف هذين الحديثين ، حدث المحاكمة وحدث اصدار البيان ، عن غير قصد انما تضافر الحدثان حتى يكون لهما الأثر البالغ المرجو على جميع المستويات وقد حدث ذلك ولو أن الاعلان عن البيان ، ورغم سريته ، قد تم قبل الموعد في يوم ١٧ أوت ١٩٦٠ من طرف الصحفي جيل مرتيني G. Martinet حيث ذكر وقتها ثلاثة موقعين : اندري بروتون A. Breton ، سارتر وآلان روب – قريي A.R. Grillet.

وخلاصة القول أن هذا البيان كان له فعلا الأثر العميق في الرأي العام حتى على المستوى الخارجي ، وفي هذا المجال يقول ماسكولو D. Mascolo في رسالة

---

١) Sartre(J.P), Situations IV, P 62.
٢) Samir Amin, Bourdet C., Burguière A., et autres, Le tiers Monde et la gauche, Edit du Seuil, 1979, P I7I.

له الى موريس بلانشو Maurice Blanchot : ((ان ايليو فيتو ريني E.Vittorini ، الرجل الذي هو جالس معي الآن أثناء كتابة الرسالة يقول لي أن" نص " رسالتنا يحايبه الرغبة في أن يكون فرنسيا ، وأن هذا يعد عملا مهما وأنه بمثابة عمل يعد مقاومة ، لأن المقاومة ، قبل أن تكون حركة كان ينبغي عليها أن تكون رفضا (لا) أو تعبيرا رافضا))(١) .

أما في الداخل وعلى مستوى الصحف ، ورغم توزيع النص الكامل للبيان بما في ذلك التوقيعات ، فلا أحد استطاع أمام الرقابة الرسمية المشددة نشره ولم تشر الى هذا الا مجلة الأزمنة الحديثة التي عبرت عن الحدث بطريقة خاصة اذ ظهرت في شهر أكتوبر للجمهور تنطوي على صفحتين بيضاوين احتجاجا على هذه الرقابة .

وفي يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٠ ، شرعت المحكمة الدائمة للقوات العسكرية بباريس في محاكمة رجال شبكة جانسون بحضور المحامين المكلفين بالدفاع عنهم وهما رولون ديما وجاك فارجس J.Vergès . أما سارتر ، ورغم غيابه ـ اذ كان موجودا بالبرازيل في مهمة هي الأخرى مسطرة في هذا الاطار ـ فان طيفه ووزنه في هذه القضية كان كبيرا وحاضرا الى جانب المتهمين وفي ملفات المحامين خاصة : ((في اللحظة الأولى التي بدأت فيها المحاكمة ، يقول رولون ديما ، وهو يعلق عن ذلك الحدث اليوم ١٩٨٠ ، ان بيان ١٢١ قد أحدث أثرا بليغا في الرأي العام وذلك بمقدار ما كان طيف سارتر الكبير حاضرا معهم كحاجب أو كدرع رائع . فقد استطاع اسمه لوحده أن يرجح الموازين وأن يجر وراءه مفكري اليسار واعطاء انطلاقة التطور نحو قلب الرأي العام السائد (...) لقد كان الناس ، في المساء ، يقيمون طوابير من أجل حضور جلسات هذه المحاكمة ...))(٢). ولعل ما زاد الوضع أكثر تعقيدا هو وصول الرسالة التي كان يعتقد أنها سارترية وفيها يعلن سارتر صراحة أنه مع أنصار جانسون وأنه مستعد حتى لحمل الحقائب لو طلب منه ذلك .

---

١) Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 539.

٢) Temoignage avec Dumas R. , rencontre avec A.S.C le 15 Octobre 1984, citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 540.

كل هذا ما كان ليمر دون تأثير أو رد فعل من طرف الأوساط الثقافيـــة أو الشعبية وعلى المستويين الداخلي والخارجي .

فالى جانب ما سلف ذكره نسجل التدخل المساند من طرف " لجنة السهـــر الجامعي " الذي تعلن من خلاله أن بيان ١٢١ : ((يعكس جوهريا الارادة الرافضة للحكومة علانية وسائل متابعة الحرب غير العادلة في الجزائر (...) ثم تقول - اننا نطمئنكم (كل الموقعين) على تعاطفنا وتقديرنا لكم))(١) .

وكذلك اتخذت " لجنة العمل الجمهوري للفنانين وكتاب الفن " موقفا انضمت من خلاله الى أولئك الذين يطالبون بالعفو الشامل لموقعي بيان ١٢١ .

ولم يكن الأمر ليقف عند هذا الحد فحسب بل تجاوزه الى خارج الحدود الفرنسية فكان صدى قضائي محاكمة أنصار جانسون وموقعي البيان عميقا وقويا اذ سجل العديد من المظاهرات المساندة من طرف الطبقة المثقفة في كل من ايطاليا ، ألمانيا ، أمريكــا وبريطـــانيــا .

وفي أعقاب هذه الردود المتنوعة ، يجدر بنا أن نشير الى أن نص البيـــان والى غاية شهر ديسمبر من نفس السنة ١٩٦٠ ، لم يكن بعد قد نشر في الصحافة بل وحتى المحاولة الاجتماعية التي كانت قامت بها مجلة الأزمنة الحديثة تسببت لها في مصادرة ذلك العدد يومها . وأمام هذا الوضع ، وفي اطار محاولات ديونيس ماسكولو لنشر هــذا البيان التقى بميتيران ، وعرض عليه خطة تسمح له بنشر نص البيان فقال : ((لـــو تمكنت من قراءة نص البيان أثناء احدى حصص الأسئلة الشفوية في المجلس الوطني ، فــان النص سيعاد طبعه رغما عنهم في الجريدة الرسمية ، مما يوجد سابقة تسمح لنا بنشـــره بعدها نهائيا ...)) . لكن ((على حد تعبير ماسكولو اليوم ، فان ميتيران لم يـــرد لا بنعـــم ولا بلا ولم يحـــرك بعدها ساكنـــا))(٢) .

---

١) Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P 545.

٢) Temoignage de Mascolo D. , Citée par: Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, P.P 551-552.

ومن تونس ، وفي يوم ٧ أفريل ١٩٦١ ، كتب فرانس فانو رسالة الى ناشره ماسبيرو يقول له فيها مايلي : ((... أطلب منك ، وأنا أعرف بأنك ستلبي طلبي هذا ، أن تسرع بطابع هذا الكتاب (معذبو الأرض) : اننا في حاجة اليه في الجزائر وفي أفريقيا ... وأطلب كذلك من سارتر أن يضع له مقدمة))(١) ، وهي المقدمة التي يمكن أن نعتبرها نسبيا أنها أروع وأحد كلام عرفه أسلوب سارتر في المجال السياسي .

وعقب هذا ، وبالضبط في صائفة عام ١٩٦١ بمدينة روما كان أول لقاء جمع فانو بسارتر ويبدو أن أحداث الجزائر هي التي كانت وراء ، وعجلت حدوثه . أما كتاب " معذبو الأرض " مدعما بمقدمة سارتر فهو بمثابة ثورة كان القصد من ورائها ايقاظ الرأي العام الأوروبي والفرنسي على الخصوص وترهيبه لا مهاجمته والقضاء عليه ، ولعل أكبر دليل على ذلك ترجمته الى سبعة عشر لغة وسحبه الى ما يزيد عن مليون نسخة . والى جانب هؤلاء ، وبدرجة أقل ربما ، نذكر كلود بوردي Bourdet . C . لقد اهتم هذا الأخير بنشاطات عديدة وتقلد مناصب سياسية متنوعة . فبعد أنضمامه الى المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني كعضو فعال وجد نفسه وسط ما يسمى باليسار الجديد ومؤسسا ، رفقة جان بول سارتر وآخرين " التجمع الديمقراطي الثوري" وهو التجمع الذي حاول ، وان لم يعمر طويلا ، فضح أعمال الاستعمار ودفع عجلة التحرر في كل من آسيا وأفريقيا على حد سواء ... وكان آخر منصب عرفه هو ادارة مجلة " فرانس - أوبسارفاتور " . ولعل لقاءه مع سارتر في تجمع سياسي كان له الحافز الدائم في اتخاذ مواقف مناهضة للاستعمار .

لقد عانى الشعب الجزائري أبشع التعذيب والتنكيل على يد الكثير من الجلادين الفرنسيين ليبلغ أوجه على يد السفاح ماسو Massu ، وهم ، كما وصفهم سارتر ، رجال أختيروا خصيصا لمثل هذا العمل ، وكأنهم يولدون مزودين بفطرة التعذيب

---

١) Archives Maspéro, Lettre inedite, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P 555.

هذه فجاوزت مدرستهم بذلك وبكثير مدرسة " الجاستابو " الألمانية ، وكيف لا وبوردي يشير الى ذلك ، والتعذيب الفرنسي ما زال في مهده عام ١٩٥١ اذا ما قورن بعهد ماسو ، متسائلا فقال : ((هل توجد " جاستابو " فرنسية في الجزائر ؟))(١) .

وكلود بوردي مثله باقي السارتريين ، يلتقي والفكر السارتري، في أن اليسار الفرنسي بقي جامدا لا يحرك ساكنا تجاه القضايا التحررية بل وكثيرا ما شارك في القمع أو قمع بيد من نار محاولات تحررية ولنا على سبيل المثال في ٨ ماي ١٩٤٥ ذكرى، وعبرة لمن أراد أن يتذكر أو يعتبر . وأمام هذه التصرفات الحمقاء ، في نظر اليسار الجديد ، لأنها كانت تحمل بصمتها هذا على تضييع جزائر المستقبل بعد أن تأكدوا من ذلك ميدانيا ، اذن بوردي التحق بالسارتريين ومن جملة ما يؤكد ذلك قوله : ((أي نهج كان سينتهجه ذلك الفتنام الذي كنا حرمناه أو نزعنا منه استقلاله عام ١٩٤٦ أو عام ١٩٤٧ ، أو تلك الجزائر التي كان في مقدورنا أن نحررها دون سلاح وذلك انطلاقا من تطبيق نزيه لقانون ١٩٤٧ ومن الانتخابات الجزائرية التي كنا ، في عام ١٩٤٨ انقذناها من فضيحة التزوير .))(٢) .

ومن هنا ، ومع ضخامة الخسائر التي ترتبت عن هذه الحرب التحررية القائمة ونظرا للنتائج الخطيرة المتوقعة في المستقبل القريب على الأمة الفرنسية ، وأمام تسليط سارتر وأتباعه أضواء نشاطهم السياسي المكثف على هذه الأوضاع بالذات ، فان خاصية وخطورة الحدث ما كانت لتمر دون أن تدفعا بالشباب الفرنسي وعلى رأسهم طلاب الثانويات والجامعات في خضم المعركة .

فأما معركة الثانويين ، ووفق شهادة مادلان روبريو M. Rebérioux ، فقد كانت هي السباقة الى الوجود ، وذلك أثناء العام الدراسي ١٩٥٦ - ١٩٥٧ بثانوية مارسولان - بارتيلو التي يصل تعدادها الى أربعة آلاف طالب . وكان السبب المباشر

---

١) Eveno P./ Planchais J., La guerre d'Algerie, P.P 200-202.

٢) Bourdet Claude, La gauche mélancolique, in Le Tiers Monde et la gauche, Le Seuil, Paris, 1979, P I32.

في تكوين لجنتهم المسماة ... "لجنة ما بين الثانويات ضد حرب الجزائر " يعود الى مقتل المحامي علي بومنجل في ٢٣ مارس ١٩٥٧ باحدى سجون الجزائر وأدى هذا الى توقف استاذه روني كابيتون Reni Capitant عن التدريس احتجاجا على هذا الاغتيال بكلية الحقوق • ومباشرة بعد الحدث اجتمع عدد من الطلبة الفرنسيين بباريس وأنشأوا اللجنة السالفة الذكر والتي ترأستها أربع طالبات : الطالبة بيانكا لومبلان B. Lamblin وهي من الأسرة الماترية وأخريات ينتمين الى مؤسسات يسارية وأخرى مسيحية من اليسار المتطرف • وقد عملت هذه اللجنة على تحريك الرأي العام الطلابي لكن العمل لم يكن سهلا أمام عراقيل الحزب الشيوعي الفرنسي خاصة مع جاك شومباز Jacque chambaz المكلف بتتبع نشاط المثقفين • ففي عهده ، كل عمل كان يجب أن يمر ، في رأيه ، عن طريق الحركة السلمية ، بل ذهب الى أبعد من ذلك ، وهو الأمر الذي لم يكن معروفا وقتها ، اذ كان يمنع حتى مناضليهم من أن ينضموا الى صفوف أولئك الذين يساندون الثورة الجزائرية غير أن اللجنة الطلابية وهي واعية بعدم جدوى هذا الموقف ، رفضت الانسياق أو الرضوخ له(١).

وأما الطلبة الجامعيون ، فقد كانوا هم كذلك من بين الأوائل الذين وقفوا في وجه استمرارية الحرب وما قد ينجر عنها من مخاطر تهدد قواعد ما أسموه بالديمقراطية الفرنسية بل وحتى مستقبل فرنسا ذاته علما بأن فرنسا كانت قد بعثت الى الجزائر ، زيادة عما كان من قبل ، عددا كبيرا من شبابها دون أن يحدث ذلك التجنيد ولو تغييرا بسيطا في خريطة المواجهة المسلحة • ومن هنا نظم الطلاب الجامعيون الفرنسيون أنفسهم وأخذوا يطالبون بالسلم في الجزائر وفي الوقت ذاته بحقهم في تأجيل التجنيد • وكل هذا جاء ليصادف وقت محاكمة أنصار جانسون مدعما ببيان "١٢١ " فكان دوي الانفجار شديدا •

---

١) Eveno P./ Planchais J., La guerre d'Algerie, P.P 200-20I.

وفي شهر أفريل من عام ١٩٦٠ تم عقد المؤتمر التاسع والأربعين للاتحاد الوطني للطلاب الفرنسيين وذلك بمعهد متعدد التقنيات بمدينة ليون وقد دار موضوعه الرئيسي حول الموقف الذي ينبغي تبنيه تجاه الحرب الجزائرية، وكانت النتيجة أن كان شبه انقسام في بادئ الأمر بين الطلاب : ((ففي مقابل أقلية " غير مسيسة " أساسا ، فان أكثرية الممثلين اتفقوا على اقتراح يلزمون فيه المسؤولين الفرنسيين على أن يدخلوا في تفاوض مع الحكومة الجزائرية المؤقتة))(١) .

وبعد أن تم انتخاب مكتب جديد وضع على رأسه الطالب بيارجودا P.Gaudez وهو من الكاثوليكيين اليساريين . وفي غضون أسابيع من بعد ، ظهر الانقسام وتجلى اذ المعارضون اليمينيون من الطلاب أعلنوا الانشقاق وكونوا فيديرالية طلابية وطنية تعلن وبكل وضوح عن تمسكها بمقولة الجزائر فرنسية(٢) .

بيد أن الاتحاد الطلابي لما حاول الاتصال مع نقابات أخرى اصطدم بأحقاد الآخرين القديمة لنزعتهم ومن ثم فلم يتمكن من أن يمد اليه ولا أحد من قلد النقابات العمالية : ((فالكل كان يجد لذة في أن ينطق بكلمة " السلم " ، لكن ولا أحد زل ولو بمجرد محاولة اصلاحية لمجل الاعلان عنها . لقد كانت النقابات مسايرة للأحزاب اليسارية، بعيدة عن بعضها البعض ومتسمة فيما بينها ، وغير قادرة على أن تتخذ مبادرة واسعة النطاق أو بعيدة المدى : كان الشيوعيون ينتظرون استيقاظ "الجماهير" والاشتراكيون يعدون في صفوفهم البعض من الذين يعتبرون ألد خصوم التحرر))(٣) .

لكن ورغم كل العراقيل استطاع الاتحاد أن ينظم مظاهره تنادي بالسلم وذلك بعد ان استطاع أن يحصل على تأييد كل من فيدرالية التربية الوطنية (F.E.N) والكونفيدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين (C.F.T.C) وفدرالية العمال (F.O) غير أن هذه المظاهرة التي كانت مقررة ليوم ٢٧ أكتوبر ١٩٦٠ قد منعت في الأخير

---

١) Eveno P./ Planchais, La guerre d'Algerie, P 265.
٢) IDEM , P 265.
٣) IBID , P 266.

من طرف وزارة الداخلية ، لكن ، وتحسبا لما قد ينجر من وراء هذا القرار سمحت للمتظاهرين أن يعقدوا جمعية عامة باحدى القاعات وقد تم عقدها فعلا بالقاعة الكبيرة الموجودة بالحي اللاتيني تحت شعار " السلم في الجزائر " ، وانتهت في الأخير ورغم كل الاحتياطات المتخذة بمشادات عنيفة مع الشرطة المحلية : ((وأيام قلائل من بعد ، تقدم ديغول بخطاب جديد متلفز وعبر الأثير ليتكلم في هذه المرة وبكل وضوح عن " الجمهورية الجزائرية "))(١) .

كل هذه التحركات تمت في عمومها على مستوى التنسيق الجماعي ، أما على المستوى الفردي فاننا نسجل كذلك ، من هنا وهناك ، بعض المبادرات التي قام بها بعض أنصار سارتر وعقدوا العزم على تقديم يد المساعدة للثوار الجزائريين المقيمين بفرنسا وهذا بعد أن يئسوا من كل الخطابات الجوفاء خاصة منها اليسارية . وفي هذا الصدد ينقل لنا أحد الباحثين احدى الشهادات فيقول : ((وبمرسيليا ، نجد مناضلا من اليسار الجديد ، اسمه لوسيان جيبلان Lucien Jubelin ، وقد كلّ من الخطابات ، انطلق مفضلا العمل المباشر . وهو حامل لشهادة الليسانس في الفلسفة ، سارتري الاتجاه ، كان ينسق بين مبادرته وبين مبادرة العمال المسيحيين في العمل على ايواء الجزائريين المطاردين))(٢) .

وهكذا ، نكون على العموم ، قد رأينا كيف كان تأثير سارتر في اليساريين . ورأينا كيف أن أكبر حدثين بارزين كانا قد تمثلا في محاكمة أنصار جانسون وموقعي بيان ١٢١ وهما الحدثان اللذان استطاعا بحق أن يجرا وراءهما كل قوى اليسار تقريبا وبعض المنظمات النقابية .

واذا كانت مجمل مواقف " اليسار الجديد " قد سايرت الموقف السارتري ، فان منهم من دخل معه في صراع فكري ورأى أن المعطيات التي بنى عليها السارتريون موقفهم من الثورة الجزائرية ليست كلها صحيحة وأن الواقع يكذبها ، ومن بين هؤلاء

---

١) IBID , P 267.

٢) Hamon H./ Rotman P., Les porteurs de valise, P 63.

الصحافي جون دانيال J.Daniel • وتبعا لخطتها الهجومية فان مجلة الأزمنة الحديثة هي التي بادرت بالهجوم فأصدرت مقالا لها تحت عنوان :" اليسار الفرنسي وجبهة التحرير الوطني "(١) ويتلخص هذا المقال في نقطتين رئيسيتين : فأما الأولى ، فهي تنطوي على أن استقلال الجزائر يقوم بالضرورة على انتصار قوى اليسار في فرنسا وعليه فينبغي لهذه القوى أن تتفطن لمخططات ديغول المعادية لها وأولها الاستعانة بأنصار اليمين المتطرف • وأمام الاعتقاد أن هذا القرار الديغولي قد ينعكس عليه سلبا فان اليساريين بهذا يكونون قد وقعوا في التحليل الخاطئ لأنه مهما كان موقف المتطرفين فاما أن يفشل (حالة المعارضة) واما أن يذوب في الديغوليين وهو احتمال أكده حدث ١٣ ماى ١٩٥٨ بالجزائر ثم أن الحرب هي دائما مستمرة وأن ديغول هو الوحيد الذى يستطيع منع مواصلة هذه الحرب ••• وأمام هذا الوضع ، وخوفا من أن تتهم بالسلبية ، أجبرت القوى اليسارية نفسها على أن " تتفهم " السياسة الديغولية بحثا عن بعض الكمونات الايجابية ومعها حاولت أن تحرك الجزائريين في نظرتها هذه ، ولعل أصدق مثال على هذا هو ما قدمه موريس ديفارجي Maurice Duverger في مقال له أصدرته جريدة " لوموند " أو جون دانيال في مقال له أصدرته مجلة " اكس براس " • لقد أعادوا أمر الحرب الى عامل بسيكولوجي مثلوه في سوء الفهم القائم بين الطرفين المتنازعين حيث الاصرار فيه يعود وبأوسع نسبة الى حساسية ونقص المدلول السياسي لدى قادة جبهة التحرير الوطني ••• وفي هذه النقطة بالذات كان غياب اليسار تاما •

وأما النقطة الثانية ، فهي تتلخص في أن انتصار اليسار ، وبصورة أوسع ، الفرص التي تسمح بتغيير ثوري في فرنسا تمر بالضرورة عبر كفاح جبهة التحرير الوطني • غير أن هؤلاء يتحدثون بالفعل عن " السلم " ولكن أي سلم هذا الذي يبقي الاستعمار الفرنسي في الجزائر ؟

وبعد شهرين تقريبا ، جاء رد جون دانيال في مقال له تحت عنوان :" الاشتراكية

---

١) La gauche Française et le F.L.N, Signé Les T.M, in Les Temps modernes, Mars 1960, et repris dans: Le Tiers Monde et la gauche, P.P I60-I65.

ومناهضة استعمارية "(١)، وخلاصة ماجاء فيه أنه يشير بادئ ذي بدء الى أن مجلة الأزمنة الحديثة قد طرحت مشكلا جادا يعالج واجب اليسار الفرنسي تجاه جبهة التحرير الوطني • وبعد أن سجل كل الاتهامات الموجهة اليه انتقل الى الدفاع • ونظرا لمعاشرته رعب وأهوال الحرب الجزائرية فهو يرى أنه لهذا السبب كان مفتونا بمعرفة "الكمونات الايجابية " للعنف الديغولي فيحولها الى معركة سياسية ناجحة خاصة وأن ساحة المعركة المسلحة أصبحت تعرف قوتين متساويتين كان من نتائجها فكرة التحدث عن التقسيم الجغرافي للجزائر ، ثم أن دور القوة لا يتجاوز التحضير للمعركة السياسية • بيد أن كون تحرير الجزائر يمر بالضرورة عن طريق اليسار ، فان هذه الفكرة يراها دانيال فكرة خاطئة بل هي أكثر خطأ بالنسبة للجزائريين مما هي عند أي شعب مستعمر آخر • فاليسار الفرنسي ليس مناهضا للاستعمار بطبيعته ، انما هو معارض فقط للاستغلال الاقتصادى ، أما من الناحية الايديولوجية فهو امبريالي وهذا ماأدى به في الجزائر الى تبني سياسة الاندماج • وفي هذا النهج ووفق الموفقية العالمية للاشتراكيين الرافضة لفكرة وطنية الثورة سار الرئيس الاشتراكي قاى مولي ، ولما كان الاندماج ، كما صرح سوستال ، أطروحة يسارية فان الديغولية وجدت نفسها مضايقة في أن تقدم فرصة تستقل سياسيا من طرف الوطنيين الجزائريين • وينتهي في الأخير دانيال الى أن اليسار ليس ضروريا للجزائريين ولو كان كذلك لأوجدوه • والشيء الآخر هو أنه ليس مهما أن يكون ديغول ليبيراليا أو غير ذلك أو أن يحاول مخادعة جبهة التحرير الوطني بل المهم أنه قدم ثغرة يمكن لموجة الوطنية الجزائرية أن تتسلل منها لتقف اما على الاتفاق الضرورى الذى يضع حدا للعنف ، واما لتكشف ، وأمام الرأى العام العالمي ، عن سوء وخبث النية الديغولية • أما ربط اليسار بالثورة الجزائرية فهو ليس أمرا ضروريا •

ثم ينتقل دانيال الى بيان التضامن مع جبهة التحرير الوطني الموجه له

---

١) Daniel Jean, Socialisme et anticolonialisme, in Esprit, Mai 1960, repris: dans: Le tiers Monde et la gauche, Edit. du Seuil, 1979 , P.P 165-170.

من طرف السارتريين فيرد على هذا متسائلا : لماذا لا تكون حرب الجزائر هي حربنا الاسبانية ؟ ويجيب أن سبب ذلك يعود الى أنها ثورة قامت على العروبة والاسلام.، بل وحتى فكرة الوطنية الجزائرية فهي ليست حاملة الآن لفكرة العالمية • وبمقتضى هذا أن مصير الجزائر مستقلة لا يلتقي بالضرورة ، ومن جهة نظر اخلاقية ، مع مصير منظمة جبهة التحرير الوطني •

ولكن هذا يقول دانيال في الأخير أنه يفضل طريقته النضالية الخاصة وهي التي ينتقد فيها جبهة التحرير الوطني كلما رآها تنحرف ، سواء بالمنهج أو بالاهداف، عن الايديولوجية العالمية • وفي الأخير يعرب عن خوفه اذا ماكان البحث القلق عن العالق المنقود للسارتريين قد تمثل في جبهة التحرير الوطني ، لكن ومهما يكن فان ثمة أهداف مشتركة تجمعهم وان اختلفت المفاهيم وأنهم ليسوا في حاجة الى اعطاء الدروس لبعضهم البعض •

وبعد هذه النماذج البارزة من أولئك اليساريين الأحرار الذين ساندوا الثورة الجزائرية تحت التأثير السارترى المباشر أو غير المباشر ، ووفق غايات متعددة ، ننتقل الآن الى معرفة الأثر الذى تركه سارتر في الرأى العام المعادى في جوهرة لهذا التيار •

فلعل من أبرز الوجوه اليمينية التي سبق لها أن احتكت بسارتر أو احتك بها نذكر أولا الكاتب المعروف ألبار كامو A. Camus •

لقد كان أول لقاء بين سارتر وكامو في عام ١٩٤٣ حيث انخرطا معا في المقاومة ، وبعد التحرر شرعا في أعمال صحفية مشتركة الا أنها فشلت اذ مع أواخر ١٩٤٥ بدأ يظهر بين المفكرين خلاف سياسي • فبينما كان كامو يسير في اتجاه اليمين نجد سارتر تستلهمه الشيوعية وتبدأ في الاستحواذ شيئا فشيئا على أفكاره • ومع صدور " الانسان المتمرد " لكامو والذى تسبب له في جدال عنيف مع سارتر في مجلة "الازمنة

الحديثة " أفضى الأمر الى قطيعة تامة بينهما وذلك في عام ١٩٥١م، وبهذا تكونت لكل منهما الأرضية التي ترتكز عليها، في العموم، مواقفهما المستقبلية تجاه الثورة الجزائرية .

والمتتبع لموقف كامو من الثورة الجزائرية يجده ، في رأينا ، يتلخص في ثلاثة نقاط رئيسية : النقطة الأولى هي أن الشعب الجزائري هو جزء من الشعب الفرنسي وفي هذا يقول : ((لا يجوز أن يكون هناك صنفان من الفرنسيين ، بل صنف واحد يشمل الباريسي من أهالي باريس ، والمارسيلي من أهالي مرسيليا ، والعربي من أهالي الجزائر ومن أجل هذا فنحن نطالب بتطبيق المساواة الاجتماعية فورا ، بين جميع الفرنسيين ، مهما كان أصلهم أو دينهم أو مذهبهم))(١) .

لكن ، ومن خلال هذا النص نفسه ، نلاحظ أن كامو ، وان كان يدعو الى سياسة الاندماج ، فهو يدعو اليها بشروط تنفر أيا كان بحيث لم يسو حتى بين الشعبين الجزائري والفرنسي في ظل هذه السياسة " العنصرية " ، فبينما يعطي للفرنسيين حقوقهم كاملة نجده يحرم الجزائريين من حقوقهم السياسية خاصة ، وهي النقطة الثانية.

أما النقطة الثالثة فتتلخص في أن الثورة الجزائرية، في نظر كامو ، ليست بثورة انما هي مجرد تمرد ناتج عن سوء المعاملة الاجتماعية للجزائريين : ((سواء في الجزائر أو في مكان آخر ، فالارهاب يعلل بغياب أو فقدان الأمل . الصمت ، البؤس ، غياب المستقبل والأمل ، كل هذا ساهم في أن يجعل ظلمات اليأس تزن بثقلها على الجماهير الجزائرية والتي بسببها كان كان خروج الحاربين لازما ...))(٢). ومن هنا ، فبديهي جدا أن نجد كل الانتقادات الموجهة من طرف كامو الى الحكومة الفرنسية هي انتقادات لا تجرأ أن تتعدى الحد المسموح به وتخدش ولو خدشا بسيطا مبدأ السيادة الفرنسية .

---

١) أحمد طالب الابراهيمي ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية، تر: د/ حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، بدون تاريخ ، ص ٢٢٣، نقلا عن جريدة الجزائر الجمهورية ، أكتوبر ، ١٩٣٨

٢) Camus Albert, Oeuvres completes, T II, Gallimard, Paris, 1965, P 987.

وهكذا نجد تصريحات كامو حول الثورة الجزائرية ، خاصة منها مابين ١٩٥٦- ١٩٥٨ ، هي تصريحات صحفية تهدف الى أن تجعل من هذه الثورة مجرد خلاف داخلي قائم بين أفراد الأسرة الواحدة . وفي هذا السياق ، نجده عام ١٩٥٦ يوجه بيان من أجل هدنة مدنية يدعو فيه الطرفين المتحاربين الى تجنب ايذاء المدنيين .

وأمام هذا التفكير الذي هو يعكس نوعا من أنواع تفكير " الأقدام السوداء " يرد سارتر على كامو فيقول: ((التمرد هو مجرد حركة عاطفية تنقصها الفعالية ، ومنه فهو أدنى مرتبة من الثورة ، ولكي تتحقق الثورة ، يجب دفع الثمن اللازم))(١) .

وانطلاقا من أن السارترية اليسارية لا ترى الصواب صوابا ولا الحقيقة حقيقة الا من جهة نظر يسارية ، ثم ردا على الهجومات السارترية عليه وابطالا لهذه المقولة يقول كامو ، وهو يشير كذلك بطريقة غير مباشرة الى ما يحدث للمسلمين في المحتشدات أو المعتقلات السوفياتية : ((اننا لا نقرر حقيقة فكره ما انطلاقا من أنها يمينية أو يسارية وأقل من ذلك وفق مايريد اليمين أو اليسار أن يفعل بها . (...) ان مساعدك (جونسون) ليس مجبرا على أن يعرف بأن المسائل الاستعمارية التي يجعلنا نعتقد من أنها تمنعه من النوم أنها تمنعني أنا الآخر من النوم ... فهؤلاء الجزائريون الذين جعل منهم كسب قوته اليومي قد كانوا والى وقت الحرب أصدقائي في معركة هي على الأصح ليست بالمربحة))(٢).

ثم ، وعلى الرغم من هذا ، فانه قد بدى للكثير ، خاصة أثناء اندلاع الحرب التحريرية ، أن كامو قد لازم الصمت وان تكلم ، لأن كلامه ، وان تخلص من الغموض ، فهو لايسمو الى الحقيقة السياسية التي تعيشها الجزائر . ولعل هذا كذلك ، ومن دون شك ، مادفع بسارتر الى القول : ((انه من المهم لنا أن يخرج كامو من صمته ، وأن يصل الى قرار ونتيجة ، فنحن الحائرون بلا دليل ، نؤمن ضرورة بأن على أحسن رجالنا أن يصلوا الى نهاية العنف))(٣). وأظن أن كامو قد خرج فعلا عن صمته ، **وظهر على حقيقته عندما**

---

١) Sartre(J.P), Situations IV, Gallimard, Paris, I964, P 54.

٢) Camus Albert, Lettre au directeur, in Les Temps modernes, Jui-Dec I952, P.P 317-325.

٣) جون جوايو ، كامو والثورة الجزائرية ، تر: د/أبو القاسم سعدالله ، مجلة الثقافة ، الجزائر ، عدد ٥ ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ٥٢

زاره وفد من الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين عام ١٩٥٦ ، فكان آخر حديثه معهم : (((...) لقد أوشكت اللحظة الحاسمة أن تصل .(...) واذا تمادى العنف واشتد ، فان الواجب يفرض على الانسان ، ويفرض علي أنا أيضا ، أن يعود الى بني قومه ، اذ لا مجال حينئذ للحياد أو للبقاء خارج المعركة))(١).

والى جانب معارضة كامو لسارتر نضيف أيضا معارضة الكاتب الكاثوليكي فرانسوان مورياك F. Mauriac ، لكن معارضة هذا الأخير تبدو أخلاقية أكثر منها سياسية اذ الأمر في ذلك يعود الى أن سارتر لم يراع في فكره الفلسفي البعد الاجتماعي فكانت النتيجة الحتمية أن تصادم مع مورياك . لكن لم يكن هذا ليمنع على الاطلاق أن يلتقيا الرجلان في بعض النقاط التي أقل ما يقال عنها أنها انسانية ، ومنها قضية التعذيب في الجزائر ، وفي هذا يقول أحد الباحثين : ((ثم كان هناك أيضا اكتشاف التعذيب (في الجزائر) (...) . فمنذ مطلع جانفي ١٩٥٥ ، قام كل من كلود بوردي في مجلة " فرانس أوبسارفاتور" وفرانسوان مورياك في مجلة " الاكسبرلس بتنديدات حول التعذيب في الجزائر))(٢) ، وقد كان تنديد مورياك باستعمال التعذيب في أعقاب نشر كتاب " الاستجواب " لهنري عليق أشد .

واذا كان سارتر يهاجم اليسار الفرنسي ويعتبره جامدا وغير قادر على مواكبة الأحداث فان مورياك لا يتردد هو الآخر في اتخاذ نفس الموقف ويحمل اليسار الفرنسي الجزء الأكبر من المسؤولية في القضاء على أمل تقرير المصير في الجزائر : ((ففي جميع الأحوال ، يقول مورياك ، ان يسارنا ، اذا كان عاجزا كل العجز ، في اعتقادي ، هو أبعد من أن يكون الأكثر حماقة . انه يعمل قليلا ولكنه يفكر كثيرا .(...) فبالنسبة الى اليسار - اذن - انه لازم علينا أن نفكر فيه مثلما كتب سارتر : ((انها تطلق رائحة كريهة ، هذه الجيفة))(٣) .

---

١) أحمد طالب الابراهيمي ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية ، ص ٢٥٠

2) Eveno P./ Planchais J., La guerre d'Algerie, P 269.

٣) Mauriac F., Le nouveau Bloc-notes, Edit Flammarion, Paris, 1968, P 5

وقد تطور هجوم مورياك على اليسار واشتد عليه بما فيهم أولئك الذين يطلق عليهم اسم اليسار الجديد ولا سيما بعدما هاجمه " لورن بوسط " L.Bost • في مجلة الأزمنة الحديثة فقال : ((اذا كان هناك علاقة يجعل سارتر محقا في كلامه وتجعلنا نحن نعتقد بأن اليسار الفرنسي قد صار جثة ، فهذا لأنه ليس ثمة شباب حيوي صاعد استطاع أن يسقط الأوراق اليابسة ، ولأن القادة القدماء متمسكون دائما بالحكم وأن الأموات عندكم لم تعد لهم القوة لدفن الأموات))(١) .

واذا كان مورياك قد اقتبس أحيانا عبارات من سارتر ليهاجم بها اليسار الفرنسي فذلك لأن ضرورة الموضوع اقتضت ذلك ، ولكن ، ومتى اقتضت عكس ذلك ، فان سارتر ذاته هو الذي يصير هدفه وخصمه المنبوذ • وكثيرا ما اشتد بينهم الصراع ووصلت بهما العداوة الى حد أن يصف الواحد منهم الآخر بأحقر التعابير وأبشع الصور • ولو راجعنا أحداث محاكمة أصدقاء جانسون لتذكرنا الرسالة العنيفة التي قرئت باسم سارتر وقتها والصدى الكبير الذي تركته على مستوى جميع الأصعدة ، وفيها هجوم صارخ على النظام الديغولي الحاكم وأتباعه وهو الشيء الذي أثار لا محالة غضب الكثير من مناصري هذا النظام وكان من بينهم فرانسوا مورياك الذي كتب يقول في مجلة " لالسبراس " : ((ان سارتر يدعو اليسار الفرنسي الى التحالف ، والى أن يعرض نفسه للخطر أو الاساءة (•••) بوقوفه الى جانب أولئك الارهابيين الذين هم مضرجون بالدم الفرنسي والجزائري معا (•••) فأي جنون هذا ! فحينما يتعلق الأمر بسارتر فانه لا يمكننا أن نقول أي حماقة ، ولكن أي فقدان للأمل هذا))(٢) .

ولما كان سارتر لا يرى النصر الا يساريا وأن الديمقراطية الحقة لا تتأتى الا عن هذا الطريق ، فان مورياك ، وعلى النقيض من ذلك لا يراه ممكنا الا على يد ديغول وأن ديغول هو وحده الذي سيضع حدا لهذه الحرب الجزائرية حدا لآلامهم وأعمالهم المخجلة وقد عبر مورياك عن هذا يوم أن استرد الشعب الجزائري وطنه فقال :((انني

---

١) IDEM , P 23.

٢) L'express, 20 Septembre 1960, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P 543.

لست من أولئك الذين يبكون لأن الجزائريين اليوم قد صاروا شعبا حرا وأن مسحـــذه الطاحونة سيرفع عن عنقنـــا))(١) .

ويبدو لنا هنا أنه لا اليسار السارتري استطاع أن يضع حدا لهذه الثـورة. ولا الجينيرال ديغول قام بذلك بمفرده ، انما الكلمة الحاسمة في ذلك عادت الـــــى السلاح وأن من دخل بالقوة لايخرج الا بالقوة .

ولم يكن مورياك المعارض الوحيد لسارتر وأنصاره بل نجد الى جانبــــــه معارضين يمينيين آخرين أمثال مناضلي "اتحاد مكافحي افريقيا الشمالية " الذين احتجـوا بشدة على شهادات أولئك الذين وقفوا الى جانب أنصار جانسون واعتبروها شتما لبلادهـــم كما اعتبروا اسم سارتر اليوم أنه قد صار مقرونا بخيانة الوطن. أما روجي ديشي R.Duchet الأمين العام للمركز الوطني للأحرار ، ومن خلال رسالة مفتوحة الى الوزير الأول كتـــب يقول :((بعد النشر الحر لرسالة جان بول سارتر ومنع الجينيرال صالون Raoul Salan من الاقامة بالجزائر ، فانني مصر على أن أخبرك عن تأثر كل أولئك الذين يحبون بلدهم ويحترمون خدامهم الأوفياء وقوانينهم. ان السيد جان بول سارتر الذي لم يأتنا أبدا الا بالنظريات الهدامة والسوفسطائية قد استطاع دون عقاب أن يشتم جيشنا وفرنسا معا . لقد تجرأ ، وأمام كل المشاهدين ، على أن يثبت بأنه سينقذ شرف الأمة انطلاقا من خرق قوانيين بلده ومساعده العدو . فمن جهة يستطيع سارتر أن يتحدى ويندد بالقوانين الأساسيـــة القائمة على حفظ وخدمة الوطن . ومن جهة أخرى فان أحد أكبر قاداتنا العسكرييـــــن وأكثرهم طاعة وأدبا قد عوقب لأنه ذكر بهذه القوانين وصانها . انني أطلب منـــك أن تتراجع عن هذه التصرفات المزعجة وأن تتصرف مثلي الاضطراب الذي تسبب فيه سارتر داخل الجيش وداخل الوطن كله))(٢).

وبعد هجوم روجي ديشي هذا ظهرت مواقف يمينية أخرى نذكر منها موقف الطبيب شارل ريشي C. Richet الذي رأى في مواقف سارتر تحطيما لروح فرنسـا ، ثم الصحافي

---

١) Mauriac F., Le nouveau Bloc-notes, P I66.

٢) Le droit à l'insoumission, dossier des "I2I", P 32, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre I905-I980, P.P 544-545.

أندرى بريصو A. Brisseaud ليقول في جريدة " الفيقارو" أن سارتر في هذيانه العاطفي قد تمادى كثيرا • لكنه يبدو أن الصحافي تييرى مونيي Thierry Maulnier هو الذى تمكن من ايجاد العبارات الأكثر دلالة في رده على سارتر تحت عنوان "الفرديات المفكرة " ، فقال : ((ان على فرنسا الحقيقية أن تخسر من أجل أن تنتصر فرنسا السارترية انها الفكرة الثورية التي جاء بها سارتر لفرنسا وهي التي يفضلها أن تكون• ومن فرنسا السارترية هذه ، وفرنسا "الفرديات المفكرة " فان جبهة التحرير الوطني هي الجيش الحقيقي بينما الجيش الفرنسي يصير العدو الممقوت الذى لا يمكن التفكير فيه : انه شيء مثل الوارث والامتداد لجيش الأربعينات الهتليرى))(١)• بينما الكاتب جاك دو بوربون - بيسي J.de B.Busset لاحظ أن شيئا جديدا قد حدث:((انه الطلاق ما بين الأكثرية من الرأى العام وما بين أولئك الذين ندعوهم بالمثقفين• ان في هذا لرمزا خطيرا لأن المثقفين يمثلون في المجتمع الجناح المتحرك الذى يحضر المستقبل))(٢) •

وقد امتد الخلاف الى درجة أن المثقفين انقسموا الى قسمين: قسم مساند للتيار السارترى وقسم معارض له ، فكان أن ظهر في مقابل بيان"١٢١ "شخصية يسارية بيان "٢٦٠ " شخصية يمينية • وانتهت المعارضة اليمينية الى تنظيم مظاهرة يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٠ بقيادة قدماء المحاربين وبحضور جان مارى لوبان J.M.le Pen وذلك بمناسبة تشييع جنازة بعض ضحاياها واعضاؤها يصرخون:" اقتلوا جان بول سارتر "، " الجزائر فرنسية"، "ماصالون في الحكم " وأشياء أخرى من هذا القبيل •

ولم يكن الأثر ليقتصر على رجال الأقلام فحسب بل وصل الى حد المسؤولين الكبار في الجيش والحكومة • فأمام الانتقادات الحادة التي وجهها سارتر الى ديغول وأتباعه وفرض نفسه على المستويين الداخلي والخارجي خاصة خلال سنتي ١٩٦٠ - ١٩٦٢، فان ديغول، وهو يتحسس خطورته، لم يجد أمامه سلاحا غير التعقل والتبصر وأخذ يعامله بحذر شديد • وبالفعل قد برهن ديغول عن حكمته وحنكته السياسية أمام الأصوات المرتفعة من هنا

---

١) Le Figaro 30 Sept I960, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre I905-I980 P.P 544-545.

2) La croix, 4 Oct I960, Citée par: Cohen-SOlal A., Sartre I905-I980, P 546.

وهناك مطالبة باعتقال سارتر أو قتله :((اننا لا نسجن فولتار))(١). ففي فرنسا لم يعد الناس يتكلمون عن " النزاع الجزائرى " بله وأكثر فأكثر أصبحوا يتكلمون عن " الحرب الجزائرية ، وصار وكأن الكل تقريبا يشير بأصبعه الى الجينيرال ديغول خاصة أنصار أحلام " الجزائر فرنسية ". وفي أكتوبر ١٩٦٠، عبر الشاشة وعبر الأثير يتكلم ديغول، ولأول مرة ، عن " الجمهورية الجزائرية " .

أما ميشال دوبرى M. debré الوزير الأول ، وبشهادة السيد بن خدة ، فلم يكن من المعارضين لسارتر فحسب بل حتى لديغول ذاته خاصة خلال الأيام الأخيرة من حكمه مع أنه كان من بين أولئك الذين ضروا رجوع ديغول الى الحكم معتقدين أنه الوحيد الذى سيحقق لهم أمنيتهم المتمثلة في أن تبقى " الجزائر فمرنسية " وقضى الثوار الجزائريون على هذا الحلم الطائش وأرغموهم على الاعتراف بالحقيقة وهي أن الجزائر لا يمكن لها أن تكون غير جزائرية ، لقد قال ديغول يوما :((لم يعد الحكم ليؤخذ بل هو لمن أراد أن يلتقطه))(٢).

ومن هنا فليس بغريب اذا ما قلنا أن دوبرى هو من أشد الناس حقدا على الشعب الجزائرى. فلقد واجه بعنف شديد حتى أبناء وطنه الذين رأوا في وقوفهم الى جانب الثورة الجزائرية مصلحة لبلادهم ، وخير دليل على ذلك موقفه من موقعي بيان "١٢١ ". فبغض النظر عن العقوبات العاجلة التي سلطت عليهم فان دوبرى قد كلف المجلس الينوزارى ، وابتداءا من ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠، بتطبيق أمر يضاعف العقوبات الموجهة لأولئك الذين يحرضون على العصيان العسكرى أو يؤوون العصاة وقد جاء فيه مايلي :((انه لمناسب أن نعاقب وبشدة ليس فقط العصاة المتمردين ولكن أيضا أولئك الذين يحرضونهم أو يساعدونهم على التخلي عن واجباتهم (...) ، وأن العقوبة المسلطة ستمنع أصحابها من ممارسة عملهم أو العودة اليه نهائيا))(٣). وفي الأسبوع الموالي ضربت الحكومة بقوة أكثر وتمادت الى حد أنها قررت التوقيف المؤقت عن العمل لكل من دافع أو برر العصيان أو تسبب في

---

١) Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P. 535.
٢) Viansson-Ponté P., Histoire de la république gaullienne, Fayard, 1971, P 16.
٣) Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P 544.

تحريض الجنود على عدم الطاعة • لكن ، وأمام تصاعد خطورة الحدث ، فان دوبري لم يملك غير التبريرات فخاطب يقول : ((آه ، اننا نعرف بأنها واحدة من عادات بلادنا المؤسفة وهذا أفضل من أن نوجد في كل وقت أعداء من لدننا • وهكذا كنا قد رأينا أخيرا البعض عن طريق انحراف فكري مؤسف والبعض الآخر عن طريق ذوق اشهاري مفسد وحتى مفضوح يعظم العصيان • لقد اتخذنا ومازلنا نتخذ العقوبات التي تقتضيها مصلحة البلاد ويقتضيها التوجه الوطني السليم والقضاء سيحاكم كل من يتظاهر باضطرابات خاصة •))(١)

وأما أندري مالرو A. Malraux ، وزير الخارجية أنذاك فالحدث بالنسبة اليه كان بمثابة بركان ثائر ينبغي تجنبه حتى لا يتضاعف ثورانه ، وفي صورة جد تهكمية قال : ((أفضل لنا أن نترك سارتر يصرخ في ساحة لاكونكورد "تحيا جبهة التحرير الوطني" من أن نلقي عليه القبض ونتجنب بذلك الوقوع في أكثر من خطأ واحد))(٢) •

وتجدر الاشارة هنا الى أن مالرو ، رغم موقفه هذا ، قد سبق له وأن وقف موقفا يناصر فيه هنري عليق عقب صدور كتابه "الاستجواب" اذ توجه رفقة كل من روجي مارتان دي قار R.M. du Gard وجون بول سارتر ببيان علني الى رئيس الجمهورية يطالبونه فيه بالتراجع عن مثل هذه الأعمال اللاانسانية(٣). ولعل سبب تناقض هذين الموقفين ظاهريا يعود الى اشتراكهما في الغاية : الأولى تمثلت في نصرة فرنسا والثانية في نصرة أبناء فرنسا • أما ما يشد الانتباه أكثر هو أن هناك رجالا من اليمين شغلوا مسؤوليات كبيرة في الدولة كان همهم الوحيد هو تحقيق مستقبل "الجزائر فرنسية" • لكن ، وأمام الأعمال الوحشية التي يقوم بها خاصة الجيش الفرنسي تحت تغطية النظام القائم فان هؤلاء الرجال لقد رفضوا الانقياد لمثل هذه التصرفات واستنكروها استنكارا شديدا ، ومن بين هؤلاء نشير الى بول تيتجن Paul Teitgen الكاتب العام لمحافظة الشرطة بالجزائر العاصمة يومها • لقد بعث هذا الأخير برسالة يوم ٢٤ مارس ١٩٥٧ الى الوزير المقيم بالجزائر روبار لاكوست R. Lacoste قدم فيها استقالته من منصبه • وفيها يخبر الحكومة رسميا عن الأعمال الوحشية التي يقوم بها الجينيرال ماسو J. Massu والمظليون ومن أهم ماجاء فيها مايلي :

---

١) Le populaire de Paris, 4 Oct 1960: " Les pyromanes", Citée par: Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P 546.

2) Temoignage de R.Dumas, Rencontre avec A.C.S le 15 Oct 1984, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre 1905-1980, P 547.

3) Eveno P./ Planchais J., La guerre d'Algerie, P 124.

" سيدي الوزير ،

في يوم أوت ١٩٥٦ شرفتني بتعييني في منصب أمين عام لمحافظة الجزائر ومكلفا خصيصا بالشرطة (...) يعني في خدمة (...) مستقبل " الجزائر فرنسية " .

لقد تيقنت ومنذ ثلاثة أشهر بأننا دخلنا - ليس في اللامساواة وهو أمر ليس من الأهمية في شيء في هذه الحرب - ولكن في الغموض واللامسؤولية الذين لايمكن لهما أن يقودانا الا نحو الجريمة الحربية (...) لقد تعرفت من خلال بعض العينات البشرية على الآثار العميقة الناتجة عن سوء المعاملة أو التعذيب وهي شبيهة بتلك التي كنت أتلقاها شخصيا على يد أفراد " القاستابو " في كهوف مدينة نانسي .

(...) لقد قبلت ، ولحسابي الشخصي، وباسمي، امضاء وتغطية مايقارب ألفين (٢٠٠٠) من الأفراد المقبوض عليهم (...) ان فرنسا بهذا لتعرض كيانها الروحي للضياع أكثر من اللازم . (...) فمن بين ٢٧٥٠٠٠ معتقل لم نعد نجد أكثر من ١١٠٠٠ معتقل حي . ولا تستطيع سيدي الوزير أن تطلب مني أن أتذكر لماذا اختفى هذا العدد الهائل دون رجوع ...)) (١)

ورغم رفض هذه الاستقالة الا أن بول تيجن استقال من منصبه يوم ١٢ سبتمبر ١٩٥٧، وبقيت هذه الرسالة وكأنها لم تكن الى أن جاء يوم محاكمة أنصار جانسون حيث تمت قراءتها في جلسة من الجلسات كوثيقة استشهد بها على التعذيب الوحشي الممارس في الجزائر . أما النقاش الذي دار بين المحامي فارجاس ورئيس المحاكمة من جهة وتيجن P. Teitgen الذي حضر بصفة شاهد من جهة أخرى فقد بين الشاهد من خلاله المآسي التي تعرض لها الجزائريون على يد الجلادين الفرنسيين ، وكان أهم سؤال طرح عليه هو اذا ما كانت هناك فعلا تجاوزات وتعذيبات، فرد : ((ان هذه التجاوزات وهذه التعذيبات هي التي كانت السبب الذي من أجله تركت عملي ، سيدي الرئيس (...) . لقد أقسمت أن أقول الحقيقة سيدي الرئيس . انني متأسف علي أن أعلن أن اختفاءات قد علمت بها ، وأنا متأكد منها ، وأتمنى ، وحتى أتخلص من هذه الذكريات التي تؤلمني أن نفس الصرامة هذه ، اذا كان من واجبها ضرب أصحاب الضمائر المضطربة ، عليها أن تضرب أيضا أولئك الذين يلطخون شرف بلادي وشرف جيشه)) (٢).

---

١) IDEM , P.P I44-I47.

٢) Le Procés du réseau jeanson, Maspero, P.P I04-I05, Citée par: Cohen-Solal A., Sartre I905-I980, P 54I.

غير أن أخطر انتقام يمكن تسجيله هو ذلك الانتقام الذي تبنته المنظمة السرية المسلحة تجاه سارتر ومن حذى حذوه . وكان أول اغتيال سياسي قامت به هذه المنظمة ، في اعتقادنا ، هو اغتيال رئيس بلدية ايفيان في ليلة ٣١ مارس ١٩٦١ وهي المدينة التي كان مقررا أن تجرى بها المفاوضات الجزائرية - الفرنسية . ولما صرح ديغول أن مصير الجزائريين قد بات مرهونا بالجزائريين أنفسهم ، وباجتماع كل من الجينيرال شال Challe ، صالون Salan ، جهود Jouhoud وزيلر Zeller أعلنت المعارضة ضد ديغول وفي يوم ٢٢ أفريل ١٩٦١ قامت بعصيان بعصيان عسكري مسلح في الجزائر للانفراد بالحكم غير أن هذه العملية لم تكن لتنجح وانتهت بالفشل . لكن هذا الفشل لم يكن ليضع لها حدا نهائيا بل وكرد فعل قامت بعدة محاولات اغتيالية وكان سارتر من بين الأوائل المستهدفين ومرتين على التوالي ، الأولى يوم ١٩ جويلية ١٩٦١ والثانية يوم ٧ جانفي ١٩٦٢ . واذا كان سارتر قد نجا بجسده فان سكنه لم ينج وكذا مقر مجلة الأزمنة الحديثة يوم ١٣ ماي ١٩٦١ (١) . ثم امتدت محاولات الاغتيال هذه الى عناصر أخرى منهم مالرو ولتخطأه وتصيب مكانه فتاة راحت ضحية انفجار قنبلة بلاستيكية (٢) .

أما ديغول ، وبعد افشاله لمحاولة المنظمة في الاستيلاء على الحكم في الجزائر والقاء القبض على بعض عناصرها ، قام بتوجيه آخر نداء لها لكن دون جدوى رغم تدخل " جهود " الذي كان قد استفاد بنبك المناسبة من تخفيف عقوبته : ((في يوم ٥ جوان وجه جهود نداء الى صالون يطالب منه ايقاف المعارك . لكنه لم يتلق جوابا من صالون)) بل وعلى العكس من ذلك ((وفي يوم ٧ جوان طلبت المنظمة من رجالها استئناف العمليات ، وكانت النتيجة يومها حرق مكتبة الجزائر))(٣) .

لكن النظام الفرنسي استطاع مرة أخرى أن يوقف زعماء المنظمة بما في ذلك صالون ، وبينما كانت المنظمة في طريقها الى الزوال ، خرج جورج بيدو من صمته ليكون بديلا لها وأسس ما أسماه " الجمعية الوطنية للمقاومة " الغرض منها قلب نظام الجينيرال

---

١) IDE. , P 562.

٢) Eveno P./ Planchais J., La guerre d'Algerie , P I90.

٣) Mauriac F., Le nouveau Bloc-notes, P.P I58-I59.

ديغول وتسريح ضباط العصيان العسكري السابق:((... " لم تعد هناك دولة ، والحكم لمن أراد أخذه ، فلم يبق اذن غير أخذه ..." هكذا تكلم جون بيدو في فيينا))(١) .

وبالفعل أخذت المحاولات تسير نحو هذا الهدف:((وفي ٢٢ أوت (١٩٦٢) ، بينما كان الجينيرال ديغول متوجها لأخذ الطائرة قصد الالتحاق " بكولومباي ـ الكنيستين " هوجمت سيارته ـ وللمرة الثانية ـ من طرف فدائي تابع للجنة الوطنية للمقاومة))(٢) .

كل هذا حدث لأن هذه المنظمة الحاقدة رأت أن هؤلاء جميعا اجتمعوا على خيانة المعمرين الفرنسيين وعلى رأسهم الأقدام السوداء وأن الجزائريين ماكانوا ليأخذوا استقلالهم لو لا دخول ديغول في حياتهم السياسية ، وأمام الحقد الذي أعمى بصيرتهم تناسوا أن الجزائر كانت بالأمس القريب أيضا مسلمة طيبة وأن من دخل بالقوة لا يخرج الا بالقوة ، وما كان لديغول أن يرضى بالمفاوضات لو لا تلك الثورة المباركة التي ذهب ضحيتها أكثر من المليون ونصف شهيد ، وقد شهد بذلك الكثير من أهلهم في الوقت الذي تنكر له البعض الآخر ودخل في مغامرات انتحارية باءت جميعها بالفشل والى هذا يشير مورياك بقوله :((أدلى قائد معارض الى أحد أصدقائنا في مجلة "الاكسبراس" بسر هذا نصه : ((لقد كنا منتصرين . وجبهة التحرير لم تكن موجودة في الساحة . وكانت في كل يوم تبرهن على عدم وجودها . لقد كان في استطاعتنا أن نقاوم حتى لمدة عشرة سنين ، عشرين سنة . لقد أعطى ديغول ، نعم ، أعطى الجزائر الى لصوص)). ان هذا التصريح يقول مورياك ، لا يعقل ، ولكنني أقضي أن هذا الرجل يفكر فعلا في ما قاله . فهو لم يتساءل لماذا هؤلاء اللصوص استطاعوا أن يصمدوا سبعة سنين في وجه أعتى قوة عسكرية في العالم . انه يرفض الاعتقاد بما يعنيه هذا : ففي الداخل كانوا مدعمين بشعب جند عن آخره . وفي الخارج من طرف الشعب الاسلامي ومناصري الماركسية ، ولكن أيضا ، وفي الأمم المتحدة ، من طرف أصدقائنا نحن(...) ان ما قام به ديغول هو أنه أوقف تدهورا كان ليكون أسرع مما صار عليه : آه ! قائدي ، لم يكن أمامك عشرة أعوام ، ولا حتى خمسة أعوام بل ولا حتى سنتين))(٣) .

---

١) IDEM , P I6I.
٢) IBID , P I79.
٣) IBID , P I9I.

* الخاتمة *

بعد أن جئنا، وبعون الله ، على نهاية هذا البحث المتواضع، بقي لنا أن نعرف ، ولو بصورة مجملة ، أهم الأمور التي تجلت لنا في الأخير ، ومدى أهميتها وخطورتها في ظل الأنظمة السياسية الاستعمارية الحديثة والمعاصرة .

اننا نعتقد أن بحثنا هذا ، في ضوء تحليلنا للفكر السياسي السارتري وعلاقته بالثورة الجزائرية ، قد كشف لنا عن جزء هام من تاريخنا السياسي المعاصر ، ومن ثم عن بعض الخيوط التي طالما نسجت ـ وما زالت تنسج ـ في الخفاء من طرف أياد أبت الا أن ترى الجزائر ، والى الأبد ، تابعة فرنسية فسعت وبكل ما أوتيت من قوة الى تحقيق هذه المقولة ميدانيا مع ضمان استمراريتها وذلك وفق طريقة استعمارية معاصرة وبعد أن اقتنعت أن طريقة السلاح قد أمست أطروحة قديمة لا تتماشى والنظام السياسي والاقتصادي المعاصرين ، ومن هنا في اعتقادنا ، ومن هذا المنظور بالذات اكتسى موضوعنا هذا أهميته هذه .

واذا كان هذا هو حال الاستعمار الحديث والمعاصر في صورته المجملة، فان مفكري هذا الاستعمار منهم من ذهب الى أبعد من ذلك لدرجة أن الكثير من بني جلدتهم أو مواطنيهم قد صعب عليهم فهم مقاصدهم فكان منهم أن وقفوا منهم موقف المعارض المتهم ، وفي هذا الاطار يندرج الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر .

بعد " الوجود والعدم " وعقب الحرب العالمية الثانية قام سارتر بقراءة جديدة لماركس على ضوء النظرة الفلسفية الهيجلية ، فكان من نتاج ذلك أن انتقى من الماركسية نظرتها الى الواقع المعيش خاصة وأن هذا الواقع كان يضغط عليه أثناء حياته اليومية باستمرار ، ومن وجودية " الوجود والعدم " البعد الأنطولوجي وركب بينهما فكان بذلك كتابه الذى أسماه " نقد العقل الجدلي " وفيه يفرق بين النظرة الانغلزية والنظرة الماركسية ، وبينما يحمل انغلز النظرة المادية البحتة نجده يقبل بالنظرة الماركسية ويرى أن ماركس وهو يصرخ بأن "الرجال هم الذين يصنعون

تاريخهم " انما هو بهذا الجدل الأولي يؤكد أولوية البعد الأنطولوجي على البعد المادى . ثم بهذا التركيب الايديولوجي انتهى سارتر الى انشاء نظام سياسي اعتقده الأمثل وهو ماعرف بالاشتراكية الحرة وهو الأمر الذى دفع به الى القول أن الوجودية ستفقد كل مبررات وجودها في اليوم الذى تقبل فيه الماركسية بالبعد الانطولوجي كمنطلق لمفهوم الجدل القائم بين الانسان والمادة .

ولما بلغ سارتر بفكره هذا المبلغ ، وبعد أن كشف عن الأزمة السياسية والاقتصادية التي تتخبط فيها فرنسا وعن مسبباتها ، أحس بضرورة اخراج فرنسا من هذه الأزمة ومن ثم بضرورة هذا النظام السياسي " الجدلي " الذى جاء بعد وحاجة الأوروبيين له ، بحكم أن فرنسا هي جزء لا يتجزء من الكتلة الأوروبية ، بل وأنه النظام الوحيد الذى سيعمل على تخليص الفرنسيين أولا ثم الأوروبيين ثانيا من القهر والاستبداد السياسي خاصة أمام الهجمة الستالينية من جهة والنفوذ الامبريالي الأمريكي من جهة أخرى . ومن هنا أيضا اقتنع سارتر بضرورة الاهتمام بالثورة الجزائرية وهي في مهدها لا لأن الاهتمام هو مجرد اهتمام انساني بحت انما لغاية سياسية خطيرة جعلت من الثورة الجزائرية مجرد وسيلة تخدم فرنسا ومطامعها المستقبلية بل وأخطر من ذلك وهي تحاول أن تجعل من ثورتنا مجرد ثورة تابعة فرنسية لا جذور لها ، ومن ثم لا قيادية كما أرادها أول نوفمبر١٩٥٤ ...

اذن ، ونحن نتناول دراسة الفكر السياسي السارترى وعلاقته بالثورة الجزائرية وفق دراسة تحليلية نقدية موضوعية رأينا أن فكره هذا وموقفه المساند لثورتنا التحريرية العملاقة قد كشف لنا كذلك عن دوره ودور أتباعه في محاولة سلب الشعب الجزائرى أصالته وجره نحو اليسار وهو عمل يهدف مستقبلا الى استعادة ما ضيّعه النظام الديغولي وأتباعه بالسلاح عن طريق الاستحواذ السياسي - الاقتصادى وهو كما سلف ذكره نموذج الاستعمار الحديث والمعاصر .

لقد عمل سارتر في هذا الاتجاه بكل قوة وهوادة ، ولم يكتف بتركيز نشاطه على المستوى النظرى فقط انما اتبعه ودعّمه بالجانب العملي .

لقد سهر على اثارة الرأى العام الفرنسي وتجنيده واشعاره أن فرنسا لا يمكن لها أن تخرج من أزمتها الا اذا سارت وفق نظام يساري متجدد . وأن تمكين هذا النظام مرهون بالثورة الجزائرية التي مافتئ نشوبها يعمّق هذه الأزمة يوما بعد يوم .

ولما لاح شعاع الاستقلال الجزائرى في الأفق وأخذ أمل معظم الفرنسيين في ابقاء الجزائر تحت السيطرة الفرنسية ينفذ ويتضاءل ، في الوقت هذا ، تفطن سارتر الى هذه الحتمية الاستعمارية القائمة أساسا على مبدأ " من دخل بالقوة لا يخرج الا بالقوة " ، خاصة وهو يرى قوة الثورة الجزائرية تعظم وتزداد في كل ساعة وفي كل دقيقة ، فأدرك أن الكيل لابد وأن يرد كيلين وأن يوم الطرد آت لاريب فيه . من هنا ، وأمام هذا الخسران المنتظر المبين تحرك سارتر وانتفض ورأى أن محاولة العمل على يسارية الثورة الجزائرية لهو عمل ضرورى واستراتيجي هام ، ( ) يسمح وباستمرار بابقاء الجزائر تحت السيطرة الفرنسية وذلك باخضاعها وعن بعد لسياستها التوجيهية ... وهي نظرة كانت قد تجلت وبكل وضوح لدى أتباع سارتر نذكر منهم على وجه الخصوص فرانسيس جونسون وفرانس فانو .

أما ما يدعم هذا المذهب ويزيدنا اقتناعا به أكثر هو تردد الكثير من اليساريين الأحرار في تدعيم هذه الثورة وعلى رأسهم جون دانيال الذى كان مقتنعا حتى النخاع أن الثورة الجزائرية ليست بثورة يسارية حتى نمد لها يد المساعدة ، لكن ومع ذلك فهو الآخر لم يتردد في العمل على دفع هذه الثورة نحو اليسار وذلك حسب طريقته الخاصة فاقتصر عمله - كما قال - على توجيه جبهة التحرير الوطني كلّما دعت الحاجة الى ذلك ...

لكن سارتر لم يكن كذلك ، بل ولم يكن حتى ليقف عند حد التوجيه السياسي والايديولوجي اذ دخل في مرحلة ثانية وهي من أخطر المراحل وأكثر فعالية وتأثيرا ، انها مرحلة سمحت له بنقل ماكان منظّرا الى التطبيق ، وقد انجز عمله هذا في مرحلتين متعاقبتين عموما .

فأما المرحلة الأولى فقد انحصرت تقريبا في العمل على التمكين لفكره السياسي هذا . فكان أن وجد في الأدب وسيلة ناجحة وأرضية خصبة مكنته من أن يجعل منها ميدانا واسعا لكل تجاربه السياسية بل وأصبح يرى أنه على الأدب أن يكون أدبا ملتزما وأنه لا التزام الا في الاشتراكية الحرة . ومن هنا أخذت مواقفه لا تتم الا وفق شروط يسارية بحتة ولنا في مواقفه من الثورات التحررية في العالم أمثلة ساطعة خاصة منها موقفه الجائر تجاه الثورة الفلسطينية .

وأما المرحلة الثانية في تلك المرحلة التي صادفت نشوب الثورة التحريرية الجزائرية أو ربما ما كانت لتكون لو لا هذه الثورة التحريرية . وهي مرحلة سمحت لسارتر أن يقف من الثورة الجزائرية موقفا عمليا وميدانيا مساندا تجلى أساسا في بعض المواقف البارزة منها مشاركته في بيان " ١٢١ " شخصية التاريخي وهو عبارة عن نداء صارخ يدعو فيه الكتاب الجنود الفرنسيين الى وضع السلاح في وجه الثوار الجزائريين بل والانضمام اليهم لأن ثورتهم أصلا هي أقرب ما تكون بثورة فرنسية جاءت لتضع حدا للنظام الديغولي المستبد وللأزمة الخانقة في فرنسا ... انها ثورة في اعتقادهم تهدف الى أن تقيم نظاما يساريا تحرريا يخدم فرنسا والجزائر على حد سواء .

والى جانب بيان " ١٢١ " شخصية يضاف موقفه الى جانب أعضاء شبكة جونسون الذى أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الفرنسية وكان ذلك يوم أن قبض على بعض أفراد هذه المنظمة وقدموا للمحاكمة أمام محكمة عسكرية عليا .

و هو يقف هذه المواقف ، كان سارتر يسعى في الوقت ذاته الى اقناع الفرنسيين و الجزائريين على أن الثورة الجزائرية هي بحق ثورة يسارية وأن اليساريين الفرنسيين و هم يقفون في صف الثورة الجزائرية انما هم يقفون في صف اخوانهم وأن هنري عليق لما رفض أثناء الاستنطاق أن يتفوه بشيء أمام جلاديه فلأنه كان يرفض أن يقدم أخا له الى حبل المشنقة • ومن هنا دخل في صراع مرير ضد الحزب الشيوعي الفرنسي الذي لم يكتف برفضه الوقوف الى جانب الثورة الجزائرية بل و على النقيض من ذلك قد قام بمقاطعة و منع حتى من أراد أن يقف في صف هذه الثورة رغم الضغابات المعلن عنها •

و في الأخير قد تيقنا من أن سارتر بنظرته الثاقبة هذه لا يمكن له أن يكون الا فرنسيا و لا يسعى الا الى اقامة دولة فرنسية قوية لا مهزومة ، و لم يكن أبدا يفكر في أن يقف الى جانب الثورة الجزائرية لمجرد الوقوف بل لأنه رأى في ذلك مساهمة منه بطريقة جد ملتوية تعمل على ابقاء الجزائر تابعة فرنسية لا من حيث الاستعمار المسلح انما من حيث التبعية السياسية الثقافية و هو ما يعرف بالاستعمار الحديث و المعاصر ، فكانت بذلك غايته هي غاية كل الفرنسيين على اختلاف مذاهبهم لأن اختلافهم لم يخرج عن كونه مجرد اختلاف في المناهج و الطرق •

اذن بحق لقد كشف لنا هذا البحث عن حقيقة ما زال الكثير منا حتى الآن يرفضونها بطريقة أو بأخرى ، عن محاولة استعمارية حديثة جادة لا تسهى و لا تنام تهدف الى تغريب الشعوب و تشويه أصالتهم ثم اخضاعها (الشعوب) لها نهائيا • و في أبشع هذه الصور ، تجلى أبشع استعمار عرفته الانسانية المعاصرة ، انه الاستعمار الفرنسي ، خاصة و أن هذا الاستعمار قد وجد في بعض مستعمريه ما أسماه مالك بن نبي بقابلية الاستعمار التي هي شبه ما تكون بالأرض الخصبة التي تؤتي أكلها كل حين وكلما أولاها هذا الاستعمار شيئا من الرعاية و الاهتمام و السهر •

وخلاصة القول أنه اذا كنا لا ننكر ، من حيث الوسيلة ، موقف سارتر ودعمه الظاهرى للثورة الجزائرية فانه أيضا لا ينبغي لنا أن نغفل ، من حيث المبدأ والغاية التي كان من أجلها هذا الموقف وهذا الدعم ...

وفي الأخير بقي أن نشير الى أن جان بول سارتر ماهو الا عيّنة من العيّنات التي انشغلت بالثورة الجزائرية ، ومن هنا فالعمل الذى قمنا به نحن ماهو الا شعاع من الأشعة التي كان ينبغي تسليطها على هذه الثورة العملاقة .

لذا ، وحتى نلم بالموضوع أكثر ، فانه ، في اعتقادنا ، في حاجة منّا الى أن نتناوله في شكل دراسة مقارنة بين عدة كتاب فرنسيين بل وأكثر من ذلك في ضوء نظرة موسعة تشمل دراسة حرب الجزائر من وجهة نظر الكتاب والمثقفين الفرنسيين من جهة والكتّاب والمثقفين الجزائريين من جهة أخرى وذلك وفق منهج تحليلي نقدى مقارن . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من بين هؤلاء الكتاب: البار كامو ، جولوروا ، جان دانيان وآخرين ، وفي المقابل كتاب جزائريين أمثال مالك بن نبي ، بن خدة ، فرحات عباس ، شريف ساحلي وغيرهم ...

ولا شك في أن دراسة من هذا القبيل ستقدم خدمة نافعة لكل المثقفين والباحثين الناشئين الجزائريين على وجه الخصوص ولكل من يحرص على معرفة وتتبع كل ما يمكنه أن يسلط الأضواء على هذه الثورة التحريرية المجيدة .

أ) المصـــادر باللغـــة العربيـــة .

١) جان بول سارتر ، الغثيان ، ترجمة سهيل ادريس ، دار الكتاب ، بيـــروت ، ١٩٦٢

٢) // // ، الجدار ، ترجمة سهيل ادريس ، دار الكتاب ، بيـــروت ، ١٩٦٢

٣) // // ، الوجودوالعدم ، ترجمة عبد الرحمان بدوي ، دارالاداب ، بيروت ، ١٩٦٦

٤) // // ، الذبابه ترجمة حسين مكي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريـخ

٥) // // ، الأبواب المقفلة ترجمة هاشم الحسيني ، دارمكتبةالحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦) // // ، الوجودية مذهب انساني ، ترجمة كمال الحاج ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨

٧) // // ، الأيدي القذرة ، المترجم غير مذكور ، دار مكتبةالحياة ، بيروت ، بدون تـاريخ .

٨) // // ، د. روشيه ، ج. روزنتال ، محاورات في السياسة ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣

٩) // // ، عارنا .. في الجزائر ، ترجمة سهيل ادريس وعايدة مطر ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٦٣

١٠) // // ، الكلمات ، ترجمة خليل صابات ، الدارالمصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦

١١) // // ، الماركسية والوجودية ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار اليقظةالعربية ، بيروت ١٩٦٤

١٢) // // ، المادية والثورة ، ترجمة عبد المنعم الخفي ، ط ٣ ، مكتبةرايـــو ١٩٧٧

١٣) // // ، ما الأدب؟ ، ترجمة غنيمي هلال ، دار النهضة للطبع والنشـــر القاهرة ، بدون تاريخ .

١٤) // // ، دفاع عن المثقفين ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٣

ب) المراجع باللغة العربية :

١٥) أحمد طالب الابراهيمي ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية ، ١٩٦٢ - ١٩٧٢،
ترجمة حنفي بن عيسى ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ
١٦) ادوار موروسير ، الفكر الفرنسي المعاصر ، ترجمة عادل العوا ، ط ٢ ، منشورات
عويدات ، بيروت، باريس ، أفريل ١٩٧٨
١٧) البيرس (ر. م) ، سارتر والوجودية ، ترجمة ادريس سهيل ، دار الآداب ،بيروت ،
١٩٦٠
١٨) تشارلز فرنكل ، أزمة الانسان الحديث ، ترجمة نيقولا زيادة ، دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، ١٩٥٩
١٩) جان فال ، الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر ، ترجمة الأب مارون خوري ط١،
منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٢
٢٠) جان فال وآخرون ، ماهي الوجودية ؟ ترجمة عبد المنعم الحفني ، ط ٢ ، مكتبة
مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٧
٢١) خليل أحمد خليل ، السارترية : تهافت الأخلاق والسياسة ، ط ٢ ، الموسوعة الجامعية
للدراسات ، بيروت، ١٩٨٢
٢٢) ريجيس جوليفيه ، المذاهب الوجودية من كيركغارد الى سارتر ، ترجمة محمد عبد
الهادى أبو ريدة ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦
٢٣) عبد الرحمان بدوى ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، ط ٣ ، دار الثقافة ، بيروت
لبنان ، ١٩٧٣
٢٤) عبد الرحمان بدوى ، هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ ، مكتبة النهضة ، القاهرة ،١٩٥٣
٢٥) عبد العزيز جابر سعد ، مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية ، مكتبة الانغلو
مصرية ، مصر ، ١٩٧٠
٢٦) عبد المنعم الحفني ، الوجودية في حياة سارتر وفلسفته ، دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٢٧) غايتان بيكون ، آفاق الفكر المعاصر ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، ط ٢،
منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٥

٢٨) فرانسيس جانسون ، سارتر بقلمه ، ترجمة خليل صابات ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٦٧

٢٩) فؤاد كامل ، الغير في فلسفة سارتر ، دار المعارف ، مصر ، بدون تاريخ .

٣٠) موريس كرانستون ، سارتر بين الفلسفة و الأدب ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٣١) مرزون حلمي ، الاسلام و الفكر المعاصر ، بحوث و مقالات ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٩٨٢ .

٣٢) ميمون الربيع ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ١٩٨٠ .

٣٣) مصطفى غالب ، في سبيل موسوعة فلسفية ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٣٤) هيغل فريد يريك ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، الجزء الأول ، العقل في التاريخ ، ترجمة امام عبد الفتاح امام ، ط دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

د) مقالات ، معاجم و قواميس .

٣٥) أحمد أبو زيد ، مجلة عالم الفكر ، العدد ١٤ ، وزارة الاعلام ، الكويت ، ١٩٨١ .

٣٦) جسون جوايو ، كامو و الثورة الجزائرية ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مجلة الثقافة ، الجزائر ، عدد ٥ ، نوفمبر ١٩٧١

٣٦) عبد الفتاح الديدي ، سارتر في تيار عصره ، مجلة الفكر المعاصر ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، العدد ٢٥ ، مارس ١٩٦٧

٣٧) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، جزء ١ ، ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٩ .

٣٨) عبد النور جبور و سهيل ادريس ، المنهل ، قاموس فرنسي عربي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٠ .

د / المصادر باللغة الفرنسية

41) Sartre (Jean Paul), La nausée , Gallimard, Paris, 1938.
42) " " , Le mur, Gallimard, Paris, 1939.
43) " " , L'Etre et le Néant, Gallimard, Paris, 1943.
44) " " , Les mouches, Gallimard, Paris, 1943.
45) " " , Huis clos , Gallimard, Paris, 1944.
46) " " , Les chemins de la liberté, Tome I, L'âge de raison, Gallimard, Paris, 1945.
47) " " , Les chemins de la liberté, Tome II, Le Sursis, Gallimard, Paris, 1945.
48) " " , L'existentialisme est un humanisme, Nagel, Paris, 1946.
49) " " , La P.respectueuse, Gallimard, Paris, 1946.
50) " " , Reflection sur la question juive, Gallimard, Paris, 1946.
51) " " , Situations I, Gallimard, Paris, 1948.
52) " " , Situations II, Gallimard, Paris, 1948.
53) " " , Situations III, Gallimard, Paris, 1949.
54) " " , Situations IV, Gallimard, Paris, 1964.
55) " " , Situations V, Gallimard, Paris, 1964.
56) " " , Situations VI, Gallimard, Paris, 1964.
57) " " , Situations VII, Gallimard, Paris, 1965.
58) " " , Situations VIII, Gallimard, Paris, 1972.
59) " " , Situations X, Gallimard, Paris, 1976.
60) " " , Les jeux sont faits, Nagel, Paris, 1947.
61) " " , Les mains sales, Gallimard, Paris, 1948.
62) " " , Les chemins de la liberté, Tome III, La mort dans l'âme, Gallimard, Paris, 1949.
63) " " , Entretiens sur la politique, avec la collaboration de Gérard Rosenthal et de David Rousset, Gallimard, Paris, 1949.
64) " " , Le diable et le bon Dieu, Gallimard, Paris, 1951.
65) " " , Saint Genet, Comedien et martyr, Gallimard, Paris, 1952.

66) Sartre (Jean Paul), L'affaire Henri Martin, Commentaire de Jean Paul Sartre, Textes Hervé Bazin, J.M.Domenach, F.Jeanson, Gallimard, Paris, I953.
67) " " , Les séquestrés d'Altona, Gallimard, Paris, I959.
68) " " , Critique de la raison dialectique, Précédé de question de méthode, Gallimard, Paris, I960.
69) " " , "Preface à Aden Arabie de Paul Nizan", Maspéro, Paris, I960.
70) " " , Préface aux Damnés de la terre de Franz Fanon, François Maspéro, Paris, I96I.
7I) " " , Les mots, Gallimard, Paris, I964.
72) " " , L'idiot de la famille, T. IetII, Gallimard, Paris, I97I, T. III, I972.
73) " " , On a raison de se révolter(avec Philippe Gavi et Pierre Victor), Gallimard, Paris, I974.
74) " " , Les carnets de la drôle de guerre, Gallimard, Paris, I938.
75) " " , Complicité objective, in Les Temps modernes, Paris, Juillet I948.
76) " " , Sommes-nous en démocratie ?, in Les Temps modernes, Paris, Avril I952.
77) " " , Les Communistes et la paix, in Les Temps modernes, Paris, T(I), Avril I952, T(II), Octobre-Novembre I952, T(III), Avril I954.
78) " " , Réponse à A.Camus, in Les Temps modernes, Paris, Août I952.
79) " " , Réponse à Lefort, in Les Temps modernes, Paris, Avril I953.
80) " " , Le Rendez-vous de Dien-bien-phu, éditorial signé T.M, in Les temps modernes, Paris, Mai I954.
8I) " " , L'Algerie n'est pas la france, éditorial signé T.M, in Les Temps modernes, Paris, Novembre I955.
82) " " , Refus d'obeissance, éditorial signé T.M, in Les Temps modernes, Paris, Octobre I955.
83) " " , Des "intellectuels depravés" vous parlent, éditorial signé T.M, in Les Temps modernes, Paris, Janvier - Juin I956.

84) Sartre (Jean Paul), Qui démoralise l'armée?, éditorial signé T.M, in Les Temps modernes, Paris, Mai-Juin 1956.

85) " , Pouvoirs "spéciaux", éditorial signé T.M, in les Temps modernes, Mars-Avril 1956.

86) " " , Le réformisme et les fétiches, in Les Temps modernes, Paris, Fevrier 1956.

87) " " , Une crise utile?, éditorial signé T.M, in les Temps modernes, Paris, Octobre 1957.

88) " " , Le fantôme de Staline, in Les Temps modernes Paris, T I, Novembre-Decembre 1956, T II, Janvier 1957.

89) " " , La république a perdu une bataille, éditorial signé T.M, in Les Temps modernes, Paris, Mai - Juin 1958.

90) " " , Nous sommes tous des assassins, in Les Temps modernes, Paris, Mars 1958.

91) " " , Marleau-Ponty vivant, in Les Temps modernes, numéro spécial sur Marleau-Ponty M. , Paris, Août-septembre 1961.

92) " " , Conversation enregistrée entre Sartre et Manifesto, 27 Août 1969, reprise dans les Temps modernes, Paris, Janvier 1970.

93) " " , Entretien avec J.P.Sartre, publié par Paris-Presse, L'intrensigeant, 7 Juin 1951.

94) " " , Les animaux malades de la rage, in Libération, Paris, 22 Juin 1953.

95) " " , Entretiens avec J.P.Sartre, in La voix communistes, Paris, 1963.

هـ / المراجع باللغة الفرنسية

96) Altman (G) , Le vieux mot usurpé par les politiciens, éditorial de la gauche, organe du R.D.R, Paris, du 15 au 30 Mai 1948.

97) Aron (Raymond) , Marxismes imaginaires, édit. Gallimard, Paris, 1970.

98) Astuc(Alexandre) et autros , Un film sur Jean Paul Sartre, (Textes intégral) Paris, Sans date.

99) Beauvoir(S.de) , La force des choses, T IetII, Gallimard, Paris, 1963.

100) " " , L'existentialisme et la sagesse des nations, Nagel, Paris, 1963.

101) " " , La cérémonie des adieux, Gallimard, Paris, 1981.

102) Bedel (Jean) , Les impressions de J.P.Sartre sur son voyage en U.R.S.S , in Libération, Paris, du 14 au 20 Juillet 1954.

103) Bourdet(Claude) , La gauche mélancolique, Le tirs-monde et la gauche, Le Seuil, Paris, 1979.

104) Boschetti(Anna) , Sartre et les temps modernes, édit. de minuit, Paris, 1985.

105) Bredhier(Emile) , Les thèmes actuels de la philosophie, P.U.F, Paris, 1954.

106) Burnier(Michel-Antoine) , Les existentialistes et la politique, Gallimard, Paris, 1966.

107) Camus(Albert) , Oeuvres complètes, T.II, Gallimard, Paris,1965.

108) " " , Letrre au directeur, in Les Temps modernes, Paris, Juillet-Décembre 1952.

109) Chapsal(Madleine) , Les écrivains en personne, édit. Juliard, Paris, 1960.

110) Cohen-Solal(Annie), Sartre 1905-1980, Gallimard, Paris, 1985.

111) Colembel(Jeannette) , J.P.Sartre: un homme en situation, T. I, Librairie générale française, Paris, 1985.

112) Daniel (Jean) , Socialisme et anticolonialisme, Esprit, Mai 1960, repris dans: Le tiers-monde et la gauche, édit. du Seuil, 1979.

113) Eveno Patrick et Planchais Jean , La guerre d'Algerie, édit. Laphomic, Alger 1990,

114) Fanon (Frantz) , Pour la révolution africaine, Maspéro, Paris, 1964.

115) Foulquie (P) , L'existentialisme, 6ème édit. P.U.F, Paris, 1972.

116) " " et Saint-Jean(L) , Dictionnaire de langue philosophique, édit. P.U.F. ,Paris, 1962.

II7) Garaudy (R) , Question à J.P.Sartre, précédée d'une lettre ouverte, Collection clarté, Paris, I960.

II8) Girard(Marcel) , Guide illustré de la litterature française moderne, édit. Seghers, Paris, I968.

II9) Gisselbrecht (A) , Les séquestrés d'Altonna, in La nouvelle critique, revue de marxisme militant, Decembre I959.

I20) Hérvé(Hamon) et Rotman(Patrick) , Les porteurs de valise, la résistance française à la guerre d'Algerie, édit. Albin Michel, I979.

I2I) Hodard (Philippe) , Sartre, édits. Universitaires, Paris, I979.

I22) Hypolite(Jean) , Figures de la pensée philosophique, édit. P.U.F., Paris, I97I.

I23) Jeanson(Francis) , Sartre par lui-même, édit. du Seuil, Paris, I955.

I24) " " , Lettre à J.P.Sartre, in les Temps modernes, I960.

I25) " " , Le problème moral et la penséo de Sartre, (suivi de: Un quidum nomé Sartre), édit. du Seuil, Paris, I965.

I26) " " , Sartre dans sa vie, édit. du Seuil, Paris, I974.

I27) Julia Didier , Dictionnaire de la philosophie, Librairie Larousse, Paris, I964.

I28) Lacouture(Jean) , André Malraux, édit. du Seuil, Paris, I974.

I29) Lefévre(Henri) , Existentialisme et marxisme, réponse à une mise au point, in Action, Paris, 8 Juin I945.

I30) Mauric(Françoi) , Le nouveau Bloc-notes, édit. Flammarion, Paris, I968.

I3I) Michel Richard , La pensée contemporaine- Les grand courants-, chronique sociale de France, Lyon, -Co-diffusion édit. du Cerf, Paris, sans date.

I32) Mounier(Emmanuel) , Malraux-Camus-Sartre-Bernanos, L'éspoir des des désespérés, édit. du Seuil, Paris, I953.

I33) Péju(Marcel) , Une gauche respectueuse, in Les Temps modernes Paris, Avril-Mai I960.

I34) Shaff(Adam) , Sur le marxisme et l'existentialisme, in Les Temps modernes, Paris, Août-Septembre I960.

I35) Slama(Alain-Girard), L'independance de l'Algerie était-elle iné-vitable ?, Le Temps de l'Algerie Française (De la prise d'Alger à l'indépendance), in L'histoire(Spécial), Janvier I99I.

136) Viansson-Ponté (Pierre), Histoire de la republique gaullienne, édit. Fayard, Paris, 1971.
137) Wahl (Jean), Tableau de la philosophie Française, édit. Gallimard, Paris, 1962.
138) " " , Les philosophes de l'existence, édit. Gallimard Paris, 1954.

=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=o=

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ع)

(غ)

(ف)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس الموضوعات